المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث

Lebanese Journal of Science and Research (LJSR)

المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث
العدد الاول - ذو الحجة ١٤٤٣ هـ - تموز - يوليو ٢٠٢٢

الجمعيّة اللبنانيّة للعلوم والأبحاث
Lebanese Association for Science and Research

النسخة الالكترونية

مجلة علمية فصلية محكّمة

تصدر عن الجمعية اللبنانية للعلوم والأبحاث (LASR)

الجمعيّة اللبنانيّة للعلوم والأبحاث
Lebanese Association for Science and Research

المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث

Lebanese Journal of Science and Research (LJSR)

العدد الاول - ذو الحجة ١٤٤٣ هـ - تموز _ يوليو ٢٠٢٢

مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن الجمعية اللبنانية للعلوم والأبحاث

(LASR)

تنشر البحوث الأصليّة والدراسات الميدانيّة في شتّى فروع العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة باللّغتين العربيّة والإنكليزيّة

جميع الأفكار الواردة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين وحدهم

الجمعيّة اللبنانيّة للعلوم والأبحاث
Lebanese Association for Science and Research

اقرأ في هذا العدد:

□ الـتُّراث الـرِّوائيُّ المختلِـف في التَّصـدِّي للإلحـاد وآليَّـةُ الإفـادةِ منـه
■ The different narrative heritage in addressing atheism and the mechanism for benefiting from it
صفحة ٦

□ الجيـوش والسياسـة الانكشـارية العثمانيـة – النشـأة والـدور والمصـير
■ Armies and Politics The Ottoman Janissaries: Origin, Role and Fate
صفحة ٣٠

□ الخلوة الشرعية، ماهيتها- أحكامها- آثارها.
■ Legitimate khulwah (being alone with a member of the opposite sex) What is it, its provisions, its effects
صفحة ٥٠

□ دور الوقف الإسلامي في بناء المجتمع المعرفي
■ The role of the Islamic Waqf (Endowments, Charities, NGO) in building the knowledge society
صفحة ٦٥

□ الديانة الإبراهيمية.. عرض ونقد.
■ Abrahamic religion.. Presentation and criticism
صفحة ٩١

□ تصوير الإرهاب في المسلسل الدرامي الأمريكي
■ The portrayal of terrorism in the American drama series: A critical analysis of ٢٤ series
صفحة ١٠٢

□ جـودة الحيـاة المدرسـية وعلاقتهـا بأنمـاط التسـيير الإداري بالمـدارس الثانويـة في الجزائـر.
■ Quality of school life and its relationship to the management patterns of secondary schools in Algeria
صفحة ١٢٣

□ الجَمْعُ بِاخْتِلافِ الضَّرُورَةِ في مُخْتَلَفِ الحَدِيثِ.
■ Reconciling differences in established hadiths by considering the provisions of necessity.
صفحة ١٣٤

□ الماستر المهني في الجامعات الجزائرية
■ Professional Master in Algerian Universities
صفحة ١٤٧

رئيس التّحرير:
د. صلاح الدين سليم أرقه دان.
نائب رئيس التّحرير:
أ.د. حسين عزات عطوي.
هيئة التّحرير:
د. إبراهيم حسين الموسى.
د. يوسف حسن ديب الجاجية

الهَيئةُ الاستِشَارِيّة
ـ أ.د. اسعيدة بنت العربي العثماني (المغرب).
ـ د. حسن تركي عمير الأوسي (العراق).
ـ أ.د. سليم هاني منصور (لبنان) .
ـ أ.د. عبد الله محمد صحراوي (الجزائر).
ـ أ.د. فيصـل عبـد اللـه أحمـد الكنـدري (الكويـت).
ـ د. محمد امحمد العادل (تركيا).
ـ أ.د. محمد حسان الطيّان (سورية).
ـ د. محمـد عبـد الكريـم عبـد اللـه الهـد (السـودان).
ـ د. ناصر الدين محمد الشاعر (فلسطين).
ـ د. أحمد سيف الدين (لبنان).
ـ أ.د. وجيه يعقوب السيد (مصر).

قَوَاعِدُ النَّشر

تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة في أحد العلوم المذكورة باللغة العربية (حاليًا على أن تتسع للغات أخرى لاحقًا)، على أن تحقق الشروط التالية:

١) أن تراعى في المادة المرسلة قواعد البحث العلمي بتوثيق المصادر والمراجع والنصوص، والالتزام بالموضوعية والمنهجية في الكتابة.

٢) ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.

٣) تراجع المواد المرسلة، من قبل محكّمين، ولا تعاد المادة إلى صاحبها في حالة عدم نشرها.

٤) أن يوضع اسم الباحث وصفته العلمية وعنوانه باللغتين العربية والإنكليزية تحت عنوان البحث مباشرة.

٥) أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

- عنوان البحث.
- اسم الباحث ودرجته العلميَّة، والجامعة التي ينتمي إليها.
- البريد الإلكتروني للباحث.
- ملخَّص للدراسة (باللغتين العربية والإنكليزية) في حدود ١٥٠ كلمة.
- الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

٦) أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة

٧) ينضد البحث على الحاسوب على برنامج (Microsoft Word) وتترك مسافتين بين الأسطر.

٨) أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) حجم الخط (١٦) في المتن.
- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (١٤) في المتن.
- تكتب العناوين الرئيسة والفرعية للفقرات بحجم ١٦نقطة مثلها مثل النص الرئيس لكن مع تضخيم الخط .
- أن تكتب الحواشي داخل النص.

٩) كتابة الآيات القرآنية حصرا بالرسم العثماني

١٠) توضع قائمة بالمراجع في آخر البحث على ورقة أو أوراق مستقلة وفق الترتيب الألفبائي.

١١) يُضَمّن البحث المقابل الأجنبي للمصطلحات العربية المستخدمة مرة واحدة عند ورودها لأول مرة.

١٢) أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.

تتم جميع المراسلات باسم رئيس تحرير (المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث - LJSR)
وترسل بالبريد الإلكتروني إلى:
ChiefEditor@derasatwakf.com

كَلِمَةُ العَدَدِ

بقلم/ رئيس التحرير
د. صلاح الدين سليم أرقه دان.

بسم الله ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ نوجه التحية لكل عالم وباحث وطالب يسعى نحو الأفضل، وبعد،

فقد قامت (الجمعية اللبنانية للعلوم والأبحاث - LJSR)، بهمة مجموعة من الأكاديميين ذوي الخبرة العلمية والتربوية، الطموحين في تقديم عمل متميز في فضاء المعرفة والبحث العلمي القائم على أسس موضوعية تعتمد أرقى المعايير، مما يعتبر تحديًا لمجلتنا الناشئة والباحثين الناشرين على صفحاتها، خاصة مع ازدياد أعداد المجلات العلمية، وتعدد مجالات البحوث، واختيار المجلات المحكَّمة المناسبة، وشروط قبول الأبحاث، والمدة التي تستغرقها رحلة البحث من ساعة إيداعه الجهة المحكمة وحتى يرى النور، مما يشكل عدة تحديات، إحداها تتلو الأخرى، أضف إلى ذلك ما تطلبه بعض المجلات المحكمة من رسوم، قد تنوع بها ميزانية الباحث المالية.

ومن نافلة القول التنويه بأهمية وضرورة نشر النتائج العلمية، وحرص الأساتذة الجامعيين ومن في حكمهم على تقديم الأفضل والأجود، وتجنب التسطيح والتكرار في مواضيع تقليدية مستهلكة، وهذا لا يعني المواد العلمية البحتة بل هو يعني - وبطريق الأوْلى - العلوم الانسانية والقانونية والدراسات الأدبية والتربوية، التي تبني الإنسان وتحفظ الهوية وترسم مستقبل الأوطان والأمم.

من أجل ذلك، وتحقيقًا للأهداف التي نذرت (الجمعية اللبنانية للعلوم والأبحاث - LJSR)، نفسها، وخدمة للجسم الأكاديمي أطلقت (المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث) لتتكامل مع زميلاتها العربية والأجنبية، ولتتنافس معها بمعايير علمية موضوعية، وتقدم دفعة جديدة في ميدان العلوم الانسانية

والقانونيــة والدراســات الأدبيــة والتربويــة عــلى وجــه التخصيــص.

تنهـض (المجلـة اللبنانيـة للعلـوم والأبحـاث - LJSR)، بوعـي واسـتعداد لتحديـات عـالم اليـوم المتسـارع التغـير والمتصاعـد في اسـتخدام التقنيـات والتواصـل العلمـي، بهمـة السـادة أعضـاء الهيئـة الاستشـارية الذيـن يمثلـون وطننـا العـربي وطليعـة مـن خـبرات الجامعـات الحكوميـة والخاصـة مـع مـا يعنـي ذلـك مـن فرصـة مطلوبـة لتكامـل الخـبرات العلميـة النظريـة والميدانيـة، وهمـة السـادة أعضـاء هيئـة التحريـر المشـهود لهـم في ميادين عملهـم وخبراتهـم، وشـبكة واسـعة مـن المحكّمـين ذوي الاختصـاص.

و(المجلـة اللبنانيـة للعلـوم والأبحـاث - LJSR) غـير مقتـصرة عـلى النـشر باللغـة العربيـة وحدهـا، بـل تنـشر إلى جانبهـا باللغـات الإنكليزيـة والفرنسـية والتركيـة، وهـي لغـات تمثـل التنـوع الثقـافي الحضـاري الإنسـاني المعـاصر. كـما تعتمـد النـشر الرَّقمـي بالإضافـة إلى النسـخة الورقيـة، لمـا في النـشر الرقمـي مـن مرونـة وسرعـة انتشـار وتوثيـق يتجنـب كثـير مـن عقبـات النـشر الورقـي، بالإضافـة إلى إصـدار أعـداد خاصـة بمواضيـع محـددة تختـصر مـدة انتظـار الأبحـاث للنـشر، كلـما سـنحت الفرصـة.

أيهـا السـادة، إنـه العـدد الأول الـذي نريـده عـلى هيئـة الجمعيـة طموحًـا وتميـزًا وتناميًـا يسـير في خـط متـوازٍ مـع أنشـطة الجمعيـة الأخـرى مـن مؤتمـرات ونـدوات ونـشرٍ للكتـب العلميـة، مرحبـين بأبحـاث ومسـاهمات السـادة الأسـاتذة الباحثـين العلميـة، والعمـل جـار عـلى الحصـول عـلى الترقيـم الـدولي الـذي يعـزز الثقـة بـين المجلـة والباحثـين كـما يعـزز التـزام بالمعايـير الدوليـة المعتمـدة. واللـه تعـالى ولي التوفيـق.

التُّراث الرِّوائيُّ المختلِف في التَّصدِّي للإلحاد وآليَّةُ الإفادةِ منه

The different narrative heritage in addressing atheism and the mechanism for benefiting from it

الدكتور محمد فؤاد ضاهر[1]
Dr. Mohamed Fouad Daher

ملخَّص البحث

هـذا بحـث بعنـوان «**التُّراث الـرِّوائيُّ المختلِـف في التَّصـدِّي للإلحـاد وآليَّـةُ الإفـادة منـه**»، تولَّـدت فكرتُـه مـن مشـهديَّة ذات ثنائيَّـة تعكـس أولاهـما تخبُّطًـا بـين أشـهر طائفتـين مـن المسـلمين وأوسـعهم انتشـارًا وتـبرز في تَجـافي إحداهـما عـن الأخـرى، وتحيـا الثَّانيـةُ مأسـاة إيمانيَّـةً وتيهًـا علميًّـا لـدى جماعـة انتحلـوا الإلحـاد، واسـتعدوا فطـرةَ الخليقـة التـي تنـزع إلى الإيمـان بصانـع الوجـود. فجـاء يسـعى في تقريـب البعيـد وتثبيـت القريـب، إيمانًـا بتلاقـح الحضـارات والثَّقافـات والتقـاء المعـارف الإنسـانيَّة عـلى مشـكاة نـور واحـدة، تحفيـزًا للمسـلمين كي ينفتحـوا عـلى بعضهـم ويسـتفيدوا مـن تراثهـم جميعًـا، للوقـوف صفًّـا واحـدًا في مواجهـة الغـزو الفكـريِّ التَّغريبـيِّ عمومًـا ولا سـيَّما الإلحـاديّ منـه. بنيتـه عـلى مقدِّمـة وتمهيـد ومبحثـين وخاتمـة وفهـرس للمصـادر والمراجـع. واتَّبعـتُ فيـه المنهـج الوصفـيَّ المشـفوع بالتَّحليـليِّ والموشَّـح بالتَّاريخـيِّ لدراسـة جـذور هـذه الظَّاهـرة تاريخيًّـا وانعكاسـاتها عـلى الشَّريحـة المسـتهدَفة في المصـادر الرِّوائيَّـة، ثـمَّ تحليلهـا للنَّظـر في إمكانيَّـة الاسـتفادة مـن منهجيَّـة الأقدمـين في دعـوة المعاصريـن.

وخلصـت إلى أفضليَّـة تقديـم الخطـاب العلمـيِّ في التَّصـدِّي للإلحـاد، والعمـل عـلى التَّرقِّـي بأصحابـه مـن حضيـض مـا هـم عليـه إلى نـور الإيمـان، عـبر الشَّـكِّ المولِّـد للحقائـق العرفانيَّـة، ونقـض مبانيهـم وهدمهـا، والإجابـة عـن تسـاؤلاتهم وحـلِّ إشـكالاتهم. وأنَّ التُّراث الـرِّوائيَّ المختلِـف ينبـوع ثـرٌّ يتشـوَّف إلى باحثـين جادِّيـن لإعـادة بعثـه. لذلـك نوصي بـضرورة السَّـعي إلى تتضافـر الجهـود المسـؤولة لاسـتخراج هـذه الكنـوز العلميَّـة، والعمـل عـلى المشـترك بـين الطَّوائـف الإسـلاميَّة في سـبيل القضـاء عـلى غائلـة الفرقـة، والتَّصـدِّي للأفـكار المناقضـة لأصـل الفِطـرة.

---

(١) باحث أكاديمي وأستاذ جامعي مشارك في جامعة الجنان وكلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية .

Academic researcher and associate professor at Jinan University and the Faculty of Sharia at the Islamic University of Beirut

Abstract

This is a research entitled "**The Different Narrative Heritage in Confronting Atheism and the Mechanism of Benefiting from It**", the idea was born from a dualistic scene, the first of which reflects the confusion between the two most popular and widely spread sects of Muslims and emerges in their estrangement from one another, and the second life is a group's belief, arrogance and arrogance.

The nature of creation that tends to believe in the Creator of existence, so he sought to bring the distant and consolidate the near, believing in the cross –fertilization of civilizations and cultures and the convergence of human knowledge on a single lantern of light, to motivate Muslims to open up to each other and benefit from their heritage all, to stand united in the face of the Western intellectual invasion in general, especially the atheistic one.

Its structure is based on an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, and an index of sources and references. In it, I followed the descriptive, analytical and historical approach to study the historical roots of this phenomenon and its repercussions on the target segment in the narrative sources, and then analyzed it to consider the possibility of benefiting from the methodology of the ancieشnts in inviting contemporaries.

It concluded that it is preferable to present a scientific discourse in addressing atheism, and working to promote its companions from the bottom of what they are to the light of faith, through the skepticism that generates mystical truths, and the overturning and demolition of their buildings, and answering their questions and solving their problems.

The various narrative heritage is a rich source that serious researchers are looking forward to for its revival. Therefore, we recommend the need to seek concerted responsible efforts to extract these scientific treasures, and to work on what is common among Islamic sects in order to eliminate the tyranny of division, and to confront ideas that contradict the origin of instinct.

الكلمات المفتاحيَّة: التُّراث، الإلحاد، الحوار، المذاهب والأديان.

.Keywords: heritage, atheism, dialogue, sects and religions

المقدّمة

الإلحاد في حقيقته مبنيٌّ على عدم الإيمان بالله، وإن ألبسوه لبوس إنكار وجود الله واعتقاد أنَّه ليس للعالَم ربٌّ يخلق ويدبِّر ويُحيي ويميت وليس له إلهٌ يُعبَد ويُقصَد، لأنَّ الإنسان مفطور على النُّزوع إلى السَّماء، وإنْ تُرك وما طُبع عليه لَعلِم أنَّه يعاند ويكابر ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ **[النمل: ١٤]**. وُجد الإلحادُ في غابر الأزمان لدى بيئات ضيِّقة، ووُجدت فئات قليلة تناضل في سبيله وتتبنَّاه نمطَ حياة وثقافة كِيان ووجود، كما وُجد من يحذِّر منه ويقاومه ويدفعه. ثمَّ ذاب ذاكم الفكرُ وتلاشى مع إشعاع نور الإسلام من بين حنايا العِلم والإيمان في ربوع البلاد وقلوب العباد، ليطلَّ من جديد في القرنين الثَّاني والثَّالث حين شهدت الحياةُ العلميَّة موجاتٍ من الانحرافات في الثَّقافة الدِّينيَّة بأبعادها الإيمانيَّة والعَمليَّة والسُّلوكيَّة، وخَلْقِ جوٍّ من التَّوتُّر بينها وبين الدِّراسات العلميَّة والفكريَّة والمعرفيَّة القائمة على البحوث التَّجريبيَّة والتَّطبيقيَّة في نزعة حادَّة نحوَ العقلانيَّة المطلقة! وعُرف في هذا الوسط مصطلح الزَّندقة. ما دفع بالإصلاحيين إلى التَّصدِّي لهذه الموجات الإلحاديَّة وتفكيكها والإجابة عن سؤالات لاحت في سماء العرفان الإيمانيِّ فشابَهتِ الحقَّ دون أن تشبهه بوجه، فكانت شُبهاتٍ تصدَّى لها زعيم الحوزة العلميَّة آنذاك الإمام جعفر بن محمَّد الصَّادق (ت١٤٨هـ)، لمنع الارتياب في الحقائق الإسلاميَّة ودفع الفساد.

١ - أسباب اختيار البحث:

بما أنَّ الطُّرقَ الآيلةَ إلى تحقيق ذيَّاك الإيمان، ودحض عوالق الجاهليَّة ورواسب الدَّهريَّة تتلاقى على كثيرٍ منها الفِرقُ الإسلاميَّة الرَّئيسة؛ وجدتُني مَعنيًّا في ترسيخ هذا المعنى في المجتمع العربيِّ والمسلم، تعريفًا بالآخر الذي هو «أخٌ لنا في الدِّين»، رجاءَ أن نشكِّل سويًّا مفهوم العائلة الواحدة والأسرة المتكاملة، التي مهما تعدَّدت وجهات نظر أفرادها فلا يخرجوا عن كونهم إخوةً متساوين في الحقوق والواجبات، في ظلِّ وطنٍ يسعى الجميع إلى المحافظة على وحدته وتماسكه وتقدُّمه وازدهاره.

فكان هذا البحث للإضاءة على إرث روائيٍّ مختلِف[٢]، يأتي وصلاً لماضي هذه الأمَّة بحاضرها، وخطوةً جادَّةً على طريق التَّقريب بين المسلمين وبناء الكثير من الجسور والتَّقليل من الجدران، من خلال إبراز ما يمكن الاشتغال به من قواسم مشترَكة يسهم البِناءُ عليها في تأسيس بيئاتٍ ثقافيَّة متجانسة ومتوائمة تؤمن بالتَّعدُّدية مع وحدة الشُّعور[٣]، وتبحث عن الآخر الشَّبيه لها والمكمِّل لأهدافها ومقاصدها، لإعلام الأنام أنَّ في هذا الجهد مندوحةً عن الانشغال بأسباب الخلاف التي وُجدت ولم تزل ولن تزول، وكي يكون لَقاحًا وقائيًّا مضادًّا لما ينتظر فلذات أكبادنا في منافذ التَّواصل الاجتماعيِّ، ليس هذا

(٢) ينظر: أبو زهرة، محمد. **الإمام الصادق - حياته وعصره، آراؤه وفقهه**. القاهرة، دار الفكر العربي، ط١. ص ١٠ -١١، ٩٦.

(٣) ينظر: أبو زهرة، محمد. **الإمام زيد - حياته وعصره، آراؤه وفقهه**. القاهرة، دار الفكر العربي، ط١. ص ١٠ -١٢.

فحسب بل للأسف في محاضنَ تربويَّة عريقة باتت موضعَ قلق للعوائل اللُّبنانيَّة؛ المسيحيَّة والإسلاميَّة على السَّواء، حتى ارتفعت أصواتٌ تنادي بالاعتراف بالملحدين في الأسرة اللُّبنانيَّة وإضافتهم كطائفة لبنانيَّة، والحال كما ذهب إليه الجاحظ أنَّ هؤلاء ليسوا أُمَّةً ولا قام لهم عمران قط، فأنىَّ يكون لهم اليوم؟! قال: «والزَّنادقةُ لم تكن قطُّ أمَّةً، ولا كان لها مُلك ومملكة، ولم تزل بين مقتول وهارب»(٤).

٢ - أهمِّيَّة البحث:

تتجلَّى أهمِّيَّة البحث الجامع بين مسلَّمات المعقول وثوابت المنقول، في إثبات الحقيقة الكبرى التي هي أُسُّ الحقائق المتدلِّية منها. ويُبرِز جهدَ التُّراث الرِّوائيِّ المختلِف في إثبات وجود الصَّانع، وتوحيد مُوجِد الوجود المعبود بحقٍّ، وإظهار الآليَّة المثلى لاحتواء الآخر، بهدف اكتساب المناعة والتَّحصين الذَّاتيِّ من أيِّ دخيل على الفطرة الإنسانيَّة، والعمل على التَّصدِّي له ومواجهته، ثمَّ الدَّعوة إلى الحقِّ ونشره عِلمًا وثقافة وأسلوب حياة.

٣ -إشكاليَّة البحث:

ينطلق البحث من الإجابة عن سؤال رئيس، وهو: هل شعرت الأُسرة المسلمة -بتعدُّد فرقها - بخطر الإلحاد المحدِق وأنَّه مشروع ظاهرُه يجتمع مع باطنه في سلخ المجتمع عن ربوبيَّة خالقه فتصدَّت له؟ ثمَّ تتفرَّع عنه أسئلة تابعة، وهي: ما مفهوم الإلحاد؟ وما جذوره؟ وكيف تعامل الأئمَّةُ والإصلاحيُّون مع شبهات الملحدين؟ وهل يمكن أن يُتَّخذ منهجُهم خريطةَ سير في عصر العولمة والانفتاح الكونيِّ والرَّقميِّ والنَّوعيِّ؟

٤ - أهداف البحث:

الأطروحات المقدَّمة من ملاحدة هذا الزَّمان لا تختلف كثيرًا عمَّا طُرح سابقًا، وإن أخذت إطارًا جديدًا في الأسلوب وصوغ الإشكاليَّة. فطَرْقُ هذا الموضوع من هذا الباب يفضي بلا شكٍّ إلى الاطِّلاع على ما عند المسلمين بطوائفهم من الحلول النَّاجعة لهذا الدَّاء. فأرجو أن يكون البحثُ قلعةً منيعة يتحصَّن بها رُوَّاد الفكر والثَّقافة، وانطلاقة عرفانيَّة لشعاع الحوار الآمن والدَّافئ، بغيةَ إعادة السَّكينة إلى قلب الأُسر المؤمنة، وسببًا في التَّعرُّف إلى الآخر المختلِف من خلال مصادره ومراجعه المباشرة توطينًا للنَّفْس على التَّثبُّت وشدًّا لوثاق وحدة الجماعة.

٥ - مصادر البحث الأوَّليَّة:

بُني البحثُ على ما ورد من أخبار وروايات تتضمَّن مناقشاتٍ ومناظرات تُنسَب إلى أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام، عن طريق كتاب **الكافي**، لا سيَّما **الأصول** منه، كمصدرٍ رئيسٍ خشيةَ التَّطويل. وغير خافٍ أنَّه لا يلزم من كونها مرويَّةً عن أئمَّة أهل البيت صحَّتُها من

(٤) الجاحظ، أبو عثمان: عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ). **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٨٤ -١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ -١٩٦٦م، ٨ج، ٤/٤٣٢.

ناحيـة الصَّنعـة الحديثيَّـة، إلاَّ بعـد النَّظـر في أسـانيدها وإعـمال الرَّويَّـة في رجالهـا وسـلامة متنهـا كـما لا يخفـى. وحيـث إنَّ الهـدف مـن موضـوع البحـث يتجـاوز هـذه الغايـة إلى مقصـدٍ آخـرَ هـو التَّأمُّـل في تضاعيفهـا والإفـادة مـن مضامينهـا؛ فقـد غضضنـا الطَّـرْف عـن الحُكـم عليهـا قَبـولاً وردًّا، وقصَدْنـا إلى اسـتخراج الحكمـة المجـرَّدة لا تصحيـح النِّسـبة مـن عدمهـا[٥]، و«الحكمـة ضالَّـة المؤمـن أينـما وجدهـا فهـو أحـقُّ بهـا».

وأسميته: **التُّراثُ الرِّوائيُّ المختلِف في التَّصدِّي للإلحاد وآليَّةُ الإفادةِ منه.**

ونعنـي بالـتُّراث الـرِّوائيِّ المختلِـف: النُّصـوص الحديثيَّـة الـواردة إلينـا مـن خـارج مصـادر أهـل السُّـنَّة والجماعـة والتـي يمكـن أن تكـون نقطـةَ التقـاء بـين الاتِّجاهـات العِلميَّـة عـلى وحـدة موضوعيَّـة جامعـة.

الكلمات المفتاحيَّة: التُّراث، الإلحاد، الحوار، المذاهب والأديان.

٦ - خطَّة البحث:

نظمتُ البحثَ في مقدِّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفِهرس للمصادر والمراجع.

التَّمهيد: تهافُت الفلسفات الإلحاديَّة أمام المدارك العقليَّة.

المبحث الأوَّل: شُبهات الفكر الإلحاديِّ.

المبحث الثَّاني: منهجيَّة الإمام الصَّادق في تفكيك العقل الإلحاديِّ.

الخاتمة: تتضمَّن أهمَّ النَّتائج، والتَّوصيات.

واللهَ أرجو القَبولَ والسَّداد.

التَّمهيد:

تهافُت الفلسفات الإلحاديَّة أمام المدارك العقليَّة

المطلب الأوَّل: أضواء على الفلسفات الإلحاديَّة:

شـهد تاريـخُ الإنسـانيَّة عـلى مـرِّ العصـور حضـاراتٍ عديـدةً، منهـا: الحضـارةُ الهنديَّـة ذات الدِّيانـة الهندوسـيَّة والبوذيَّـة، والتـي تعـود إلى أربعـة آلاف سـنة قبـل الميـلاد. عمـل الهنـود عـلى نـشر عقائدهـم والتَّبشـير بهـا في مختلِـف بـلاد الدُّنيـا. وهـذا مـا أدلـف بدلـوه في تاريـخ الأديـان والفِـرق والمذاهـب وأثَّـر في تكوينهـا وبلورتهـا. والنَّاظـر في حيـاة العـرب زمـنَ الجاهليَّـة يلحـظ كيـف سـادَت فيهـم الوثنيـةُ تأثُّـرًا بمـا كانـت تنـزع إليـه فـارس وتديـن بـه الـرُّوم قبـل تحوُّلهـا

(٥) ينظر: أبو زهرة. **الإمام الصادق**. ص ١٣، ١٥.

إلى المسيحيَّة في عهد الإمبراطور قسطنطين (٣٢٤ -٣٣٧م). لتأرجح بلاد العرب قبل الإسلام بين الإمبراطوريَّتين الفارسيَّة والرُّومانيَّة بما تحملانه من حضارة وثقافة.

وإذ قد نبغت الحضارة اليونانيَّة في فنون شتَّى، وظهر فيهم أساطينُ الفلسفة الغربيَّة القديمة، وانتشرت ثقافتُهم في الشَّرق وبالأخصِّ في العصر العباسيِّ حين نشطت حركةُ التَّرجمة والتَّعريب أيامَ هارون الرَّشيد (ت١٩٣هـ) وابنه المأمون (ت٢١٨هـ) الذي عهد بتعريب الكتب اليونانيَّة والسُّريانيَّة، وجرت الأقلامُ في نسخ هذه الكتب المعرَّبة وتناقلها، حتى انتقلت الثَّقافةُ اليونانيَّة إلى ديار المسلمين بما تحمله من علوم وفلسفات. فالحضارة الفارسيَّة هي الأخرى ازدهرت زمنَ الدَّولة السَّاسانيَّة، وبرزت في السِّياسة والحرب والفلسفات الأخلاقيَّة والتَّربويَّة والدِّينيَّة، وسيطرت فيها الزَّرادشتيَّة. وكانوا في أوَّل أمرهم صابئة يعبدون الشَّمس والقمر وسواهما، ثمَّ غلبت عليهم المجوسيَّةُ فعبدوا النَّارَ حتى صارت الدِّيانةَ الرَّسميَّة للإمبراطوريَّة، ثمَّ فشت فيهم الثَّنويَّةُ بمذاهبها كلِّها، وهذا يومض إلى بروز التَّناقضات العقائديَّة العميقة الجذور في أوساط المجتمع الفارسيِّ التي تركت انعكاساتِها على النِّظام الاجتماعيِّ. ولمَّا مكَّن اللهُ المسلمين من فتح بلاد فارس وقوَّضوا عرش الكِسرويَّة؛ دخل بعضُ الفرس في دين الإسلام وهم يبيِّتون الكيد منه ومن أهله، وأدخلوا معهم طائفةً من عقائدهم وهرطقاتِهم، وهكذا الشَّأن في غيرهم من أهل الدِّيانات والمِلل.

بناءً عليه، كثرت الفلسفات التي شهدتها المسيرةُ الإنسانيَّة عبر نضالها الإيمانيِّ الطَّويل والتي امتدَّت ذيولُها حتى الدَّولة الأُمويَّة والعبَّاسيَّة، وكان لها دورٌ تأثيريٌّ في تشكيل الفكر الإلحاديِّ بين صفوف المسلمين. ويمكن أنْ نرجعها إلى الثَّلاثة الآتية:

أ) السُّوفسطائيَّة: من السَّفسطة، أي: الحِكمة الموَّهة. وهي قياس مركَّب من وهميَّات، لأنَّ مقدِّماته كاذبة أو شبيهة بالحقِّ وليست به، وتعود إلى Protagoras[٦]. وتقوم نظريَّتُهم على إنكار المحسوسات، فليس ثَمَّ وجودٌ خارجيٌّ مستقلٌّ عمَّا في أذهانهم، فما يظهر للشَّخص أنَّه الحقيقة يكون هو الحقيقة له؛ فإذا رأى السَّراب ماءً فهو عنده ماءٌ على الحقيقة[٧]! وهي ثلاث فرق:

١ - العناديَّة: التي تنكر حقائقَ الأشياء الحِسِّيَّة والعقليَّة، وتُكذِّب حِسَّها وعقلها، وترى ذلك وهمًا وخيالاً.

---

(٦) بروتاغوراس Protagoras سفسطائي يوناني وُلد في أبدرا (نحو ٤٨٥ -٤١١ق.م) صاحب مذهب حسي نسبي. عارض فكرة الحقيقة المطلقة بتعدد الآراء ووجهات النظر. وهو قائل: «الإنسان مقياس الأشياء طرًّا» القول الذي نقده أفلاطون في محاورة ثياتاتوس. عُرف بتشاؤمه لكنه لم يبلغ حدَّ عدمية غورغياس. وكان سبَّاقًا إلى القول بالظاهرية بتأكيده أن «الحقيقة هي الظاهرة للوعي»، وأنَّ كل شيء نسبي، وأن الموجود لا وجود له إلا بالإضافة إلى الوعي. طرابيشي، جورج. معجم الفلاسفة. بيروت، دار الطليعة، ط٣، ٢٠٠٦م. ص ١٧٠. وينظر: ديورانت، ويليام جيمس (ت١٩٨١م). قصة الحضارة. تعريب: د. زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت، دار الجيل - تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٤٢ج. ٧/ ٢١٤.

(٧) ينظر: ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس: أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ). **مجموع الفتاوى**. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٣٥ج. ١٩/ ١٣٥. التهانوي، محمد بن علي الفاروقي الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ). **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. تحقيق: د. علي دحروج، تعريب: د. عبد الله الخالدي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م، ٢ج. ١/ ٩٥٧ -٩٥٨، مادة: السفسطة.

٢ - اللاأدريَّـة المتجاهلـة: التـي تشـكُّ في حقائـق الأشـياء وتـتردَّد فيهـا، وتقـول: لا أدري، ألهـا وجـودٌ أم لا؟ وبالتَّـالي لا يتَّخـذون موقفًـا معيَّنًـا مـن قضيَّـة الألوهيَّـة عـلى اعتبـار أنَّهـا مسـألة عِلميَّـة ولا تحمـل أهمِّيَّـة بالنِّسـبة إلى الإنسـان.

٣ - العِنديَّـة: التـي تـرى أنْ ليـس للأشـياء حقيقـةٌ ثابتـة في نفسـها، بـل تتبـع إدراك مَـن أدركهـا وعقيـدة مـن خطـرت ببالـه.

ب) السُّـمَنيَّة: نِسـبةً إلى سـومنات، أي: صاحـب القمـر. وهـو اسـم لصنـم عظيـم مـن أصنـام الهنـود[٨]، بنَـوا عليـه بيتًـا واتَّخـذوه معبـدًا ومـزارًا يحجُّـون إليـه[٩]. انتـشر السُّـمنيَّةُ في بـلاد مـا وراء النهـر، وعُرفـت نِحلتُهـم بعـد الإسـلام في صنـف مـن العجـم كانـوا بناحيـة خُراسـان. ثـمَّ انقسـموا عـلى أنفسـهم فرقًـا عـدَّة، وقالـوا بطائفـة مـن المعتقـدات، منهـا: قِـدَم العالَـم وإنـكار الصانـع. وتناسـخ الأرواح في الصـور المختلفـة. وتكافـؤ الأدلَّـة حيـث أبطلـوا النَّظَـر والاسـتدلال وأنكـروا مـن العلـم مـا سـوى الحسِّـيَّات، وأنكـروا المعـاد والبعـث بعـد المـوت[١٠].

ج) الثَّنويَّـة: أصحـاب الاثنـين الأزليَّـين، يزعمـون أنَّ النُّـور والظُّلمـة أزليَّـان قديمـان[١١]. وهـي مذاهـب شـتَّى، منهـا:

١ - الدَّيَصَانيَّـة: نسـبة إلى مؤسِّسـها دَيَصَـان[١٢]. أثبتـوا أصلـين: نـورًا وظلامًـا، فالنُّـور يفعـل الخـيرَ قصـدًا واختيـارًا، والظَّـلام يفعـل الـشَّرَّ طبعًـا واضطـرارًا. فـما كان مـن خـير ونفـع وطيـب وحسـن فمـن النُّـور، ومـا كان مـن شرٍّ وضرر ونـتن وقبـح فمـن الظَّـلام. وزعمـوا أنَّ النُّـورَ حـيٌّ عـالم قـادر، ومنـه تكـون الحركـة والحيـاة. والظَّـلامَ ميـتٌ جاهـل عاجـز لا فعـل لـه ولا تمييـز[١٣]. انتـشرت الدَّيَصانيَّـة بالعـراق في العـصر العبَّـاسيِّ، وكانـت لهـم مناظـرات مـع فلاسـفة المسـلمين ومتكلِّميهـم آنـذاك، سـنأتي عـلى تحليـل واحـدة منهـا.

٢ - المانويَّـة: أصحـاب Mani[١٤] الـذي أحـدث دينًـا بـين المجوسـيَّة والنَّصرانيـة وتأثَّـر

(٨) هدمـه سـنة ٤١٦هـ السُّـلطان الغزنـويُّ يمـين الدولـة محمـود بـن سـبكتكين (ت٤٢١هـ). البـيروني، أبـو الريحـان: محمـد بـن أحمـد الخوارزمـي (ت٤٤٠هـ). **تحقيـق مـا للهنـد مـن مقولـة مقبولـة في العقـل أو مرذولـة**. بـيروت، عـالم الكتب، ط٢، ١٤٠٣هـ. ص ٣٩٠ -٣٩١.

(٩) موضـع عـلى المحيـط الهنـدي في شـبه جزيـرة كاثيـاوار بالكجـرات عـلى شـاطئ بحـر العـرب. د. النمـر، عبـد المنعـم. **تاريـخ الإسـلام في الهنـد**. بـيروت، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنـشر، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص ١٢٤.

(١٠) البغـدادي، أبـو منصـور: عبـد القاهـر بـن طاهـر الإسـفراييني (ت٤٢٩هـ). **الفَـرق بـين الفـرق وبيـان الفرقـة الناجيـة**. بـيروت، دار الآفـاق الجديـدة، ط٢، ١٩٧٧م. ص ٢٥٣، ٣١١، ٣٤٦. النديـم، أبـو الفـرج: محمـد بـن إسـحاق الـورَّاق البغـدادي (ت٤٣٨هـ). **الفهرسـت**. تحقيـق: رضـا تجـدد. ص ٤٠٨.

(١١) الشهرستاني، أبو الفتح: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ). **الملل والنحل**. القاهرة، مؤسسة الحلبي، ٣ج. ٢/ ٤٩.

(١٢) دَيَصـان: اسـم نهـر يمـرُّ بمدينـة الرُّهـا (أورفـة حاليًـا)، وهـو أحـد روافـد نهـر الخابـور الـذي يصـب في الفـرات. وُلـد عليـه صاحـب الدَّيصانيَّـة وأخـذ اسـمه. ظهـر في بـلاد فـارس قبـل مـاني، والمذهبـان متشـابهان. ينظـر: النديـم. **الفهرسـت**. ص ٣٩٢، ٤٠٢.

(١٣) الشهرستاني. **الملل والنحل**. ٢/ ٥٥.

(١٤) مـاني بـن فاتـك الحكيـم وُلـد زمـنَ سـابور بـن أردشـير بـن بابـك سـنة ٢١٦م. كان نقَّاشًـا خفيـف اليـد رسَّـامًا. بـدأ يدعـو إلى نحلتـه سـنة ٢٤٠م وصـولاً إلى بالوشسـتان، ثـم في الإمبراطوريـة الساسـانية في عهـد شـاهبور الأول. ناظـره إذربـاذ بـن ماركسـفند بحـضرة بهـرام الأول بـن هرمـز بـن سـابور في مسـألة قطـع النَّسْـل وتعجيـل فـراغ العـال، فظهـر إذربـاذ عليـه وانقطـع مـاني، فأُعـدم مـع بعـض جماعتـه سـنة ٢٧٧م، وبقيـت منهـم بقايـا اتبعـوا مـزدك. لـه: الرسـائل، والفصـول، وكتـاب المزامـير والصلـوات. النديـم. **الفهرسـت**. ص ٣٩١. ابـن حـزم، أبـو محمـد: عـلي بـن أحمـد الظاهـري (ت٤٥٦هـ). **الفصَـل في الملـل والأهـواء والنحـل**. القاهـرة، مكتبـة الخانجـي، ٥ج. ١/ ٣٧. الـرازي، فخـر الديـن، أبـو عبـد اللـه: محمـد بـن عمـر الشـافعي (ت٦٠٦هـ). **اعتقـادات فـرق المسـلمين والمشركـين**. تحقيـق: عـلي سـامي النشـار، بـيروت، دار الكتـب العلميـة. ص ٨٨. طرابيـشي. **معجـم**

بالغنُّوصيَّـة واليهوديَّـة، آمـن بنبـوَّة المسـيح عليه السلام ولم يؤمـن بنبـوَّة مـوسى عليه السلام. وتعتقـد المانويَّـة أنَّ العالَـم مركَّـب مـن أصلـين قديمـين: أحدهـما نـور والآخـر ظلمـة، وأنَّ قبسـات النُّـور تسـعى إلى الانعتـاق مـن نـير الظَّـلام والمـادَّة، لذلـك بعـث اللـهُ الأنبيـاء وخاتمهـم مـاني[١٥].

٣ - المزدكيَّـة: أصحـاب مـزدك الْمُوبَـذ[١٦]. وقولهـم كقـول المانويَّـة في الكونـين والأصلـين، إلَّا أنَّ مـزدك انفـرد بـأنَّ النُّـور يُفعَـل بالقصـد والاختيـار، بينـما الظَّلمـة تُفعـل عـلى الخبـط والاتِّفـاق. والنُّـور عـالم حسَّـاس، والظَّـلام جاهـل أعمـى[١٧].

هـذه المذاهـب الفلسـفيَّة كان لهـا حضـورٌ قـويٌّ في تاريـخ الأئمَّـة، وسـنلحظ خـلالَ البحـث انتـماءَ الملحديـن إليهـا بالنَّـصِّ أو بالاسـتنباط مـن جـرَّاء سـياق المناظـرات. مـا يؤكِّـد عـدمَ مـوت الآراء والأيديولوجيَّـات بمـوت أصحابهـا، ممَّا يحتِّـم عـلى الدَّاعيـة أن يكـون مسـتعدًّا دومًـا لمحـاورة الفكـر بالفكـر والحُجَّـة والبرهـان، وأن يكـون ريَّـان بالعلـوم الشَّرعيَّـة والعقليَّـة التـي تمكِّنـه مـن خـوض هـذا المجـال دون أن يرتـدَّ عليـه بالـضَّرر.

المطلب الثَّاني: أثر المنزع العقليِّ في الدَّلالة على الصَّانع:

عظمـة صنـع الخالـق وإدراك وجـوده تُنـال بدليلـين؛ أحدهـما عقـليٌّ وهـو مـا يُسـمَّى بالبرهـان، وثانيهـما نقـليٌّ وهـو المتمثِّـل بالآيـات والرِّوايـات. وابتنـاءُ الفكـر الإسـلاميِّ عـلى المـدارك العقليَّـة يشـكِّل حجـر الزَّاويَّـة في تقـارب الفـرق الكلاميـة والمذاهـب الإسـلاميَّة كالإماميَّـة والمعتزلـة والإباضيَّـة في نـواحٍ دقيقـة وشـائكة.

وحيـث إنَّ الغالـبَ عـلى تلـك الحقبـة الزَّمنيَّـة إبَّـانَ تشـكُّل العقـل الكلامـيِّ الجـدلُ والمناظـرة، لتثبيـت دعائـم المعتقـد والمذهـب، في ضـوء تكاثـر الفـرق والملـل وتنامـي الطَّوائـف والنِّحَـل، التـي نشـأت طفـرة واحتاجـت إلى بلـورة مرتكزاتهـا في ظـلِّ المتغـيِّرات المناخيَّـة للأجـواء العامَّـة، ومواكبة التَّطـوُّرات الفكريَّـة والاهتمامـات الجدليَّـة التـي شـهدتها حركتـا التَّرجمـة والتَّعريـب، بالإضافـة إلى انفتـاح بـلاد العـرب والمسـلمين عـلى ثقافـاتٍ وحضـارات ضاربـة في بطـن التَّاريـخ، فضـلاً عـن عـادات وتقاليـدَ لا قِبـلَ لهـا بهـا؛ فقـد شـغلت المباحـثُ الكلاميَّـة حيِّـزًا مـن المطارحـات والمباحثـات التـي تمخَّـض عنهـا تـراثٌ حافـل كفيـلٌ للأجيـال المتتابعـة أن تسـتجمعه وتسـتوعبه، وتعمـلَ عليـه أكاديميًّـا، وتسـتفيد منـه مسـلكيًّا ودعويًّـا، وتحقيـق الانطلاقـة منـه، لترسـيخ دعائـم الوحـدة الوطنيَّـة عـلى وشـائج التَّعايـش السِّـلميِّ والمجتمعـيِّ المنشـود، بمنـأى عـن غائلـة الفُرقة والانقسـام المسـموم وخطـاب الكراهيـة والإلغـاء والإقصـاء الـذي إذا خيَّـم بشـبحه أهلـك الحـرث والنَّسـل.

إنَّ هـذا الاهتـمام العلمـيَّ العرفـانيَّ ألقـى بذيـول الصِّـدام والمواجهـة مـعَ مُدَّعـي العقلانيَّـة

الفلاسفة. ص ٦٢٩.

(١٥) الشهرستاني. **الملل والنحل**. ٢/ ٤٩. طرابيشي. **معجم الفلاسفة**. ص ٦٢٩

(١٦) مـزدك بـن نامـدان، الموبـذ، أي: العـالم القـدوة. ظهـر بفـارس أيَّـامَ قبـاذ بـن فـيروز بـن يزدجـرد سـنة ٤٨٧م. ادَّعـى النبـوة وأظهـر الاشـتراكية والإباحيـة في المـال والأبضـاع، وحصـل لـه مناظـرة في ذلـك مـع أنـوشروان بـن قبـاذ انقطـع فيهـا مـزدك وطُبِّـق عليـه الـشرط فأُعـدم. ابـن حـزم. **جمهـرة أنسـاب العـرب**. بـيروت، دار الكتـب العلميـة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص ٥١١. الـرازي. **اعتقـادات فـرق المسـلمين والمشركـين**. ص ٨٩.

(١٧) النديم. **الفهرست**. ص ٤٠٦. الشهرستاني. **الملل والنحل**. ٢/ ٥٤.

والمحتكمين إلى التَّجربة ومظاهر الطَّبيعة والعائدين إلى العلم بمعناه المادِّيِّ البحت، ممَّن يجدون أنفسهم على خلاف مع الفطرة السَّويَّة الدَّاعية إلى الإيمان المطلَق بربِّ البريَّة، ممَّن تغلغلت فيهم لوثةُ الجاهليَّة القائمة على ثقافة تقديس المظاهر والإيمان بالمادَّة والمحسوس والخضوع له، أو تعديد الآلهة ونفي فكرة الأحاديَّة الصَّمدانيَّة، أو المرجعيَّة الواحدة لهذا الإنسان والكون والحياة. وإلاَّ فليس ثَمَّ تضاربٌ بين الدِّين والعلم، وليس صحيحًا ما يُزعَم ويُروَّج له من أنَّ أحد شروط التَّفوُّق العلميِّ هو الابتعاد عن الدِّين! كلاَّ؛ فالإيمانُ بالخالق لا يتطلَّب أن يكون الإنسانُ عالمًا، بل يكفي أن يكون عاقلاً فقط، ومع هذا فالإنسانُ كلَّما ازداد علمًا؛ ازداد إيمانًا وخشيةً وتعظيمًا لخالق هذا الكون، قال الحقُّ سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧﴾[غافر: ٥٧].

لذلك نجد أشهر العلماء Scientists يؤمنون بوجود إله. وهذا ناشئ لا محالة عن طبيعة التَّعمُّق في العِلم الذي يفتح العقل أكثر حتى يدلَّ على الله. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ أشهر عالم أحياء Biologists في التاريخ، Charles Darwin، كان مؤمنًا بالإله الإبراهيميِّ، ونُقِل عنه أنَّه قال عام ١٨٧٩م أي قبل وفاته بسنتين: «لم أكن أبدًا ملحدًا».

وهذا ما يتوافق تمامًا مع Albert Einstein (ت١٩٥٥م) الذي استفاض عنه قوله: «كلَّما تعمَّق المرء في اختراق أسرار الطَّبيعة، كلَّما ازداد توقيرُه لله»، و«كلَّما درسْتُ العلومَ كلَّما ازداد إيماني بالله»، الذي ما غاب أحدٌ عن شمس معرفته إلاَّ لغباش في عين بصيرته، وتحقيق الإيمان به ربًّا قديرًا وعالمًا حكيمًا، انسجامًا تحقيقيًّا مع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤﴾[الرعد: ٢ -٤]، وقوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٣﴾[فُصِّلت: ٥٣].

لذلك كان Einstein يتبرَّم من واقع مَن يحاول الالتصاقَ به زورًا ليمرِّر إلحادَه، إذ يقول: «في ضوء هذا الانسجام الذي في الكون، والذي بعقلي البشريِّ المحدود قادرٌ على إدراكه، هناك -مع ذلك- أناسٌ يقولون: لا إله! ولكن ما يغضبني حقًّا هو أنَّهم يستشهدون بي لدعم مِثل هذه الأفكار».

بناءً عليه، يمكننا أن نقول ونحن مطمئنُّون: إنَّ الإلحادَ أكثرُ من ظاهرة مجتمعيَّة، إنَّه مشكلة نفسيَّة تبدأ مع المرء ثَمَّ يغذِّيها الميلُ الجانح نحو الهوى المتأثِّر بالعوامل الخارجيَّة والانبعاثات المحيطة من رفقة مُفسِدة أو تمرُّد على واقع مؤلم؛ كردَّة فعل سلبيَّة على حدث مفجع، أو قلَّة ذات اليد وغلبة الفقر والعوز الذي هو بحدِّ ذاته نوعٌ من أنواع الكفر أو دافع إليه، كما روي في الأثر «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»[١٨].

(١٨) أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ). **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ، ج١٠، ٣/٥٣، ١٠٩، ٨/٢٥٣، عن أنس بسند فيه ضعف.

والرُّكون إلى العقل في ملازمة ما جاء السَّمعُ بدعمه وتأييده، يشكِّل ضمانةً حيويَّة لا فِكاكَ عنها، في مخاطَبة الجيل المعاصر الذي طغت عليه المسحةُ الماديَّة والقفزةُ العِلميَّة والفزعة العقلانيَّة والقيادة التِّكنولوجيَّة والإلكترونيَّة.

المبحث الأوَّل: شُبهات الفكر الإلحاديِّ

الفكرة التي قام عليها العقلُ الإلحاديُّ زمنَ الأئمَّة تتلخَّص في أنَّ تصوُّراتِ الملحد عن الخالق والحياة والكون والمبدأ والمعاد محاطةٌ بالأوهام والأساطير، فضلاً عن إغراقه في الجهالة بحقائق الدِّيانة، وتأثُّره بالأفكار الواردة من خارج البيئة الإيمانيَّة، وهذا ما يتجلَّى من خلال صور الرَّدِّ التي اكتنفت إجابات الإمام جعفر الصَّادق.

لم يتوانَ إمامُ أهل البيت عن محاورة اللادينيين كلَّما سنحت له فرصة الاتِّصال بهم والتَّحدُّث إليهم. ولا فرق لديه بين أن يكون تواصلُه معهم مباشرة أو بواسطة، ولا بين أن يكون في بلده أو في بلد أخرى. وكان حينًا يأتي إليهم وأحيانًا يؤتى إليه. هو في ذلك كلِّه ينشر تعاليم السَّماء ويبشِّر بمبادئ القرآن، قد اتَّخذ من الوحي بقسميه كشَّافاً يستبصر به في طريق الدَّعوة والهداية. وهذا غيض من فيض معينه الدَّفَّاق يزهر بطرائق التَّفكير، وينبض بمسالك النَّظَر والتَّعليل وسبل الجدال منقطع النَّظير.

أعرضُ نماذجَ من مناظراته لاستلهام منهجيَّة تفكيره وآليَّة الرَّدِّ والإبطال وتوجيه المنكرين في مشروع الدَّعوة إلى الحقِّ مصحوبًا بأدب الخلاف، بغيةَ تقريب منهجه للإفادة منه في الخطب والدُّروس والرَّسائل. وبما أنَّ الفكر الإلحاديَّ المعاصر مشروعٌ قديم بأثواب جديدة؛ فيمكن اختزالُه بالشُّبهات الآتية في مطلبين:

الشُّبهة الأولى: نفي الرُّبوبيَّة بالظَّنِّ لعدم دركها:

أوَّلاً: سرد أحداث المناظرة:

قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ[19]: كَانَ بِمِصْرَ زِنْدِيقٌ يَبْلُغُهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَشْيَاءُ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُنَاظِرَهُ، فَلَمْ يُصَادِفْهُ بِهَا! وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ خَارِجٌ بِمَكَّةَ. فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَصَادَفَنَا وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي الطَّوَافِ، وَكَانَ اسْمُهُ: عَبْدُ الْمَلِكِ، وَكُنْيَتُهُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ. فَضَرَبَ كَتِفَهُ[20] كَتِفَ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ:

"مَا اسْمُكَ؟". فَقَالَ: اسْمِي عَبْدُ الْمَلِكِ. قَالَ: "فَمَا كُنْيَتُكَ؟". قَالَ: كُنْيَتِي أَبُو عَبْدِ اللهِ.

---

(١٩) أبو محمد: هشام بن الحكم الشيباني، مولى كِندة. وُلد بالكوفة، ونشأ بواسط، وسكن بغداد. تربىَّ في أحضان بعض الزنادقة إذ كان غلامًا لأبي شاكر الدَّيصاني. انقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي (ت١٩٠هـ)، فكان القيِّم بمجالس كلامه ونظره. ولما حدثت نكبة البرامكة سنة ١٨٧هـ استتر، ثم توفي على إثرها بالكوفة نحو سنة ١٩٠هـ. ويقال: عاش إلى خلافة المأمون (ت٢١٨هـ). ابتدأ دعوتَه على مذهب الجهمية، ثم قال بالتجسيم، ثم صار من كبار أصحاب الصادق والرضا (ت٢٠٣هـ) ومشاهير القوم. اضطربت قالةُ الرِّجاليين فيه لما له من مقولات تحيل الحليمَ حيرانَ تفوح منها رائحة منكرة، ذكر بعضها الكليني، أبو جعفر: محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ). **الأصول من الكافي**. تحقيق: قسم إحياء التراث، دار الحديث، ٨ج. كتاب التوحيد، باب النهي عن الجسم والصورة، ١/ ٢٥٥، رقم: ١/ ٢٨٥. وروي مدحه عن البعض، تُنسب إليه الفرقة الهشامية. النديم. **الفهرست**. ص ٢٢٣. الكشي، أبو عمرو: محمد بن عمر. **معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين - رجال الكشي**. اعتنى به: أحمد الحسيني، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ص ١٨٦ -٢٠٠، رقم: ١٣١.

(٢٠) منصوب على نزع الخافض، أي: فضرب بكتفِه كتفَ أبي عبد الله.

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "فَمَنْ هذَا الْمَلَكُ الَّذِي أَنْتَ عَبْدُهُ؟ أَمِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ، أَمْ مِنْ مُلُوكِ السَّمَاءِ؟ وَأَخْبِرْنِي عَنِ ابْنِكَ: عَبْدُ إِلَهِ السَّمَاءِ، أَمْ عَبْدُ إِلَهِ الأَرْضِ؟ قُلْ مَا شِئْتَ تُخْصَمْ"[٢١].

قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ: فَقُلْتُ لِلزِّنْدِيقِ: أَمَا تَرُدُّ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَقَبَّحَ[٢٢] قَوْلِي.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "إِذَا فَرَغْتُ مِنَ الطَّوَافِ، فَأْتِنَا".

فَلَمَّا فَرَغَ أَبُو عَبْدِ اللهِ، أَتَاهُ الزِّنْدِيقُ، فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللهِ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ لِلزِّنْدِيقِ: "أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلأَرْضِ تَحْتًا وَفَوْقًا؟". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَدَخَلْتَ تَحْتَهَا؟". قَالَ: لا.

قَالَ: "فَمَا يُدْرِيكَ مَا تَحْتَهَا؟". قَالَ: لا أَدْرِي، إِلاَّ أَنِّي أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ تَحْتَهَا شَيْءٌ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "فَالظَّنُّ عَجْزٌ لِمَا لا تَسْتَيْقِنُ".

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "أَفَصَعِدْتَ السَّمَاءَ"؟. قَالَ: لا. قَالَ: "أَفَتَدْرِي مَا فِيهَا"؟. قَالَ: لا.

قَالَ: "عَجَبًا لَكَ! لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ، وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ، وَلَمْ تَنْزِلِ الأَرْضَ، وَلَمْ تَصْعَدِ السَّمَاءَ، وَلَمْ تَجُزْ هُنَاكَ؛ فَتَعْرِفَ مَا خَلْفَهُنَّ وَأَنْتَ جَاحِدٌ بِمَا فِيهِنَّ؟! وَهَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لا يَعْرِفُ؟"[٢٣].

قَالَ الزِّنْدِيقُ: مَا كَلَّمَنِي بِهذَا أَحَدٌ غَيْرُكَ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "فَأَنْتَ مِنْ ذلِكَ فِي شَكٍّ، فَلَعَلَّهُ هُوَ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ". فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: وَلَعَلَّ ذلِكَ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "أَيُّهَا الرَّجُلُ، لَيْسَ لِمَنْ لا يَعْلَمُ حُجَّةٌ عَلى مَنْ يَعْلَمُ، وَلا حُجَّةَ لِلْجَاهِلِ.

يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، تَفَهَّمْ عَنِّي؛ فَإِنَّا لا نَشُكُّ فِي اللهِ أَبَدًا. أَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَلِجَانِ فَلا يَشْتَبِهَانِ، وَيَرْجِعَانِ قَدِ اضْطُرَّا، لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ إِلاَّ مَكَانُهُمَا، فَإِنْ كَانَا يَقْدِرَانِ عَلى أَنْ يَذْهَبَا، فَلِمَ يَرْجِعَانِ؟ وَإِنْ كَانَا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ، فَلِمَ لا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهَارًا، وَالنَّهَارُ لَيْلاً؟ اضْطُرَّا -وَاللهِ، يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ - إِلى دَوَامِهِمَا، وَالَّذِي اضْطَرَّهُمَا أَحْكَمُ مِنْهُمَا وَأَكْبَرُ". فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: صَدَقْتَ.

---

(٢١) تُخْصَم: بالبناء على المفعول، أي: إنْ تقلْ ما شئتَ تصر مخصومًا مغلوبًا بقولك. وبالبناء على الفاعل، أي: تخصم نفسَك. المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ). **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول** ﷺ. تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١١٠ج. ١/٢٣٧.

(٢٢) فقبَّح: بالبناء على التفعيل، أي: عَدَّ الزنديقُ قولي قبيحًا. ويُحتمَل حينئذٍ إرجاعُ ضمير الفاعل إلى الصادق. أو على بناء المجرَّد "فَقَبَحَ"، أي: كان كلامي بحضور الصادق دون إذنه قبيحًا. المجلسي. **مرآة العقول**. ١/٢٣٧.

(٢٣) سؤال خرج عن بابه، يفيد النفي. والمعنى نظير قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} [يونس: 39]؛ فالعقل لا يجوِّزُ أن يُنكِر الإنسانُ ما لا يعلم حتى يعلم نفيَه، كما يمنع أن يقبله حتى يعلم إثباته، مصداق قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: 36]. وعليه فالأمرُ في بقعة الإمكان ما لم يُعلَم نفيُه أو ثبوته.

ثُـمَّ قَـالَ أَبُـو عَبْـدِ اللـه: "يَـا أَخَـا أَهْـلِ مِـصْرَ، إِنَّ الَّـذِي تَذْهَبُـونَ إِلَيْـهِ وَتَظُنُّـونَ أَنَّـهُ الدَّهْـرُ، إِنْ كَانَ الدَّهْـرُ يَذْهَـبُ بِهِـمْ، لِـمَ لا يَرُدُّهُـمْ؟ وَإِنْ كَانَ يَرُدُّهُـمْ، لِـمَ لا يَذْهَـبُ بِهِـمْ؟ الْقَـوْمُ مُضْطَـرُّونَ، يَـا أَخَـا أَهْـلِ مِـصْرَ. لِـمَ السَّـمَاءُ مَرْفُوعَـةٌ، وَالأَرْضُ مَوْضُوعَـةٌ؟ لِـمَ لا تَسْـقُطُ السَّـمَاءُ عَـلَى الأَرْضِ؟ لِـمَ لا تَنْحَـدِرُ الأَرْضُ فَـوْقَ طِبَاقِهَـا، وَلا يَتَمَاسَـكَانِ، وَلا يَتَمَاسَـكُ مَـنْ عَلَيْهَـا؟".

قَالَ الزِّنْدِيقُ: أَمْسَكَهُمَا اللهُ رَبُّهُمَا وَسَيِّدُهُمَا.

قَالَ: فَآمَنَ الزِّنْدِيقُ عَلى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللهِ[٢٤].

ثانيًا: تحليل المناظرة وفوائدها:

يمكـن الإفـادة مـن خـلال درج هـذه المناظـر في تحديـد انتـماء الخصـم، وأنَّـه مـصريٌّ يعتنـق الفلسـفة السُّوفسـطائيَّة، ولم يكـن في بيـان الاسـم كبـير فائـدة لـذا طـواه، وإلاَّ فالذيـن عُرفـوا بالزَّندقـة في عهـد الصَّـادق طائفـةٌ غـيرُ خافيـة[٢٥]. كـما نلحـظ مـن خـلال السِّـياق جملة إرشـادات تتعلَّـق بالمضمـون والأسـلوب. وتُعَـدُّ هـذه المناظـرة مثـالاً حضاريًّـا يُحتـذَى في التَّعريـف باللـه، وفي كيفيَّـة التَّعامـل مـع المختلِـف. فالصَّـادقُ يخاطـب بنقاشـه هـذا كلاًّ مـن الدَّاعيـة والمدعـوِّ، ويدعوهـما إلى الاقتـداء بنحـو هـذا المنهـج الـذي ترجـم بـه عمليًّـا قـولَ اللـه تعـالى لجـدِّه رسـول اللـه ﷺ: ﴿**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥**﴾[النحل: ١٢٥].

لجهـة المضمـون، تـمَّ التَّركيـز عـلى قضيَّـة واحـدة محوريَّـة عُـدَّت فاتحـةَ النِّقـاش، ولم يدعهـا وينطلـق إلى سـواها حتـى خلـص إلى تقريرهـا عقيـدةً صحيحـة سـليمة في وجـدان محـاوره. ألا وهـي: حاجـة الكـون إلى صانـع، ثـمَّ عـرَّج إلى مـا يسـتتبعها مـن تميُّـز هـذا الصَّانـع عـن خَلقـه ضرورةً لئـلاَّ يطـرأ عليـه مـا يجعلـه حادثًـا فتتعـذَّر حينئـذٍ ربوبيَّتُـه ويلـزم الـدَّورُ.

ولجهـة الأسـلوب، سـلك الإمـام في الاحتجـاج عـلى هـذا الملحـد مسـالك عـدَّة، هـي: الجـدل، والشَّـكُّ، والبرهـان. فـتراه ابتدأهـا بمسـلك الجـدل يبتغـي بـه كـسْر سـورة إنـكاره، حتـى إذا صدمـه بجوابـه وأخرجـه مـن نفـور الإنـكار المطلـق؛ عدل بـه إلى مسـلك إثارة الشَّـكِّ في نفسـه كي تسـتعدَّ لقَبـول الحـقِّ، فلـمَّا سـلم مـن لوثـة تعنُّتـه بدافـع احتـمال صوابيَّـة رأي الخصـم لقيـام التَّعـدُّد في القضيَّـة؛ خلـص بعـد ذلـك إلى زرع الإيمـان في قلبـه عـن طريـق مسـلك البرهـان.

ونلمـح مـن خـلال حديـث الإمـام مـع الرَّجـل أنَّـه انطلـق مـن اسـمه وكنيتـه، اللَّذيـن هـما مـن أقـرب الأشـياء إلى المـرء وألصقهـا بـه. وإذا بـه لإيغالـه في بحـث العويصـات والمشـكلات، قـد مـال عـن التنبُّـه إلى مـا أقامـه اللـهُ فيـه مـن الواضحـات! فدلَّـه الصَّـادقُ بحُسـن السُّـؤال عـلى منتهـى قصـوره عـن ردِّ أوهـن الشُّـبهات التـي تمحَّضـت في اسـمه -ابتـداءً- وهـو غـير متفطِّـن لذلـك.

---

(٢٤) الكليني. **الكافي - الأصول**. كتاب التوحيد، باب حدوث العالَم وإثبات المحدِث، ١/ ١٨١، رقم: ١/ ٢١٥.

(٢٥) منهـم: عبـد اللـه بـن المقفـع (ت١٤٢هـ)، وصالـح بـن عبـد القـدُّوس (ت نحـو ١٦٠ هـ)، وعبـد الكريـم بـن أبي العوجـاء، ومطيـع بـن إيـاس (ت١٦٦هـ)، وبشـار بـن بـرد (ت١٦٧هـ)، وحماد عجـرد (ت١٦٨هـ) وآخرون. ينظـر: الشريـف المرتضى، علي بن الحسـين الموسـوي العلـوي (ت٤٣٦هـ). **غـرر الفوائـد ودرر القلائـد - أمـالي المرتـضى**. تحقيـق: محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، مـصر، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، ط١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م. ص ١٢٨.

ثـمَّ توسَّـط الطَّبيعـة بجغرافيَّتهـا وأبعادهـا، وهـي المـادَّة التـي علَّـق البعـضُ آمالهـم عليهـا، ليلفـت نظـر الخصـم إلى أنَّـه جاهـل بحقيقتهـا، لا يعـرف مـا في داخلهـا بحسـب مـا انتهـى إليـه علـمُ ذلـك الزَّمـان. وأنَّ مـن لا يعـرف الـشَّيءَ ومـا فيـه قبيـح بـه أن ينكـر خواصَّـه بالظَّـنِّ لقولـه تعـالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ٢٨﴾[النجم: ٢٨]. ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ١١٦﴾[الأنعام: ١١٦]، طالمـا أنَّ غـيره يتوافـر لديـه مـن العلـم بمـا يحتـاج إليـه ولا ينقصه إلاَّ سـؤاله والبحـث عنـه، لأنَّ مَـن عَلِـم حُجَّـةٌ عـلى مـن لم يعلـم، وواجـب مـن جهـل أن يسـأل وحقُّـه عـلى العالِـم أن يجيبـه عـمَّا عليـه أشـكل.

وواضـحٌ أنَّ الخصـم أراد دفـعَ العلـم اليقينـيِّ المسـتقرِّ في القلـوب بالشُّـبَه والتَّخييـل، حيـث سـلك مسـلك السَّفسـطة اللاأدريَّـة باتِّجـاه الشَّـكِّ والرَّيـب، فقطـع الإمـامُ عليـه الطَّريـق «بـأنَّ عدَم العِلـم بوجـود شيء ليـس علـمًا بعـدم وجـوده ولا مسـتلزمًا لـه»[٢٦]. فلـمَّا اتَّضـح المـرادُ مـن هـذا الجـدل، وتبـيَّن للرَّجـل قُبـحُ إنـكارِه المبنـيِّ عـلى التَّخـرُّص؛ أوعـز إليـه الصَّـادقُ بمـا يسـاوره مـن الشَّـكِّ المهيمـن عـلى عقلـه وفـؤاده وهـو غـير عـارف كيـف يهتـدي منـه! فارتقـى بـه مـن الإنـكار المحـض إلى حالـة هـي خـير مـن الأولى، عنيـت بهـا: الشَّـكَّ. وإلاَّ فكيف لمـن لم يبلـغ السَّـماواتِ ولم يحـط بـالأرض أن يعـرف مـا فيهـا، فضـلاً عـن أن يشـكَّ بمـا فيهـا؟! ومَـن كانـت حالـه عـلى هـذا الوجـه؛ فـالأولى لـه والأهـدى هـو طلـب التَّعلُّـم "فليـس للشَّـاكِّ دليـلٌ ولا للجاهـل حُجَّـة"، وليـس أمامَـه إلاَّ سـؤال الدَّليـل واتِّبـاع الإيمـان بأقـصر سـبيل وأوضـح برهـان.

يـأتي اسـتدلالُ أبي عبـد اللـه بالشَّـمس والقمـر عـلى إثبـات الصَّانـع المنـزَّه عـن مشـابهة المصنوعـات مـن قَبيـل أنَّ قانـون الطَّبيعـة إذا مـا تُـرك إلى وجـدان الإنسـان اقتـضى منـه الحُكـمُ قطعًـا بوجـود المدبِّـر. فانضبـاطُ هذيـن الجَرمـين في مسـارهما باختـلاف حركتهـما ثـمَّ باتِّسـاقها وانتظامهـما فـلا يرتطـمان ببعضهـما ولا بغيرهـما، ولا يتخلَّفـان عـن دورهـما ولا دوارنهـما، وعـدم امتناعهـما عـن متابعـة مسـيرهما، كلُّ ذلـك دالٌّ عـلى الإحـكام في الصَّنعـة والإتقـان في الخلـق. وإنَّ جريـان مثـل هـذه الأفعـال عـلى قانـون الحِكمـة يمنـع صدورَهـا عـن الدَّهـر ويوجـب مـن ورائهـا مُحدِثًـا لهـا مبدعًـا في صنعهـا مغايـرًا عنهـا. وكأنِّي بـه يـردِّد مـع أبيـه الباقـر قولـه: "العجـب كلُّ العجـب للشَّـاكِّ في قـدرة اللـه وهـو يـرى خلـق اللـه"[٢٧].

وهنـا نسـتدعي نصًّـا دقيقًـا لأينشـتاين يقـول فيـه: «أيُّ شـخص متمـرِّس في حقـل العلـم يصير واثقًـا أنَّ روحًـا جليَّـةً في قوانـين الكـون، روحًـا تفـوق تلـك التـي عنـد البـشر عـلى نحـو فائـق، روحًـا عـلى وجـه مـا، يوجـب علينـا نحـن -بقدراتنـا المتواضعـة- أن نشـعر تُجاههـا بالتَّواضُـع. بهـذا الشَّـكل السَّـعي وراءَ العلـم يـؤدِّي إلى شـعور دينـيٍّ مـن نـوع خـاصٍّ، والـذي هـو بالفعـل مختلـفٌ تمامًـا عـن تديُّـن الأشـخاص الأكـثر سـذاجةً»، لأنَّ العقـلَ يملـك مـن المقـدرة والموضوعيَّـة مـا لـو خُـلِّيَ بينـه وبينهـا لاسـتجلى حقائـقَ الأشـياء عـن بصـيرةٍ لا تمويـهَ فيهـا.

(٢٦) المازنـدراني، محمـد صالـح (ت١٠٨١هــ). **شرح أصـول الـكافي**. تحقيـق: علي عاشـور، بـيروت، دار إحياء الـتراث العـربي، ط٢، ١٤٢٩هــ/٢٠٠٨م، ١٢ج. ٣/٨.

(٢٧) البرقـي، أبـو جعفـر: أحمـد بـن محمـد (ت٢٧٤هــ). **المحاسـن**. تحقيـق: مهـدي الرجـائي، المجمع العالمـي لأهـل البيـت، ط٣، ١٤٣٢هــ/٢٠١١م، ٢ج. بـاب جوامـع مـن التوحيـد، ١/٣٧٧، رقـم: ٨٣١.

وواضح من خلال موقف السَّائل الدَّوافع الأُولى لخلق إشكاليَّة الإلحاد، وهي الثِّقة الزَّائدة بالنَّفْس إلى درجة الغرور المعرفيِّ، حتى تشكَّل لديه الجدار العازل الصَّامت بين حاجة المرء إلى السُّؤال وبين غروره وكبريائه واعتداده بعنديَّته، في وقت يتمنَّع فيه عن الاعتراف بجهله بأبجديَّات العقيدة، متأثِّرًا بنظرته الماديَّة. وليس لذلك تفسيرٌ إلاَّ قُبوعه تحت وطأة الجفاف الرُّوحيِّ وعدم الشُّعور بلذَّة المناجاة والانكسار على باب العبوديَّة للدَّيَّان، فوقع أسيرًا لأوهام زائفة يحسبها علمًا وفكرًا، وهي في الحقيقة سطحيَّةٌ جامدة وتمويهات باردة، إضافة إلى فقر مدقع في الذَّوق والمشاعر والعرفان، وتخبُّط في غياهب من الانعزاليَّة المجتمعيَّة والتَّوجُّس من الحِسبة الدِّينيَّة. وما أصدقَ كلمةَ ابن تيمية: «وقد يكون الرَّجلُ من أذكياء النَّاس وأحدِّهم نظرًا، ويعميه اللهُ عن أظهر الأشياء. وقد يكون من أبلد النَّاس وأضعفهم نظرًا، ويهديه الله لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنه. فلا حولَ ولا قوَّة إلاَّ به. فمن اتَّكل على نظره واستدلاله، أو عقله ومعرفته، خُذِل»[٢٨]!

الشُّبهة الثانية: التَّشكيك بقدرة الصَّانع سبيلاً إلى إنكاره:

أوَّلاً: سرد أحداث المناظرة:

إنَّ عَبْدَ اللهِ الدَّيصَانيَّ سَأَلَ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ رَبٌّ؟ فَقَالَ: بَلَى. قَالَ: أَقَادِرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَادِرٌ قَاهِرٌ. قَالَ: يَقْدِرُ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ، لا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ وَلا تَصْغُرُ الدُّنْيَا؟ قَالَ هِشَامٌ: النَّظِرَةَ[٢٩]. فَقَالَ لَهُ: قَدْ أَنْظَرْتُكَ حَوْلاً، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُ.

فَرَكِبَ هِشَامٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، أَتَانِي عَبْدُ اللهِ الدَّيصَانيُّ بِمَسْأَلَةٍ لَيْسَ الْمُعَوَّلُ فِيهَا إِلاَّ عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ: عَمَّا ذَا سَأَلَكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: كَيْتَ وَكَيْتَ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَا هِشَامُ، كَمْ حَوَاسُّكَ؟ قَالَ: خَمْسٌ. قَالَ: أَيُّهَا أَصْغَرُ؟ قَالَ: النَّاظِرُ. قَالَ: وَكَمْ قَدْرُ النَّاظِرِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْعَدَسَةِ أَوْ أَقَلُّ مِنْهَا.

فَقَالَ لَهُ: يَا هِشَامُ، فَانْظُرْ أَمَامَكَ وَفَوْقَكَ وَأَخْبِرْنِي بِمَا تَرى. فَقَالَ: أرى سَمَاءً وَأَرْضًا وَدُورًا وَقُصُورًا وَبَرَارِيَ وَجِبَالاً وَأَنْهَارًا.

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ: إِنَّ الَّذِي قَدَرَ أَنْ يُدْخِلَ الَّذِي تَرَاهُ الْعَدَسَةَ أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا، قَادِرٌ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ لا تَصْغُرُ الدُّنْيَا وَلا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ.

فَأَكَبَّ هِشَامٌ عَلَيْهِ، وَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ، وَقَالَ: حَسْبِي، يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ. وَانْصَرَفَ إِلى مَنْزِلِهِ، وَغَدَا عَلَيْهِ الدَّيصَانيُّ، فَقَالَ لَهُ: يَا هِشَامُ، إِنِّي جِئْتُكَ مُسَلِّمًا، وَلَمْ أَجِئْكَ مُتَقَاضِيًا لِلْجَوَابِ. فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: إِنْ كُنْتَ جِئْتَ مُتَقَاضِيًا، فَهَاكَ الْجَوَابَ.

---

(٢٨) ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس: أحمد بن عبد الحليم الحنبلي (ت٧٢٨هـ). **درء تعارض العقل والنقل**. تحقيق: محمد رشاد سالم، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ١٠ج. ٩/ ٣٤.

(٢٩) النَّظِرة: المهلة والتأخير. منصوب بفعل مقدَّر. الجوهري، أبو نصر: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٦ج. ٢/ ٨٣١، مادة: ن ظ ر.

فَخَـرَجَ الدَّيصَـانيُّ عَنْـهُ حَتَّـى أتَى بَـابَ أبي عَبْـدِ اللـهِ، فَاسْـتَأذَنَ عَلَيْـهِ، فَـأذِنَ لَـهُ. فَلَـمَّا قَعَـدَ، قَـالَ لَـهُ: يَـا جَعْفَـرَ بْـنَ مُحَمَّـدٍ، دُلَّنِـي عَـلَى مَعْبُـودِي. فَقَـالَ لَـهُ أَبُـو عَبْـدِ اللـه: مَـا اسْـمُكَ؟ فَخَـرَجَ عَنْـهُ، وَلَـمْ يُخْـبِرْهُ بِاسْـمِه! فَقَـالَ لَـهُ أَصْحَابُـهُ: كَيْـفَ لَـمْ تُخْـبِرْهُ بِاسْـمِكَ؟ قَـالَ: لَـوْ كُنْـتُ قُلْـتُ لَـهُ: عَبْـدُ اللـه، كَانَ يَقُـولُ: مَـنْ هـذَا الَّـذِي أَنْـتَ لَـهُ عَبْـدٌ؟ فَقَالُـوا لَـهُ: عُـدْ إِلَيْـهِ، وَقُـلْ لَـهُ: يَدُلُّـكَ عَـلَى مَعْبُـودِكَ، وَلَا يَسْـأَلُكَ عَـنِ اسْـمِكَ.

فَرَجَـعَ إِلَيْـهِ، فَقَـالَ لَـهُ : يَـا جَعْفَـرَ بْـنَ مُحَمَّـدٍ، دُلَّنِـي عَـلَى مَعْبُـودِي، وَلَا تَسْـأَلْنِي عَـنِ اسْـمِي. فَقَـالَ لَـهُ أَبُـو عَبْـدِ اللـه: اجْلِسْ. وَإِذَا غُـلَامٌ لَـهُ صَغِـيرٌ، فِي كَفِّـهِ بَيْضَـةٌ يَلْعَـبُ بِهَـا. فَقَـالَ لَـهُ أَبُـو عَبْـدِ اللـهِ: نَاوِلْنِـي، يَـا غُـلَامُ الْبَيْضَـةَ. فَنَاوَلَـهُ إِيَّاهَـا. فَقَـالَ لَـهُ أَبُـو عَبْـدِ اللـهِ:

يَـا دَيْصَـانِيُّ، هـذَا حِصْـنٌ مَكْنُـونٌ، لَـهُ جِلْـدٌ غَلِيـظٌ، وَتَحْـتَ الْجِلْدِالْغَلِيـظِ جِلْـدٌ رَقِيـقٌ، وَتَحْـتَ الْجِلْـدِ الرَّقِيـقِ ذَهَبَـةٌ مَائِعَـةٌ، وَفِضَّـةٌ ذَائِبَـةٌ، فَـلَا الذَّهَبَـةُ الْمَائِعَـةُ تَخْتَلِـطُ بِالْفِضَّـةِ الذَّائِبَـةِ، وَلَا الفِضَّـةُ الذَّائِبَـةُ تَخْتَلِـطُ بِالذَّهَبَـةِ الْمَائِعَـةِ، فَهِـيَ عَـلَى حَالِهَـا، لَـمْ يَخْـرُجْ مِنْهَـا خَـارِجٌ مُصْلِـحٌ؛ فَيُخْـبِرَ عَـنْ صَلَاحِهَـا، وَلَا دَخَـلَ فِيهَـا مُفْسِـدٌ؛ فَيُخْـبِرَ عَـنْ فَسَـادِهَا. لا يُـدْرَى لِلذَّكَـرِ خُلِقَـتْ أَمْ لِلأُنْثَـى. تَنْفَلِـقُ عَـنْ مِثْـلِ أَلْـوَانِ الطَّوَاوِيـسِ، أَتَـرَى لَهَـا مُدَبِّـرًا؟

قَـالَ: فَأَطْـرَقَ مَلِيًّـا، ثُـمَّ قَـالَ: أَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلاَّ اللـهُ وَحْـدَهُ لاشَرِيـكَ لَـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، وَأَنَّـكَ إِمَـامٌ وَحُجَّـةٌ مِـنَ اللـهِ عَـلَى خَلْقِـهِ، وَأَنَـا تَائِـبٌ مِـمَّا كُنْـتُ فِيـهِ[٣٠].

ثانيًا: ومضات المناظرة:

دراسـة الظَّواهـر الطَّبيعيَّـة والنَّواميـس الكونيَّـة مجديـةٌ في قيـاس مـدى التَّطابـق والانسـجام بـين الحسـابات الفلكيَّـة والقواعـد الفيزيائيَّـة وبـين الأحـكام الشَّرعيَّـة، لدفـع مَظِنَّـة التَّضـادِّ بـين العلـم والإيمـان أو التَّجـافي بـين العقـل والقلـب. فـما بـرح كتـابُ اللـه يـضرب الأمثـال ويتحـدَّث إلى الإنسـان، يحـرِّك فيـه مـدارك النَّظـر ويدعـوه إلى جـولات معرفيَّـة ورحـلات تأمُّليَّـة يتفقَّـد فيها مـا حولـه مـن آلاء اللـه العظيمـة في ملكوتـه الأعـلى، الدَّالـة عـلى وجـوده وحُسـن تدبـيره وجـودة صَنعتـه، كي يتعـرَّف المؤمـنُ إليـه ويشـكرَه عـلى مـا يهبـه مـن النَّعيـم الحـسِّيِّ والمعنـويِّ. قـال اللـه تعـالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥**﴾[البقرة: ١٦٤ -١٦٥].

ولا زال العلـماء المتخصِّصـون في علـم الطِّـبِّ والوراثـة والتَّشريـح يكتشـفون، مـع مـرِّ الأيَّـام وتـوالي الأزمـان، مـن بدائـع تركيـب الإنسـان مـا يـورث لـدى العقـلاء الطُّمأنينـة بهـذا الـرَّبِّ العظيـم الـذي خلـق الإنسـان في أحسـن تقويـم، حتـى إذا سـلك بـه طريـق المحجَّـة وأقـام عليـه الحُجَّـة مـن نفسـه عـلى نفسـه؛ لامـه عـلى تقصـيره وعاتبـه عـلى تفريطـه، قـال الحـقُّ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا**

(٣٠) الكليني. **الكافي – الأصول**. كتاب التوحيد، باب حدوث العالَم وإثبات المحدِث، ١/١٩٥، رقم: ٥/٢١٩.

﴿ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾[الانفطار: ٦ -١٩].

وكم من اكتشاف كونيٍّ توصَّل إليه أهلُ العلم وذَوو الخبرة في هذه العقود المتأخِّرة، قد وردت فيه مسبقًا إشاراتٌ لطيفات يخبرن عنه ويشرن إليه بشيء من الدِّقَّة وعلى نحوٍ من الإيجاز والبُلغة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾[المؤمنون: ١٢ -١٦]. ما يذعن معه الخلقُ أنَّ للكون الفسيح العظيم ربًّا يرعاه ويدبِّره، وأنَّ هذا القرآن يستحيل أن يكون كلام بشر. وقد ثبتت معجزتُه آيةً باهرة مع تبدُّل الأيَّام وتقادُم الزَّمان وتقدُّم الفكر والعمران، فلا خَلْق ولا بلي ولا اعتوره تحريفٌ ولا أصابه تبديل أو حذف ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[النساء: ٨٢].

والعاقل -بدوره- مخاطَب من السَّماء أن يتفكَّر وينظر ويطرح التَّساؤلات المفضية إلى الحقيقة الكبرى والدَّامغة للشُّبهات المفكِّكة للشُّكوك والأوهام. فليس خطأ أن يشكَّ الباحث، لأنَّ الشَّكَّ سبيل إلى العلم الجالب للإيمان، بل الخطيئة أن يظلَّ المرء حبيسَ أهوائه وظنونه لا يستعين عليها بفكره وفطرته وفنونه، ومن هنا نعي جيِّدًا مؤدَّى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾[الأنعام: ١٤٨].

وبالعودة إلى النَّصِّ المقدَّس نجد أنَّ الأنبياء سألوا واستفسروا، ليعلِّموا أقوامهم أنَّ الإنسان بطبيعته ميَّالٌ إلى المعرفة والبحث، وأنَّ الطريق أمامه معبَّدةٌ بالسُّؤال، وأنَّ ذلك حاملٌ لهم على التَّرقِّي في درجات الكمالات العرفانيَّة والمعارف الإيمانيَّة من مرتبة علم اليقين إلى حقِّ اليقين وصولاً إلى عين اليقين، ودونك سؤال إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السَّلام.

وطرح السُّؤالات منهج قرآنيٌّ لإنارة الفكر وتوليد الطَّاقة الإيجابيَّة وتحريك الفضول البشريِّ للاهتداء إلى الطِّلبة الإنسانيَّة والغاية المنشودة أبدَ الدَّهر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾[يونس: ٣١ -٣٢].

إنَّه التَّلامُس المادِّيُّ بين قواعد الطَّبيعة وآثارها من جهة، ثمَّ هو التَّلامُس الفكريُّ من جهة ثانية بينها وبين الإنسان العاقل الباحث المؤمن. وما طلائع الفَلَك الدَّوَّار من نجوم وأقمار وأبراج في السَّماوات وأمواج في البحار، وحدائق تعبق فيها الورود والأزهار، وحقول

تنبت فيها الزُّروع والثمار، إلاَّ آيات عظيمات دالاَّت وكاشفات على إكمال الشِّرعة وإتمام النِّعمة وحسن الصَّنعة.

لذلك لم يكن آينشتاين منفصمَ الشَّخصية مخالفًا للسَّويَّة، بل متصالحًا مع نفسه منسجمًا مع ذاته، قد وافق بين عقله وقلبه حين قال: «العِلم بدون دينٍ أعرج، والدِّين بدون علمٍ أعمى».

وإنَّ الذي توصَّل إليه آينشتاين بقواعده وانقلب عليه الملحدُ وجهل معرفته على حقيقته، هو الذي اهتدى إليه الإبراهيميون لاتِّصالهم بالسَّماء دون الخالدين إلى الأرض. فكان التَّناسُق بين العلم والإيمان خلاصةً حتميَّةً إلزاميَّة لدى الأسوياء لا فكاك عنها.

ولا غروَ أن تمكَّن الإمام الصَّادق من التَّأثير في الدَّهْريين واستثارة مكامن الشَّكِّ في نفوسهم، من خلال محاكمتهم إلى ما ينزعون إليه من علوم وتجارب، بما حباه الله إيَّاه من اطِّلاع واسع ومعرفة عميقة بهذه العلوم وأدواتها ووهب أشرقت له عوالمُ المعرفة. وهذا ما يؤسِّس لشرط تأثيليٍّ مهمٍّ كي ينجح الدَّاعية في مهمَّته، أن يتضلَّع بالثَّقافة العلميَّة التي تُمكِّنه من خوض غمار المناظرة والحوار، فضلاً عن التَّصدِّي لحلِّ الإشكالات ودفع الاعتراضات وتفكيك العويصات وتحليل المعضلات. لذلك استطاع أهلُ هذا الفنِّ من المعاصرين أن ينهضوا بواجب دعوة الملحدين إلى الإيمان بالله لما توافر فيهم من إخلاص وحسن نيَّة وزاد علميٍّ. ومن أخفق في محاولته فلِخلَل داخَلَه في هذا لم يستدركه. وهذا واضحٌ في عَود هشام بن الحكم إلى أبي عبد الله حين لم يحر جوابًا عن مسألة تعلُّق القدرة بالمستحيل.

ولا شكَّ أنَّ قواعد العلم تتوافق مع ثوابت الدِّين في كُلِّيَّته المستمدَّة من وحي ربِّ العالمين، ذلك أنَّ الله إذا أراد شيئًا رتَّب له أسبابه. فليس صحيحًا أنَّ الفيزياء الكونيَّة وعِلم الأحياء الإنسيَّة تتصادم مع وحي ربِّ الورى وهو الذي ذرأ البريَّة وفلق الحبَّة وبرأ النَّسمة بالعدل والقسطاس والسَّويَّة، وقد علم ما ينفع الخليقة في آبادها وما يضارُّها في معاشها، فألهمها رشدها وهداها طريقها. ولئن أراد خارقًا للسُّنن ومجرياتها حصل على وفق ما أراد لا لتمنُّع من مخلوقاته، بل لأنَّه لم يخلق حينها ما اعتدناه منها، ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣**﴾[الأنعام: ٧٣].

وفي هذه المناظرة بين أبي عبد الله والدَّيصانيِّ نرى الصَّادق يروم إلى المجادلة بالتي هي أحسن، ويؤثِر -على الجواب البرهانيِّ- جوابًا جدليًّا مسكتًا يناسب الموقف، الذي أشار إليه من طرْف خفيٍّ في أنَّ قدرة الله تعالى لا تتعلَّقُ بسؤال الخصم؛ لا من نقصان في قدرته، سبحانه، ولا لقصور في عمومها وشمولها، بل ذاك من نقصان المفروض وامتناعه الذَّاتيِّ وبطلانه الصِّرْف وعدم حظِّه من الشَّيئيَّة ولا امتلاكه قابليَّة الإيجاد[٣١]. وهو ما

(٣١) الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى (ت١٠٩١هـ). **الوافي**. تحقيق: مكتبة أمير المؤمنين علي، أصفهان، ط١، ١٤٣٠هـ. ١/٣٢٢، بتصرُّف.

تواضع عليه الصَّادق، وحفيده الرِّضا[٣٢]، وجدُّهم المرتضى في قول الأمير: "إنَّ اللهَ لا يُنْسَبُ إلَى الْعَجْزِ، وَالَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ لا يَكُونُ"[٣٣].

المبحث الثَّاني:

منهجيَّة الإمام الصَّادق في تفكيك العقل الإلحاديِّ

الإلحاد نوعٌ من الانحراف الدِّينيِّ والعقليِّ والنَّفسيِّ، لمناقضته أصلَ الفطرة ومنازعته مسلَّمات العقل. يحتاج إلى إخلاص وتجرُّد يصحب المرءَ وهو يرنو بالبحث عن الحقيقة بغيةَ التَّعرُّف إلى أصل التَّكوين وبدء الخليقة، للوصول من خلال ذلك إلى واجب الوجود.

أمام الدِّعاية إلى الخروج عن الثَّوابت والمسلَّمات بذريعة مواكبة الانفتاح على الحضارات والثَّقافات، والتَّمرُّد على المنظومة الإيمانيَّة وتوحيد الله وإفراده بالعبادة؛ تحتَّم العملُ الإصلاحيُّ الدَّاعي إلى المحافظة على الأصالة لمواكبة الحداثة على نور من هدايات القلب السَّديد والعقل الرَّشيد. وهو قائمٌ ما قام لله في أرضه إمامٌ بحُجَّة، ولن تخلوَ الأرضُ من حُجَّة حتى قيام السَّاعة.

لقد دعا الإمام الصَّادقُ إلى التَّوافق بين صحيح المنقول وصريح المعقول. وعمل على تثبيت المصالحة بين الشَّريعة والحقيقة، ودفْع أيِّ تضارب مظنون عن نصوص الوحي المكنون، ودرْء أيِّ شكٍّ موهوم قد يريب المتابعين والمطَّلعين. وأمل بحِكمة بيانه وفصاحة لسانه وصدق نيَّته وقُوَّة شكيمته ورباطة جأشه وحسن ظنِّه، أن تزيل كلماتُه رواسبَ علقت على جدار العقل، وأوهامًا أصابت صفحةَ القلب، وشكوكًا أثَّرت في خواطر النَّفْس. نهج في ذلك مناهجَ عدَّة اقتضاها اختلافُ النِّسَب في القوى الإدراكيَّة لدى المخاطَبين، وقياس مدى تقبُّلهم للحقِّ أو تعنُّتهم فيه؛ بالنَّظر إلى الهدف الأسمى المرجوِّ من هذه الدَّعوة أو تلك المناقشة. فربمَّا اعتمد الأسلوبَ الوعظيَّ الخطابيَّ والإدراك الفطريَّ، أو الآخرَ الحِجاجيَّ البرهانيَّ عن طريق النِّظام المتوازن والتَّرابط البديع في صفحات الكون المنظور والإنسان، ومبدأ الحدوث والإمكان، فكان نِعم الموجِّه ونِعم المعلِّم.

ولم يُذكَر قط أنَّه بدَّع أو كفَّر أو استحلَّ الدَّم أو انتهاك العِرض أو سلب المال. بل كان يناظر في النَّهار ويقيم اللَّيلَ بركعات يدعو اللهَ فيها لأصحاب التَّخرُّصات والتَّخيُّلات، حتَّى اصطبغت مناظراتُه ومناقشاتُه بصبغة المعالجة النَّفسيَّة للانحراف الفكريِّ والنَّفسيِّ. فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيَى، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدى!

وبمراجعة سريعة لاستراتيجيَّته في التَّعامل مع ظاهرة الإلحاد نجده أوَّلاً عالج مسألة الانحراف الدِّينيِّ، فالتفت إلى صدِّ الغُلاةِ «ولم يسمح لهم أن يتجاوزوه وأن يقولوا فيه ما لا

---

(٣٢) الصدوق، أبو جعفر: محمد بن علي ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ). **التوحيد**. صححه وعلق عليه: هاشم الحسيني، بيروت، دار المعرفة. باب القدرة، ص ١٣٠، رقم: ١١.

(٣٣) الصدوق. **التوحيد**. ص ١٣٠، رقم: ٩.

ينبغي له، ولم يمنعْه تقرُّبهم منه ولا محاباتهم له أن يقف ضدَّهم بحزم ويحذِّر منهم»[٣٤] ويكشف سوء صنعتهم. ولمَّا بلغه أنَّ بشَّارًا الشَّعيريَّ[٣٥] -أحدَ الغلاة- يقول فيه ما يؤدِّي إلى الإشراك، قال: «إنيِّ عبد الله وابن عبد الله، ضمَّتني الأصلابُ والأرحام، وإنيِّ لميِّتٌ ومبعوث ثمَّ مسؤول»[٣٦].

فشكَّل بهذا الموقف قلعةً منيعةً يحتمي فيها المؤمنون، وحِصنًا حصينًا يتحصَّن به الموالون، وسدًّا مُحْكمًا تتكسَّر عليه أمواجُ المغالين وشبهاتُ المنحرفين. ولا زالت أصداءُ كلماته تجوب عالَمَ المعرفة، وتورث القلبَ بردَ اليقين ودفءَ العاطفة، وتنزل على الصَّدر السَّكينةَ، في قوَّتها بنفسها وثقة صاحبها بربِّه. من بين هذه الأضواء البارقة ينبثق شعاعٌ قوله لعبد الكريم بن أبي العوجاء المتزندق[٣٧] -وقد لقيه في موسم الحجِّ-: «أنتَ بعدُ على عتوِّك وضلالك!». فأراد ابن أبي العوجاء أنْ يوقع الإمامَ في محظور الإحرام، لكن هيهات، فقطع عليه مُقتبسًا من القرآن: ﴿**وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ **[البقرة: ١٩٧]**، ثمَّ نفض رداءه من يده، وقال: «إنْ يكنِ الأمرُ كما تقول -وليس كما تقول- نجونا ونجوتَ. وإنْ يكنِ الأمرُ كما نقول -وهو كما نقول- نجونا وهلكتَ»[٣٨].

فتأمَّل كيف أخذ الدَّهريُّ برداء الإمام وكأنيِّ به موقنٌ بولاية هذا العارف الربَّانيِّ، يريد الدُّخول على الله من بابه وهو مُمسِكٌ بطَرَف ثوبه آخِذٌ بأذياله، بيد أنَّ شهوة الكلام والتَّصدُّر على الفئام منعته من الإذعان والإيمان! فعطف جعفر الصَّادق عن المجادلة والمماحكة إلى الموعظة والمناصحة، ليوقظ النَّائمَ في ذات الإنسان بطريقة الإفحام والإلزام وإسكات اللِّسان وقطع دابر الكلام.

ثمَّ أمعِن النَّظَر في هذه التَّوليفة اللَّطيفة المبنيَّة على عُمق الفرَضيَّة المتمتِّعة بحظيان الموافقة العامَّة على مقدِّمتها، لإثارة هاجس التَّخوُّف من مَغبَّاتها في الثَّانية. فالصَّادقُ أنزلَ الدَّهريَّ منزلةَ الموافق أوَّلاً ثمَّ واجهه بطريقة الخطَّاف لجلب انتباهه في دقيقة واحدة، ليُملي عليه تاليًا الصَّدمةَ الموقظة، وهو يتَّبع استراتيجيَّةَ التَّصاعد الإقناعيِّ ﴿**فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢**﴾ **[يونس: ٣٢]**.

وتتضمَّن عبارتُه -على وجازتها- إيقاعًا عذبًا على الأذن سرعان ما ينفذ إلى القلب، من خلال اتِّباع تِقنية التَّكرار المنسجم بين الجمل والمفردات، وتوالي الحروف المتناسقة

(٣٤) كنج، زهير. **منهج الإمام الصادق عليه السلام في مواجهة مشكلات العصر**. مقال مرفوع على الشبكة العنكبوتية: **https://research.rafed.net**

(٣٥) أبو إسماعيل: بشار الشَّعيري، نسبة إلى بيع الشعير، الكوفي، كان من الغلاة، لعنه الصادق. الأمين، محسن بن عبد الكريم الحسيني العاملي (ت١٣٧١هـ). **أعيان الشيعة**. تحقيق: حسن الأمين، بيروت، دار التعارف، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٠ج. ٣/٥٧٠.

(٣٦) الكشي. **معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين**. ص ٢٨٧، رقم: ٢٥٩.

(٣٧) ينظر لمقيِّده بحث محكَّم بعنوان: **جدلية العلاقة بين الزندقة والوضع في الحديث عند عبد الكريم بن أبي العوجاء**. مجلة البحث العلمي الإسلامي، العدد ٣٣، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

(٣٨) الكليني. **الكافي**. ١/١٩٣، رقم: ٣/٢١٧.

مـع بعضهـا صوتًـا ومعنـى، واسـتخدام التَّوكيـد اللَّفظـيِّ الـذي وظَّفـه لغـرض بالـغ الأهميَّـة وهـو تقريـر الحقيقـة الكـبرى، ومفادهـا إثبـات وجـود اللـه ونجـاة المؤمـن.

ومَزيـدًا لاسـتجلاء العمـى وقـرع طبـول القلـب، يـأتي التَّقابـل المفصـح عـن التَّضـادِّ الموجـود في الرَّأيـين ومـا بينهـما مـن اختـلاف جـذريٍّ في الرُّؤيـة والغايـة، ذلـك أنَّ موقـف المؤمـن باللـه لا يعـود عليـه بالخسـارة مطلقًـا بخـلاف غـير المؤمـن بـه، بداعـي أنَّ عـدم الإيمـان باللـه في الحالـة الثَّانيـة مفـضٍ -لا محالـة - إلى العقـاب، بخلافـه في الحالـة الأولى التـي يتسـاوى فيهـا المتخاصـمان لانعـدام تحقُّـق الجـزاء، وبالتَّـالي ضـمان الخـلاص.

في الوقـت عينـه نلمـح أنَّ الصَّـادق لم ينشـغل عـن المُهـمِّ بقضايـا جانبيَّـة، بـل دخـل في الموضـوع مبـاشرة وبـدون مقدِّمـات، إشـعارًا بـأنَّ الموقـف لا يحتمـل إلاَّ ذاك.

كذلـك تـراه لم ينكـر عـلى ابـن أبي العوجـاء وجـودَه في الموسـم، ولا انهمـك في مسـألة إسـلامه أو ارتـداده.

هـذا بـلا شـكٍّ يؤكِّـد انفتـاح أبي عبـد اللـه عـلى جميـع مَـن حولَـه، لتعميـق ثقافـة الحـوار بإتقـان قنـوات الاتِّصـال، بهـدف انتشـال الإنسـان مـن دونيَّـة الأوحـال إلى عظيـم الأعـمال والآمـال. ونلحـظ مـن ذيَّـاك الدَّفـق المتواصـل مـن السُّـؤالات واسترسـال صاحبهـا بطرحهـا بشـكلٍ انسـيابيٍّ دون أدنى تحـرُّج، انفتـاح الدَّاعيـة الإصلاحـيِّ، ومـدى معرفتـه العميقـة بحاجـة النَّفـس البشريَّـة إلى البـوح بهـذه الأسـئلة وإخراجهـا مـن كوامنهـا إلى العلـن ومشـاركتها الآخريـن، لعلمـه المسـبَق أنَّ الكبـت المعـرفيَّ المتولِّـد عـن الإرهـاب الفكـريِّ ومنـع المرء مـن ممارسـة حقِّه في السُّـؤال، مهـما كان نوعـه وبغـضِّ النَّظـر عـن كيفيَّـة طرحـه، أنَّـه سـبب في تغلُّـب الشَّـيطان وطلـوع قـرن الانحـراف والإلحـاد وطريـق إلى الجهـل المقنَّـع. وفي هـذا أيمّـا درس عمـليٍّ لـلأُسر والمـدارس والمسـاجد والمجتمعـات ومختلِـف الحواضـن العلميَّـة والتَّربويَّـة، أن تجيـد فـنَّ الإنصـات لأبنائهـا و الإصغـاء إلى منتسـبيها وتتسـمَّع لسـؤالاتهم، وتجيـب بـكلِّ أريحيَّـة وعفويَّـة عـن إشـكالاتهم، مهتبلـين فرصـةَ طرحهـا في إعـادة صياغتهـا وتشـكيل عقـل صاحبهـا ووجدانـه عـلى الوجـه الأمثـل.

مـن هـذا البـاب، فـإنيِّ لا إخـال هـذا الطَّـرح الفِكـريَّ المسـتنير يعجـز عـن حـلِّ إشـكالات القـرن، أو أن يصطـدم مـع الأُطروحـات المعـاصرة في ضرورة الانفتـاح وبعـث الحـوار، والعـزوف عـن خطـاب الكراهيـة المفـضي إلى الصِّـدام والاقتتـال[٣٩].

بنـاءً عليـه، وحيـث إنَّ أسـباب التِّيـه والضَّيـاع في حركـةِ تجـدُّدٍ دائـمٍ لوجـود منافـذ التَّغذيـة والتَّغطيـة.

وحيـث إنَّ الخطـاب الشَّرعـيَّ -بطبيعتـه - مـرنٌ وينسـجم مـع مختلِـف الحـالات ويواكـب -باسـتمرارٍ - عجلـةَ التَّطـوُّرات الثَّقافيَّـة والعلميَّـة.

(٣٩) ينظـر لراقمـه بحـث محكَّـم بعنـوان: **التأصيـل الشرَّعـيُّ لثقافـة التعايُـش لـدى المسـلمين وتجلِّياتُهـا المعـاصرة**. مجلـة المقاصـد، العـدد ١٢، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

لذلك، فإنَّ الاقتداء بسيرة هذا الإمام، واقتفاءَ منهجه في حُسن التَّعامل مع المخالف؛ مدعاةُ فخر واعتزاز، وسبب في استتباب الأمن وتشييد معالم الانفتاح، على سَنن قويمة وشِرعة مستقيمة. وهي دعوةٌ لسائر الأفرقاء والأسوياء إلى دراسة حياة الصَّادق ومراجعة مواقفه بالاستناد إلى هذه التَّعاليم السَّمحة التي تؤصِّل لمفهوم التَّعايش السِّلمي والإصلاح الدِّينيِّ أبدَ الدَّهر.

فهل سينضمُّ أهلُ الرَّأي إلى هذه الدَّوحة العِرفانيَّة ويتمسَّكون بهذه المفاهيم الإنسانيَّة للقفز بأبناء الوطن من مهاوي الإلحاد واللادينيَّة إلى معالي التَّعاليم الإيمانيَّة؟ أم أنَّ الشُّعور بالقِيم الرَّبَّانيَّة والانتماء إلى الفِطرة الإنسانيِّة بات باردًا ولا يعدو الدِّينُ أن يكون وجهةَ نَظرٍ؟!

الخاتمة

نخلص من خلال هذه التّطوافة السَّريعة إلى مجموعة نتائج وتوصيات مهمَّة، أجملها في النِّقاط الآتية:

أوَّلاً: نتائج البحث:

١ - الباطل واحدٌ مهما تعدَّدت وجوهُه وصوره، وينبع من نكتة سوداء ينفث بها الشَّيطان إلى ضعاف الإيمان. وتتجلَّى مواجهتُها في تعزيز الإيمان والاختلاف إلى أهل العلم الرَّبَّانيين، وضرورة التَّضلُّع بالمعارف العصريَّة والثَّقافات الإنسانيَّة، وانفتاح المصلحين على هذه الفئات والعمل عليها بدعوتها ومحاورتها والدُّعاء لها.

٢ - اعتمد الإمام الصَّادق في تفكيك شُبه الإلحاد على منهج دعويٍّ إصلاحيٍّ يجمع بين التَّربية والتَّعليم لبناء الإنسان السَّويِّ، لاحت معالمه في العناصر الآتية:

احتواء الملحدين والتَّرحيب بهم ومجالستهم وحوارهم. فإعذارهم والامتناع عن تكفيرهم واللُّجوء إلى الدُّعاء لهم. بالإضافة إلى إثارة السُّؤال والتَّفكير الحرِّ لديهم. ثمَّ العمل على زرع الشُّكوك في مبانيهم، ونقض شبههم، وقلب الدَّليل عليهم، والإسهام في إرجاعهم إلى فِطرتهم.

ثانيًا: توصيات البحث:

التُّراث الرِّوائيُّ المختلف ينبوع ثرٌّ يعوزه النَّخل، وبِكْر يتشوَّف إلى باحثين جادِّين لإعادة بعثه، لذلك نوصي بالآتي:

١ - ضرورة أن تتضافر الجهود المسؤولة لاستخراج هذه الكنوز العِلميَّة، والعمل على

المشترك بين الطَّوائف الإسلاميَّة، في سبيل القضاء على غائلة الفرقة، والتَّصدِّي للأفكار المناقضة لأصل الفِطرة.

٢ - إعادة نشرة هاتيك المباحثات بطريقة سهلة يستسيغها أبناءُ اليوم، والتَّعليقُ عليها بما يبرز قيمتها المعرفيَّة ويظهر مقاصدها الإيمانيَّة الإشراقيَّة، للتَّعريف بجهود المتقدِّمين وسابقتهم في هذا المضمار.

فهرس المصادر والمراجع

أوَّلاً: المصادر الورقيَّة:

١ -الأمين، محسن بن عبد الكريم الحسيني العاملي (ت١٣٧١هـ)، **أعيان الشيعة**، تحقيق: حسن الأمين، بيروت، دار التعارف، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٠ج.

٢ -البرقي، أبو جعفر: أحمد بن محمد (ت٢٧٤هـ)، **المحاسن**، تحقيق: مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت، ط٣، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ٢ج.

٣ -البغدادي، أبو منصور: عبد القاهر بن طاهر الإسفراييني (ت٤٢٩هـ)، **الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م.

٤ -البيروني، أبو الريحان: محمد بن أحمد الخوارزمي (ت٤٤٠هـ)، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٥ -التهانوي، محمد بن علي الفاروقي الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ)، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د. علي دحروج، تعريب: د. عبد الله الخالدي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م، ٢ج.

٦ -ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس: أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٣٥ج.

٧ -الجاحظ، أبو عثمان: عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٨٤-١٣٨٥هـ/١٩٦٥ -١٩٦٦م، ٨ج.

٨ -الجوهري، أبو نصر: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤،

١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٦ج.

٩ -ابن حزم، أبو محمد: علي بن أحمد الظاهري (ت٤٥٦هـ):

أ)**جمهرة أنساب العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ب)**الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٥ج.

١٠ -ديورانت، ويليام جيمس (ت١٩٨١م)، **قصة الحضارة**، تعريب: د. زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت، دار الجيل - تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٤٢ج.

١١ -الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله: محمد بن عمر الشافعي (ت٦٠٦هـ)، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، تحقيق: علي سامي النشار، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٢ -أبو زهرة، محمد:

أ)**الإمام زيد - حياته وعصره، آراؤه وفقهه**. القاهرة، دار الفكر العربي، ط١.

ب)**الإمام الصادق - حياته وعصره، آراؤه وفقهه**. القاهرة، دار الفكر العربي، ط١.

١٣ -الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ)، **غرر الفوائد ودرر القلائد - أمالي المرتضى**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

١٤ -الشهرستاني، أبو الفتح: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، ٣ج.

١٥ -الصدوق، أبو جعفر: محمد بن علي ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، **التوحيد**، صححه وعلق عليه: هاشم الحسيني، بيروت، دار المعرفة.

١٦ -طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة**، بيروت، دار الطليعة، ط٣، ٢٠٠٦م.

١٧ -الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى (ت١٠٩١هـ)، **الوافي**، تحقيق: مكتبة أمير المؤمنين علي، أصفهان، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٨ -الكشي، أبو عمرو: محمد بن عمر، **معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين - رجال الكشي**، اعتنى به: أحمد الحسيني، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٩ -الكليني، ثقة الإسلام، أبو جعفر: محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ)، **الكافي - الأصول**، تحقيق: قسم إحياء التراث، دار الحديث، ٨ج.

٢٠ -المازندراني، محمد صالح (ت١٠٨١هـ)، **شرح أصول الكافي**، تحقيق: علي عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢١ -المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول** ﷺ، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١١٠ج.

٢٢ -النديم، أبو الفرج: محمد بن إسحاق الورَّاق البغدادي (ت٤٣٨هـ)، **الفهرست**، تحقيق: رضا تجدد.

٢٣ -أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ، ١٠ج.

٢٤ -د. النمر، عبد المنعم، **تاريخ الإسلام في الهند**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ثانيًا: المواقع الإلكترونية:

كنج، زهير، **منهج الإمام الصادق عليه السلام في مواجهة مشكلات العصر**، مقال مرفوع على الشبكة العنكبوتية: https://research.rafed.net

الجيوش والسياسة الانكشارية العثمانية: النشأة والدور والمصير

Armies and Politics The Ottoman Janissaries: Origin, Role and Fate

أ.د. حسين عزات عطوي[1]
Prof. Hussein Ezzat Atwi

ملخص البحث

كانت الجيوش عبر التاريخ محط أنظار الباحثين والمهتمين بالشأن العسكري، وتطور الاسلحة وأنظمة القيادة والتدريب والتطوير، وهذا شيء طبيعي في أي دراسة تقدم عن قوة عسكرية مرّت بالتاريخ، والانكشارية مثلها مثل أي جيش في العالم أنشيء وتطور، إلا أن هذا الجيش تعرض لتسليط الضوء عليه باعتباره الأداة التي أوصلت الدولة العثمانية إلى أوج عزها، وهو نفسه الذي انهار بها إلى الدرك الأسفل، وأفقدها منعتها وهيبتها، فانهارت في نهاية المطاف.

دراسة هذه المنظومة العسكرية تهدف لتسليط الضوء على الدور الذي تلعبه الجيوش في حياة الأمم، سواء كان هذا الدور إيجابيا حين يحسن استخدام الجيش، أو سلبيا حين يساء استخدامه، خاصة حين يُقحم في حياة العامة وشؤون الناس السياسية والاجتماعية.

لاحظت الدراسة أن الجيوش تتغلل في الجسد السياسي للدولة كلما ضعف الساسة، وفسدت الإدارة، وأن الضعف يأتي من جوانب متعددة، منها: ترهل الإدارة واعتماد اللاحق من الحكام على أمجاد السابق، وفساد القيم وتبعية العلماء للحكام، وبالمحصلة فإن الإنكشارية مرت بكل هذه الأمراض، وبدلا من كونها القوة الضاربة للدولة العثمانية، تحولت لقوة جامدة تأتي من قبلها الهزائم.

كما بينت الدراسة الدور الذي لعبه الدين في حياة العثمانيين، وعند الانكشارية خاصة، حيث استطاع قادة هؤلاء الحفاظ على وجودهم بفتوى العلماء، ولم يتم اقتلاعهم إلا بفتوى العلماء. وميزت الدراسة بين العلماء الذين يحفظون الشريعة، ويطورون التشريعات وفق الثوابت، وبين علماء السلطان الذين يفتون وفق مصالحهم، ومصالح من يشغلونهم.

---

(١) أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الدعوة الجامعية للدراسات الإسلامية (لبنان)

Professor of Islamic studies at University College of Islamic Studies (Lebanon)

Abstract

Throughout history, armies have been the focus of the attention of researchers and those interested in military affairs, the development of weapons, command systems, training and development. Janissaries (Yeniçeri) The tool that brought the Ottoman Empire to the zenith of its glory, and the same one who collapsed with it to the lowest level, and made it lose its prestige and prestige, and eventually collapsed.

The study of this military system aims to shed light on the role that armies play in the life of nations, whether this role is positive when the army is better used, or negative when it misused, especially when it is involved in public life and people's political and social affairs.

The study noted that armies infiltrate the political body of the state whenever the politicians weaken, and the administration corrupts, and that the weakness comes from multiple aspects, including: slack management and the subsequent dependence of the rulers on the glories of the past, corruption of values and the dependence of scholars on the rulers, and in sum, the Janissary passed through all these diseases, and instead of From being the striking force of the Ottoman Empire, it turned into a rigid force from which defeats come.

The study also showed the role that religion played in the life of the Ottomans, and in the Janissaries in particular, as the leaders of these people were able to maintain their existence by the fatwa of scholars, and they were not uprooted except by the fatwa of scholars. The study distinguished between scholars who preserve Sharia and develop legislation in accordance with the constants, and between scholars of the Sultan who issue fatwas according to their interests, and the interests of those who occupy them.

كلمات مفتاحية

الدولة العثمانية، الانكشارية، الطريقة البكطاشية، السلطان سليم الأول، السلطان محمد الفاتح، السلطان محمود الثاني.

Keywords

The Ottoman Empire, the Janissaries, the Baktashian, Sultan Selim I, Sultan Mehmed the Conqueror, Sultan Mahmud II.

المقدّمة

الجيوش عبر التاريخ محط أنظار الباحثين والمهتمين بالشأن العسكري، وتطور الاسلحة وأنظمة القيادة والتدريب والتطوير، وهذا شيء طبيعي في أي دراسة تقدم عن قوة عسكرية مرّت بالتاريخ، والانكشارية مثلها مثل أي جيش في العالم أنشيء وتطور، إلا أن هذا الجيش تعرض لتسليط الضوء عليه باعتباره الأداة التي أوصلت الدولة العثمانية إلى أوج عزها، وهو نفسه الذي انهار بها إلى الدرك الأسفل، وأفقدها منعتها وهيبتها، فانهارت في نهاية المطاف.

دراسة هذه المنظومة العسكرية تهدف لتسليط الضوء على الدور الذي تلعبه الجيوش في حياة الأمم، سواء كان هذا الدور إيجابيا حين يحسن استخدام الجيش، أو سلبيا حين يساء استخدامه، خاصة حين يُقحم في حياة العامة وشؤون الناس السياسية والاجتماعية.

الإشكالية

حين نتأمل ما كتبه الكثير من المؤرخين الذي عاصروا أواخر أيام الدولة العثمانية، أو الذين كتبوا عنها بعد انهيارها، نلاحظ أنهم حمّلوا الانكشارية الكثير من أوزار الدولة العثمانية، واعتبروها معول هدم في جسد الدولة بعد أن كانت الفاتح للانتصارات، والعماد في بناء أكبر دولة عاشها عالم العصر الحديث، لذلك السؤال البديهي؛ هل الانكشارية حقا هي ذلك المارد الذي حقق الخوارق؟، أو ذلك المتمرد الفاسد الذي حقق الانهيار؟.

السؤال كبير، ويحتاج لإعمال الفكر بعد جولة التقميش وجمع المعلومات التي كثيرا ما تضاربت، خاصة أننا نلاحظ أن من كتبوا تأثروا إما بالدعاية الغربية، أو بالعماية الإسلامية التي غطت العيون في العالم الإسلامي، فصار رجال الفكر والمؤرخون يكتبون ما يريدون أن يروا، لا ما يجب أن يُرى؛ ومن ذلك جرأت أقلام المؤرخين وانجرارهم خلف ما كان يروج من دعاية سوداء عن الدولة العثمانية وجيشها (الجشع) الذي ما عادت تكفيه المرتبات، فصار يمد يده على أموال الدولة والعامة على السواء، وأكثر من ذلك تغوّل لتصل يده للتدخل في إدارة الحكم، وفرض الوزراء والسلاطين.

توطئة

الانكشارية جيش الدولة الجديد، مرحلة ضرورية كان لا بد منها لتوطيد حكم العثمانيين في البلاد التي فتحوها، والأعداء الذين يتربصون بها.

لعب جيش الانكشارية الدور الأبرز في تشكل الدولة العثمانية إلى جانب فرسان السباهي التي كانت وحدة الجيش المتحرك بسرعة للانقضاض على الأعداء، تشكلت الانكشارية في البداية من خيرة شباب قبيلة الكاي؛ العماد الأساسي لبناء الدولة العثمانية، ثم ضمت الكثير من أبناء الشهداء من الرجال الذين قاتلوا مع عثمان وإبنه أورخان، وبعد ذلك ضم أبناء الروم الذين فقدوا أهلهم في الحروب مع العثمانيين، فقد التفت العثمانييون إلى هؤلاء الذين تحولوا إلى مشردين بعد فقد ذويهم، أو تركوهم وهربوا، فبنوا دور الأيتام، وخصصوا

لهـا الأوقـاف للإنفـاق عليهـا، واختـاروا لهـا معلمـين مـن ذوي الكفـاءة علـما ودينـا، وركـزوا عـلى تأديـب هـؤلاء الأطفـال بالديـن الإسـلامي، فنشِّـئوا عـلى حـب الإسـلام، والاندفـاع للـذود عـن الدولـة، والسـعي لنـشر الإسـلام في العـالم الغـربي.

تطـور جيـش الانكشـارية، وازدادت أعدادهـم بعـد اندفـاع عـرق البوشـناق والأرنـاؤوط (سـكان بـلاد البوسـنة وألبانيـا٢) وانضمـوا لفـرق الانكشـارية.

كان نظـام الانكشـارية يعتمـد عـلى مبـدأ الجنديـة الصـارم، حيـث تفـرض لهـم رواتـب ثابتـة، ويقيمـون في ثكنـات عسـكرية، ويخضعـون لتدريـب مسـتمر خـارج المعـارك الحقيقيـة، وفـرض عليهـم في البدايـات عـدم الـزواج، فـكان الانكشـاري عازبـا، حتـى فرضـوا بعـد مـضي وقـت طويـل عـلى السـلاطين أن يرفعـوا عنهـم قيـد العزوبـة.

الجولـة التاريخيـة في حيـاة هـذه المؤسسـة العسـكرية ممتـع، وحافـل بالأحـداث: منهـا المـشرف، ومنهـا المخـزي. منهـا مـا سـاهم في رفـع اسـم الدولـة العثمانيـة وإدخـال مهابتهـا في قلـوب أعدائهـا، ومنهـا مـا سـاهم في إضعـاف قـوة الدولـة وتعرضهـا للخطـر داخليـا وخارجيـا.

انتهـت الانكشـارية بعـد صراع طويـل مـع السـلاطين، كانـت الغلبـة في النهايـة عـلى يـد السـلطان محمـود الثـاني، الـذي نجـح في إسـتصدار فتـوى شـيخ الإسـلام لإبادتهـم، فكانـت ملحمـة اسـطنبول التـي قُـضي فيهـا عـلى مـا تبقـى منهـم، تحـت حمـم المدافـع الحديثـة التـي امتلكهـا جيـش الدولـة العثمانيـة الجديـد، الـذي أريـد لـه أن يكـون الرافعـة التـي تجـدد هـرم الدولـة العجـوز، ظنـا مـن القائمـين عـلى الدولـة أن العلّـة هـم الانكشـارية، وأن القضـاء عليهـا سـيعيد للعثمانيـين هيبتهـم، ونـسي هـؤلاء أو تناسـوا أن هـذه الدولـة عللهـا أكـبر مـن جيـش لم يحسـن التطـور مـع الزمـن، فقـد انقلبـت عـلى المفاهيـم التـي تأسسـت لأجلهـا، وانغمـس السـلطان ورجـال دولتـه بالفسـاد واللهـو، وسـاد الظلـم والتخلـف، وسـمحوا لأعدائهـم لتثبيـت مواطـئ أقـدام لهـم في جسـد الدولـة وأطرافهـا٣.

الدراسـة تجيـب عـن تسـاؤلين، الأول: هـل انتـصر العثمانيـون بالانكشـارية، ومـا النتيجـة التـي جناهـا العثمانيـون مـن القضـاء عـلى هـذه الفئـة مـن الجيـش، ومـن المسـؤول عـن فسـاد الانكشـارية وتخلـف قدراتهـا العسـكرية؟ والثـاني: دور الجيـوش في حيـاة الأمـم، وخطـورة تحـول المهمـة العسـكرية إلى مهـمات سياسـية واجتماعيـة؟.

التأسيس

لم يعـد نظـام التطـوع مجديـا في ظـل تشـكل جيـوش كبـيرة، وحـروب متواصلـة بـين الدولـة العثمانيـة والإمـارات الصليبيـة غربـا، وأعدائهـا مـن قبائـل الـترك والعجـم شرقـا. فـكان لا بـد

(٢) - انظـر، دائـرة معـارف القـرن العشريـن، محمـد فريـد وجـدي، بـيروت: دار المعرفـة، ط٣، ١٩٧١م، بـاب: ألـب، ج١، ص٤٦١. وفي تعريـف الأرنـاؤوط ذكـرت بالكثـير مـن المصـادر التاريخيـة الأرنـا ؤود.

(٣) - انظـر، موجـز التاريـخ الإسـلامي منـذ عهـد آدم عليـه السـلام (تاريـخ مـا قبـل الإسـلام) إلى عصرنـا الحـاضر ١٤١٧ هــ/٩٦ - ٩٧ م، أحمـد معمور العسـيري، (د ت)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٣٣٤-٣٣٥.

من تأسيس جيش دائم يقوم بواجب الدفاع والحرب، فقام أورخان بتأسيس جيش نظامي خصص له خمس الغنائم، وجعل له مراكز ثابتة، ومعسكرات للتدريب، وقام بتقسيمه وفق أسس الجيوش النظامية على وحدات عسكرية، وعين الرتب العسكرية لكل وحدة٤، ثم كانت فكرة علاء الدين ابن عثمان؛ أخ السلطان أورخان ابن عثمان (٧٢٦ - ٧٦١هـ/١٣٢٧ - ١٣٦٠م)، بتشكيل الإنكشارية، وتذكر المصادر التاريخية الغربية أن هذا الجيش تكون من أبناء الروم المسيحيين الذين أخذوا بالقوة من أهلهم، وتمت تربيتهم تربية خاصة، ضمن ما أطلق عليه ضريبة الفشرية أو نظام الدثرمة*٥، حيث يؤخذ من كل قرية مسيحية خُمس أطفالها٦، إلا أن هذه الفكرة ليس لها مصوغ تاريخي مقنع، باعتبار أن جيش من هذا النوع تعتمد عليه دولة ناشئة؛ لا يمكن أن يتشكل من أشخاص أجبروا عليه بالقوة، حيث تشير مصادر التاريخ العثماني أن الانكشارية أسسها أورخان الأول من فرسان عشيرته، ومن مجاهدي النفير الذين كانوا يسارعون لإجابة داعي الجهاد، ومن أمراء الروم وعساكرهم الذين دخل الإسلام في قلوبهم، وحسن إسلامهم.

كتب وول ديورانت في قصة الحضارة: «تكونت صفوة المشاة من أبناء الأسرى، ودافعي الجزية المسيحيين، الذين كانوا ينشأون على خدمة السلطان في قصره، أو في إدارة البلاد، وفوق كل شيء في الجيش، حيث كانوا يسمون الانكشارية أو العسكر الجديد. وكان مراد الأول قد أنشأ هذه الفرقة الفذة، كوسيلة لتجريد رعاياه المسيحيين من الشباب الذين يحتمل أن يكونوا مصدر خطر. ولم يكن عددهم كبيراً- نحو عشرين ألفاً في عهد سليمان. وكانوا يتلقون تدريباً عالياً على كل المهارات الحربية، وكان محرماً عليهم الزواج، أو الاشتغال بالأعمال الاقتصادية، ويلقنون الروح العسكرية والمجد الحر والعقيدة الإسلامية، وكانوا شجعاناً في الحرب»٧.

نلاحظ أن ديورانت ينسب التأسيس لمراد الأول، ولكن الروايات التاريخية تؤكد أن الإنكشارية أسسها أورخان والد مراد، وبالتالي فيمكن أن يكون ديورانت وهم؛ أو أخطأ من ترجم ما كتبه، حيث يمكن أن نعتبر أنه قصد تعزيز قوة الانكشارية بالعديد بعد التأسيس في عهد والده، مع ملاحظة انحيازه لما ذكره بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية من أن الإنكشارية أسست بأبناء المسيحيين الذين أخذوا بالقوة من أهلهم كضريبة ، بحيث يؤخذ من كل بيت نصراني فتى واحدا كل خمس سنوات، ثم تطور لسوق جميع الفتيان بين العاشرة والخامسة عشر من العمر كل سنة ٨.

هنا يمكننا وضع ملاحظة جديرة بالتأمل حول ما ذكره بروكلمان من تحديد لسن

(٤) - انظر، الدولة العلية العثمانية، فريد بك المحامي، بيروت: دار النفائس، ط٦، ١٤٠٨هـ - ١٩٨١م ص ١٢٢- الدولة العثمانية أسباب النهوض وعوامل السقوط، علي محمد محمد الصلابي، بيروت: دار ابن كثير، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٥٢-٥٣

(٥)* - نظام الدثرمة: هو عبارة عما يعرف بالتاريخ المعاصر دور الايتام حيث اهتمت الدولة العثمانية بالأطفال المشردين من ابناء البلاد المفتوحة وغيرهم من أبناء المسلمين الذين فقدوا أباءهم، ووضعت لهم رعاية خاصة في دور مخصصة لهم، وأجريت عليهم الأرزاق وعين لهم معلمين يقومون على تأديبهم وتعليمهم الإسلام ومبادئ اللغة والأخلاق.

(٦) - انظر، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص٢٠.

(٧) - قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج٢٦/ ص١١١.

(٨) - تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة: منير البعلبكي وأمين فارس، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٩٦٨م، ص٤٦٥.

الفتيان الذين يساقون للانكشارية، وتتم تربيتهم تربية إسلامية خاصة، باعتبار أن هذه السن هي سن النضوج والتمييز، وأن الفتى الذي عاش في أحضان أهله حتى هذا العمر، ونهل من تربيتهم وثقافتهم سيكون من الصعب محو ما ارتكز في عقله وكيانه٩، فكيف للدولة العدوة التي انتزعت الولد من بيته؛ أن تأمن من هؤلاء الذين سينقلبون عليها عند أول فرصة، فالمنطق وعلم التربية يؤكدان أن هذا السن هو سن التشبع بفكر وثقافة المحيط بالانسان، فكيف بنا ببيئة اجتماعية تنتظر الدولة لتأتي وتأخذ إبنها؛ حكما سيقوم الأب، أو من يقوم على المجتمع بتنشئة هؤلاء الأولاد على كره العثمانيين والحقد عليهم.

حتى لا يكون الانكار مطلقا في هذا الجانب، فالميل إلى فرضية أخذ أبناء الروم الذين فقدوا والديهم في الحروب، هي الفكرة الأكثر إقناعا، خاصة أن الدولة العثمانية قامت على أساس الدعوة الإسلامية، ومن الطبيعي أن تستثمر أوضاع معينة مثل اليتم أو الفقد لإيواء هؤلاء الأطفال في مراكز خاصة، يشرف عليها علماء الشريعة، لينشأ هؤلاء وفق تعاليم الإسلام والجهاد، ويكونوا رجالا محاربين في المستقبل تحت راية الإسلام، وهذه الفرضية هي ما تبناها الكثير من الباحثين في علم التاريخ؛ منهم محمود شاكر في التاريخ الإسلامي١٠، وعلي محمد محمد الصلابي في الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط١١، وفريد بك المحامي في تاريخ الدولة العلية العثمانية، وقد تبنى فريد بك المحامي فرضية أخذ أبناء الروم ممن فقدموا أهلهم، لتتم تربيتهم تربية إسلامية، وتعلق بالسلطان دون غيره، ولما كثر عددهم أخذهم السلطان لشيخ الطريقة البكطاشية في آماسية ليدعو لهم بالخير، وأطلق عليهم اسم يكيجاري، أي الجيش الجديد١٢، وكذلك تعرض لها حسن الضيقة في الدولة العثمانية الثقافة المجتمع والسلطة١٣، ولو أن الضيقة تبنى أيضا فكرة أخذ أطفال النصارى محددا سنهم بين السابعة والعاشرة١٤، مخالفا بروكلمان الذي حددها بين العاشرة والخامسة عشرة، فيما ذهب مؤلفا كتاب الدولة العثمانية المجهولة أبعد في تحليل الظاهرة، وفق معطيات استندت إلى وثائق الانكشارية، وتبنيا فرضية أن الدولة العثمانية أخذت الشباب بين عمر أربعة عشر وثمانية عشر سنة، وهذا الأخذ لم يكن

(٩) - أ- تذكر الاخصائية في علم نمو الاطفال سرسا قورشا أن الاطفال بين سن العاشرة والخامسة عشرة يتميزون بالاندقاع والانكتشاف الذاتي والتمرد، ويصبح المراهقون ميالين أكثر للجدال، ويطلبون المزيد من التوضيح والتفسير عندما لا يتفقون معك على أمر معين. (انظر، موقع امهات 360، رابط https://www.360moms.net/ar/article/التربية-مراحل-النمو-والتطور/المراهقة-المبكرة-15-12-سنة/المراهقة-المبكرة-تطور-الطفل-من-عمر-١١. هذه المرحلة هي مرحلة المراهقة عند الأطفال حيث يشعر الطفل بنفسه ويحاول أن يشق طريقه بنفسه نتيجة لنمو تفكيره وبدء استيعاب ما يدور حوله، إذن هي مرحلة بدء النضوج العقلي والجسدي، وبالتالي فالطفل في هذه المرحلة يكون قد تلقى المعلومات الأساسية الأولية عن نفسه في المرحلة السابقة، ويتكون داخله الميل للمجتمع الذي يعيش فيه. (انظر، علم نفس النمو، د. حيدر ابراهيم العطار، مقرر دراسي) الدكتور جميل حمداوي يرى أن هذه الفترة العمرية تعتبر فترة مرور وعبور وانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد والرجولة، وبالتالي فهي مرحلة الاهتمام واكتشاف الذات. (أنظر، المراهقة خصائصها ومشاكلها وحلولها، حميل حمداوي- منشورات شبكة الألوكة، ص٥). أما المرحلة التي تسبق المراهقة فهي الأهم هنا، حيث يكتسب الطفل مهارات كثيرة نتيجة لبدء نموه العقلي من سن السادسة، ويصل للسنة التاسعة وقد أدرك ما يدور حوله، واكتسب الكثير من المعارف الاجتماعية، وتعلق بالحيط الذي يعيش فيه. (انظر، علم نفس النمو، حامد عبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٨٦م، ص٢١٢-٢١٩).

(١٠) - انظر، التاريخ الإسلامي- العهد العثماني(٨)، محمود شاكر، ص٦٤.

(١١) - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص٥٤.

(١٢) - انظر، الدولة العلية العثمانية، ص١٢٢-١٢٣.

(١٣) - انظر، الدولة العثمانية. الثقافة المجتمع والسلطة، حسن الضيقة، بيروت: دار المنتخب، العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص٩٠

(١٤) - انظر، الدولة العثمانية. الثقافة المجتمع والسلطة، حسن الضيقة، ص ٩٢.

بالإكـراه أبـدا، لأن رعايـا الدولـة العثمانيـة مـن غـير المسـلمين كانـوا يتمنـون الانخـراط في المؤسسـة الأكـثر سـمعة ومكانـة في الدولـة، وكانـوا يرجـون أن يكـون أبناؤهـم فيهـا، وفعـلا سـمحت الدولـة لفئـات منهـم بالإنخـراط بالجيـش الإنكشـاري ضمـن ضوابـط، فيـما منـع اليهـود والـروس١٥، ومـما جـاء في الكتـاب «إن العائـلات غـير المسـلمة التـي كانـت تهـب أولادهـا للانخـراط في هـذه المؤسسـة، كانـت تعفـى مـن ضرائـب معينـة، لـذا كانـت تسـلم أولادهـا بيدهـا، وتتوسـل بحيـل مختلفـة، لـكي يقبـل أولادهـا في مؤسسـة أعجمـي أوغلانـلاري (الإنكشـارية)»١٦

الرعاية الإسلامية للانكشارية.

مـا كاد أورخـان ينتهـي مـن تنظيـم هـذا الجيـش، حتـى سـارع إلى حيـث يقيـم العـالم المؤمـن التقـي الحـاج بكطـاش، وطلـب منـه أن يدعـو لهـم بالخـير، فتلقاهـم العـالم بكطـاش خـير لقـاء، ووضـع يـده عـلى رأس أحـد الجنـود، ودعـا لهـم اللـه أن يبيـض وجوههـم، ويجعـل سُـيوفهم حـادة قاطعـة، وأن ينصرهـم في كل معركـة يخوضونهـا في سـبيل اللـه، ثـم مـال اتجـاه أورخـان فسـأله، هـل اتخـذت لهـذا الجيـش اسـماً .. ؟ قـال: لا، قـال: فليكـن اسـمه « ينـي جـري « وتلفـظ « ينـي تـشري « أي الجيـش الجديـد١٧.

كانـت رايـة الجيـش الجديـد مـن قـماش أحمـر وسـطها هـلال، وتحـت الهـلال صـورة لسـيف أطلقـوا عليـه اسـم « ذي الفقـار « تيمنـاً بسـيف الإمـام عـلي رضي اللـه عنـه. وعمـل أورخـان عـلى زيـادة عـدد جيشـه الجديـد، بعـد أن ازدادت تبعـات الجهـاد، ومناجـزة البيزنطيـين، فاختـار عـدداً مـن شـباب الأتـراك، وعـدداً مـن شـباب البيزنطيـين الذيـن أسـلموا وحسـن إسـلامهم، فضمهـم إلى الجيـش، واهتـم اهتمامـاً كبـيراً بتربيتهـم تربيـة إسـلامية جهاديـة١٨.

لم يلبـث الجيـش الجديـد حتـى تزايـد عـدده، وأصبـح يضـم آلافـاً مـن الجنـود الأشـداء.١٩ خاصـة بعـد أن سـيطر العثمانيـون عـلى البوسـنة مـن بـلاد البلقـان وسـكانها مـن البوشـناق عـام ١٤٦٤م، فأسـلم معظـم أهلهـا، ودخـل منهـم في الانكشـارية أكـثر مـن ثلاثـين ألفـا٢٠.

نشـير لوضـع الأمـور في نصابهـا أن الحـرب أفـرزت أعـدادا هائلـة مـن الأطفـال الذيـن فقـدوا آباءهـم، وأصبـح هـؤلاء بـلا مـأوى أو معيـل، فكانـت فرصـة للعثمانيـين لبـث الإسـلام في نفـوس هـؤلاء مـن خـلال احتضانهـم ورعايتهـم، وتعليمهم مبـادئ الشريعـة الإسـلامية، باعتبـار أن الهدف الأول للفتـح في بـلاد البيزنطيـين؛ كان الدعـوة للإسـلام ومبادئـه، فـكان هـؤلاء الأطفـال الأيتـام ثمـرة لهـذا الفتـح، فقدمـت لهـم الدولـة الرعايـة الكاملـة والتربيـة الإسـلامية، فنشِّـئوا عـلى حـب الاسـلام والتضحيـة في سـبيل نـشره بـين الأمـم الغربيـة.

(١٥) - انظر، الدولة العثمانية المجهولة، سعيد أوزتورك وأحمد آق كوندز، وقف البحوث الإسلامية، ٢٠٠٨، ص ٦٩-٧٤.

(١٦) - الدولة العثمانية المجمولة، مصدر سابق، ص٧٤.

(١٧) - انظر، التاريخ الإسلامي- العهد العثماني(٨)، محمود شاكر، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص٦٤

(١٨) - انظر، التاريخ الإسلامي- العهد العثماني(٨)، محمود شاكر، ص٦٤

(١٩) - الدولة العثمانية – عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ٥٤-٥٥.

(٢٠) - انظر، الدولة العلية العثمانية، فريد بك المحامي، ص١٧٠.

الباحث الرصين هو الذي لا يقف عند رأي أو رأيين، إنما عليه التوسع في البحث، وجمع المعطيات لتأكيد الفكرة، أو عكسها في هذا الشأن باعتبارها فكرة إشكالية، وجدت آراء متعارضة حولها، فقسم من المؤرخين استخدمها لتشويه صورة العثمانيين، وقسم وضعها في سياقها المعتمد على حق الفاتح في الترويج لفكره ودينه، وهذا ما قام به العثمانيون من خلال رعاية الناس والاهتمام بحياتهم وعيشهم الكريم، وهذه كانت صفة ملازمة للمسلمين في فتوحاتهم عبر التاريخ.

«ارْتقى هَذَا الْجَيْش في النظام، وَزَاد عدده، حَتَّى صَار لَا يعول إلا عَلَيْه في الحروب، وَكَانَ هُوَ من أكبر وأهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية، كَمَا أنهم خَرجُوا فِيمَا بعد عَن حدودهم، وتعدوا، واستبدوا، بمَا جعلهم سَببا -من أسباب- في تَأْخّر الدولة وتقهقرها، وَكَانَ ضباطهم يلقبون بالقاب غَرِيبَة، وَلكنهَا تدل على أن أولئك الْجنُود كَانُوا يعيشون من انعامات السُّلْطَان، وأنهم كأولاده، فَمن ألقابهم شوربجي باشي وعشي باشي وسْقا آغاشي وأوده باشي إِلَى غير ذَلك، وَهَذه الألقاب كَانَت عِنْدهم بِمَثَابَة العناوين الْخَاصَّة بالرتب العسكرية، ثمَّ إنهم كَانُوا يعظّمون ويجلون الْقُدُور الَّتِي كَانَت تقدم إليهم فِيهَا الماكولات، فَكَانَ الانكشارية لَا يفارقون تِلْكَ الْقُدُور حَتَّى وَقت الْحَرْب، وَكَانُوا يدافعون عَنْهَا دفاع الْجنُود عَن أعلامهم، حَتَّى كَانَ يعْتَبر ضياعها في الْقِتَال أكبر إهانة تُلْحق بأصحابها الْعَار والفضيحة، وَكَانُوا إِذا أرادوا إظهار عدم الرِّضَا من بعض أوامر رُؤَسَائِهِمْ؛ يقلبون الْقُدُور أمام مَنَازِلهمْ. واستمرت هَذِه الفئة عونا للدولة على أعدائها، حَتَّى تَغَيَّرت أحوالها، وازداد طغيانها، وانقلبت فوائدها مضرات، فأبطلها السُّلْطَان مَحْمُود الثَّاني بعد أن قتل أغلبهم في يَوْم (١٦ يونيو سنة ١٨٢٦ - ١٠ ذِي الْقعدَة سنة ١٢٤١هـ) لمقاومتهم إجراءات السلاطين وعصيانهم عَلَيْهِ»٢١.

إزدادت قوة الانكشارية لدرجة أنهم كانوا يفرضون على السلطان قتل من يعارضهم أو إقالته، ووصلت بهم القوة، ليفرضوا على السلاطين التنحي لمن يرغبون من إخوانه أو أبنائه. ومن أعمالهم أنهم بعد تنحي السلطان مراد الأول الذي فضل الاعتزال لإبنه محمد الثاني؛ وكان في ريعان شبابه ثار عليه الانكشارية، وتمردوا، مما اضطر السلطان مراد للعودة مجددا للحكم، وإخماد ثورتهم وإشغالهم بالحرب والفتوحات٢٢.

ومن المواقف التي قاموا بها بعدما «توفيّ السُّلْطَان مُحَمَّد الثَّاني عَن وَلدين أكبرهما بايزيد الْمَوْلُود سنة ٨٥١ - ١٤٤٧م، وَكَانَ حَاكما بآماسيا وَثَانِيهمَا جم الْمَشْهُور في كتب الافرنج باسم الْبرْنُس زيزيم، وَكَانَ حَاكما في القرمان، فأخفى الصَّدْر الأعظم قرماني مُحَمَّد باشا موت السُّلْطَان مُحَمَّد حَتَّى يَأْتِي بكر أولاده بايزيد، وَلكنه لشدَّة ارتباطه ومودته بالأصغر؛ أرسل إليه سرا يُخبرهُ بمَوْت أبيه كي يحضر قبل أخيه الأكبر ويستلم مقاليد الدولة. وَلما أذيع هَذَا الْخَبَر؛ ثار الانكشارية على هَذَا الْوَزير وقتلوه، وعاثوا في الْمَدِينَة

(٢١) - الدولة العلية العثمانية، فريد بك المحامي، ص١٢٣-١٢٤.

(٢٢)- انظر، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، يلماز اوزتونا، ترجمة: عدنان محمود سلمان، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م. ص٨٢- الدولة العلية العثمانية، فريد بك المحامي، ص١٥٨.وهناك رأي آخر في موضوع عودة مراد للحكم مخالف لما مرّ معنا، ومختصره أن الدولة العثمانية تعرضت لخطر كبير من أوروبا فسارع أمراء الدولة للسلطان مراد الثاني طالبين منه العودة للحكم، فرجع وهزم الأوروبيين، ثم عاد لمعتزله، تاركا الحكم لإبنه محمد. (انظر، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصدر سابق، ص١٥٦-١٥٨. وانظر، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج٨، ص١٠**).

سلبا ونهبا، وأقاموا ابْن السُّلْطَان بايزيد واسْمه كركود نَائِبا عَاما عَن أبيه لحين حُضُوره، وَذَلِكَ فِي يَوْم ٥ ربيع الاول سنة ٨٨٦هـ ٤ مايو – ١٤٨١م، وَفِي يَوْم ١٣ ربيع الاول وصل الرَّسُول إِلَى بايزيد، فسافر فِي الْيَوْم التَّالِي باربعة آلَاف فَارس، وَوصل إسلامبول بعد مسير تِسْعَة أَيَّام مَعَ أَن الْمسَافَة تبلغ ١٦٠ فرسخا تقطع عَادَة فِي نَحْو ١٥ يَوْمًا، فقابله أمراء الدولة وأعيانها عِنْد بوغاز مضيق البوسفور، وَفِي أثناء اجتيازه البوغاز أحاطت بِهِ عدَّة قوارب مملأى بالانكشارية، وطلبوا منْهُ عزل أَحْد الوزراء الْمَدْعُو مصطفى باشا، وَتَعْيين اسحق باشا ضَابِط إسلامبول مَكَانَهُ، فأجاب طَلَبهمْ، وَكَذَلِكَ عِنْد وُصُوله إِلَى السراي الملوكية وجدهم مصطفين أمامها طَالِبين الْعَفو عَنْهُم فِيمَا وَقع من قتل والوزير وَنهب الْمَدِينَة، وأن ينعم عَلَيْهِم بمبلغ سُرُورًا بتعيينه؛ فأجابهم إِلَى جَمِيع مطالبهم، وَصَارَت هَذِه سنة لكل من تولى بعده، إِلَى أن أبطلها السُّلْطَان عبد الحميد خَان الاول سنة ١٧٧٤»٢٣. وفي ذروة قوتهم أجبروا السلطان بايزيد الثاني على خلع نفسه ونصبوا مكانه ابنه السلطان سليم الأول الذي كان محبا للحرب والمغامرات وكان محبوبا لديهم٢٤.

ذروة القوة والضربات المتلاحقة

ذروة قوة الانكشارية تمثلت في عصيان أوامر السلطان سليم الأول في التقدم في بلاد فارس بحجة قلة الإمكانات والمؤن٢٥، فبيّتها لهم السلطان، ريثما يعود لإسلامبول، حيث كان أول عمل له بعد الوصول إليها أنه «أمر بقتل عدد عَظِيم من ضباط الانكشارية الَّذين كَانُوا سَبَب الِامْتِنَاع عَن التَّقَدُّم فِي بِلَاد فَارس ... خشيَة من امتداد الْفساد، وَعدم الاطاعة فِي الجيوش، وَأمر بقتل قَاضِي عَسْكَر هَذِه الفئة واسْمه جَعْفَر جلبي، لانه كَانَ من أكبر المحركين لهَذَا الِامْتِنَاع، وخوفا من حُصُول مثل ذَلِك فِي الْمُسْتَقْبل؛ جعل لنَفسه حق تعْيين قائدهم الْعَام، وَلم يكن من بَينهم ليَكُون لَهُ بذَلِك السيطرة عَلَيْهِم، وَكَانَ النظَام السَّابِق يقْضِي بتعيينه من أقدم ضباط الانكشارية»٢٦.

كذلك عاقبهم السلطان سليمان القانوني حين خالفوا الأوامر في حصار جزيرة رودوس، فاحتلوها، وعاثوا فيها تخريبا ونهبا، بعد أن كان السلطان أعطى حاميتها المسيحية الأمان للخروج منها، فقام السلطان بمعاقبتهم، وأعاد الحقوق لأهل رودوس٢٧.

استمر التضييق على الإنكشارية، وتقليم أظافرهم شيئا فشيئا، ومن ذلك أن السلطان سليمان القانوني قتل بعض قادتهم، وعزل آخرين بعد أن قاموا بأعمال سلب ونهب وقتل في اسطنبول في ثورة غضب على الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وذلك عام ١٥٢٥م٢٨. لكن

(٢٣) – الدولة العلية العثمانية، فريد بك المحامي، ص١٧٩.

(٢٤) – انظر، الدولة العلية العثمانية، فريد بك المحامي، ص١٨٦-١٨٧.- موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، يلماز اوزتونا، ج١، ص٩٧.

(٢٥) – انظر، الدولة العلية العثمانية، ص١٩٠-١٩١.- قصة الحضارة، وول ديورانت، ج٢٦، ص٩٤. – موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، يلماز اوزتونا، ج١، ص١٠٠.

(٢٦) – الدولة العلية العثمانية، ص١٩١.

(٢٧) – انظر، الدولة العلية العثمانية، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢٨) – انظر الدولة العلية العثمانية، ص ٢٠٨.

هـذه الإجـراءات لم تقلـل مـن قوتهـم أو سـطوتهم، لعـدم وجـود قـوة عسـكرية تقـف في وجوههم، فهـم القـوة الأبـرز، والأكـثر تنظيـما وتسـليحا في الدولـة، واسـتمروا في طغيانهـم وانتهاكاتهـم؛ حتـى أنهـم اعترضـوا عـلى قـرار السـلطان مـراد الثالـث بمنعهـم مـن شرب الخمـر، ونقضـوا قـراره بذلـك٢٩. ولكـن السـلاطين الذيـن تعاقبـوا بعـد سـليمان كانـوا يحاولـون التخفيـف مـن قوتهـم وإشـغالهم بالحـروب عـن التدخـل في الحيـاة العامـة.

تـولى عثـمان الثـاني عـرش الأمبراطوريـة العثمانيـة، وعـزم عـلى التخلـص مـن الإنكشـارية، فحـاول تـلافي أخطـاء مـن سـبقوه، فعـزم عـلى بنـاء جيـوش قويـة في الـشرق تسـتطيع عنـد الـضرورة القيـام بواجـب حمايـة الدولـة، وتقـف بوجـه أطـماع الانكشـارية وتجاوزاتها، ثـم القضاء عليهـا في آخـر المطـاف، لكـن الانكشـارية أدركـوا مـراد عثـمان الثـاني، وثـاروا عليـه، وخلعـوه عـن العـرش، ونكلـوا بـه شر تنكيـل، ثـم أعدمـوه، وذلـك سـنة ١٦٢٢م، وعينـوا مكانـه السـلطان مصطفـى الأول٣٠. فاضطربـت البـلاد، وتجـرأ الصفويـون عـلى اسـتعادة مـا كانـوا خسـروه مـن قبـل، فعـزل الانكشـارية مصطفـى الأول بحجـة أنـه ضعيـف العقـل، وعينـوا مكانـه مـراد الرابـع، وكان فتـى حدثـا، لم يتجـاوز عمـره الثلاثـة عـشر عامـا، كي يسـهل عليهـم التلاعـب بـه٣١.

عـام ١٦٣٢ بعـد عـشرة أعـوام مـن طغيـان الإنكشـارية، كان عـود السـلطان مـراد الرابـع قـد قـوي، فوقـف بوجـه الانكشـارية، الذيـن أرادوا فـرض إعـادة تعيـين الصـدر الأعظـم خسـرو باشـا بعـد فشـله في اسـترجاع بـلاد العـراق مـن الصفويـين الـذي كان السـلطان قـد اسـتبدله بحافـظ باشـا، «فثـاروا، وأرسـلوا إِلَى الاسـتانة يطْلبُـونَ ارجاعـه، وَلـما لم يجـب السُّـلْطَان طَلَبهـمْ، سَـارُوا إِلَى إسـلامبول، وَقَامُـوا بثـورة عَظِيمَـة خيـف مِنْهَـا عـلى حَيَـاة السـلطان، فقـد دخلُـوا السـراي السُّـلْطَانِيَّة في ١٨ رَجَـب سـنة ١٠٤١ - ٩ فبرايـر سـنة ١٦٣٢ وَقتلُـوا حَافـظ باشـا رغـما عَـن تدخـل السُّـلْطَان ومنعهـم عَنـهُ، فاغتـاظ السُّـلْطَان، وأمـر بقتـل خـسرو باشـا محـرك هَـذه الْفتْنَـة، فَقتـل، وَلم ينـل بغيتـه مـن الْبَقَـاء في الصـدارة، وَعـين بـيرام مُحَمَّـد باشـا صَـدرا أعظـما، وَمـن ذَلـك الْحِـين أظهـر السُّـلْطَان عزمـا شَـدِيدا قَوِيـا في مجـازاة رُؤْوس الانكشـارية وَغَيرهـم ممَّـن كَانَ يهيـج الخواطـر، ويقلـق الرَّاحَـة العموميـة، وَصَـارَ يأمـر بقتـل كل مـن ثَبـت عَلَيْـه أقـل اشْـتِرَاك في الحـركات الأخـيرة، وَبِذَلـك داخلهـم الرعـب، وَوَقعـت مهابتـه في قُلُوبهـم، وخشـيه الصَّغِـير وَالْكَبِـير والأمـير والحقـير، وَسَـار كل في طَرِيقـه، مكبـا عـلى عملـه بِـدُون أَن يـأتي مَـا يكـدر صفو كأس الرَّاحَـة العموميـة، وَأمـن النَّـاس عـلى أَمـوالهـم وأعراضهـم مـن التَّعَـدِّي، وسـادت السـكينَة في إسـلامبول وضواحيهـا وَجَمِيـع انحـاء المملكـة»٣٢.

هنـا ملاحظـة مهمـة جـدا، يجـدر الوقـوف عندهـا، فحـين يأخـذ السـلطان دوره، ويفـرض هيبتـه، لا يعـود لمـن هـم دونـه قـدرة عـلى التحـرك وأخـذ زمـام المبـادرة٣٣، فالسـلطان مـراد الرابـع أدرك

(٢٩) - انظـر، المصـدر السـابق ذاتـه، ص ٢٥٩. ولم أجـد هـذه المعلومـة عنـد غـيره ممـن أرّخ للدولـة العثمانيـة، بـل عـلى العكـس فقـد ذكـر كارل بروكلمان أن الخمـر كان ممنوعـا عـلى الجيـش العثـماني في وقـت كانـت جيـوش أوروبـا غارقـة بالرذيلـة والخمر(انظـر، تاريخ الشـعوب الإسـلامية، ص٤٦٨).

(٣٠) - انظر، الدولة العلية العثمانية، ص ٢٧٨.- قصة الحضارة، ج٣٠، ص١٤٧.

(٣١) - انظر، الدولة العلية العثمانة، ص٢٨٠.

(٣٢) - الدولة العلية العثمانية، ص ٢٨٢

(٣٣) - أنظر، مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ص ١٤٦-١٤٧.

أنــه لا بــد مــن الحــزم مــع هــذه الفئــة المتفلتــة، فرفــع الصــوت في وجوههــم، مــما ولــد تراجعــا لدورهــم، وســيادة للطمأنينــة، وتوجــه كل عامــل إلى وظيفتــه دون تلكــؤ، أو تدخــل فيــما لا يعنيــه.

«كَانَــت آخــر ثــورة للانكشــارية في آخــر شَــوَّال ســنة ١٠٤١هـــ - ١٩ مايــو ســنة ١٦٣٢م؛ حركهــا مــن يدعــى رَجَــب باشــا لغايــة في النَّفــس، فأمــر السُّــلْطَان بقتْلــه وإلقــاء جثتــه مــن شــباك الــسراي، حَتَّــى يَرَاهَــا المتجمهــرون، فســكنت الخواطــر، وَلم يحصــل مَــا يعبــث بالأمــن بعــد ذَلِــك في مدَّتــه»٣٤.

عــاد الانكشــارية مجــددا لفــرض ســطوتهم في عهــد السُّــلْطَان ابراهيــم الأول الــذي أراد «أن يفتــك بــرؤوس الانكشــارية في لَيْلَــة زفــاف إحــدى بَنَاتــه عــلى ابْــن الصَّــدْر الأعظــم، لتذمرهــم وانتقادهــم عــلى أعمالــه، ورغبتهــم في التَّدَخُــل في شــؤون الدولــة وَالْخُــرُوج عَــن حدودهــم، فَعَلِمُــوا بِقصــد السُّــلْطَان، وَتَآمَــرُوا عــلى عَزلــه، واجتمعــوا بِمَسْــجِد يُقَــال لَــهُ أورطــه جَامــع، وانضــم إليهــم بعــض الْعلــمَاء والمفتــي عبــد الرَّحِيــم أفنــدي، وأهَاجــوا عَسَــاكِر الانكشــارية والســباهي (فرقــة الخيالــة)، وَقــرر الْجَمِيــع عزلــه، وتوليــة ابْنــه مُحَمَّــد الرَّابِــع الْمَوْلُــود في ٢٩ رَمَضَــان ســنة ١٠٥١هـــ - ســنة ١٦٤٢م، أي الَّــذِي لم يتــم السَّــابِعَة مــن عمــره، وتمــت هَــذِه الثــورة يَــوْم ١٨ رَجَــب ســنة ١٠٥٨ - ٨ أغســطس ســنة ١٦٤٨، وَبعــد ذَلــك بِعــشْرَة أيــام أظهــر الســباهي عــدم ارتياحهــم مــن الْملــك الفتــي، وطلبــوا إعــادة السُّــلْطَان إبراهيــم إِلَى عــرش الْخلَافَــة، فخــشي رُؤَســاء الْعصَابَــة الَّتِــي عزلتــه مــن تغلــب الســباهي وارجاعــه رغــم أنفهــم، وصممــوا عــلى قَتلــه فَسَــارُوا إِلَى الــسراي وَمَعَهُــمْ الجــلاد قــره عَــليّ، وقتلــوه خنقــا، كَــمَا قتلــوا السُّــلْطَان عُثْــمَان الثَّــاني مــن قبلــه، فَكَانَــت مُــدَّة حكمــه ٨ سِــنِين و ٩ شــهور وســنه ٣٤ ســنة، وَبِذَلِــك ارْتَــاحَ خاطرهــم وَاطــمأن بالهــم»٣٥.

اضطربــت الأحــوال مجــددا، «وتغلبــت مراكــب جمهوريــة البندقيــة عــلى عــمَارَة الدولة (الأســطول البحــري) عِنْــد مدْخــل الدردنيــل، واحتلــت تنيــدوس وجزيــرة لمنــوس وَغَيرهــمَا، ومنعــت بذلــك المراكــب الحاملــة للقمــح وأصنــاف المأكــولات عَــن الْوُصُــول إِلَى إســلامبول مــن هَــذَا الطَّرِيــق، حَتَّــى غلــت جَمِيــع الأصنــاف، وَاسْــتمرّ الْحَــال عــلى هَــذَا المنــوال، وَلَا نظــام وَلَا أمــن وَلَا سَــكِينَة، وبالاختصــار لَا حُكُومَــة ثَابِتَــة إِلَى أن قيــض لَهَــا سُــبْحَانَهُ وَتَعَــالَى الْوَزِيــر مُحَمَّــد باشــا الشــهير بكوبريــلي الَّــذِي تــولى منصــب الصــدارة ســنة ١٠٦٧ - ١٦٥٦، فعامــل الانكشــارية مُعَاملَــة مــن يُرِيــد أن يطــاع إطاعــة عميــاء، وَقتــل مِنْهُــم خلقــا كثــيرا عِنْدَمَــا ثَــارُوا كعادتهــم، لمــا رأوه رجــلا خَبِــيرا بدخائــل الأمــور قَــادِرًا عــلى قمعهــم وإلزامهــم الْعــودة إِلَى الســكِينَة»٣٦.

ثــار الانكشــارية مجــددا، وعزلــوا السُّــلْطَان مصطفــى الثَّــاني في ٢ ربيــع الآخر ســنة ١١١٥هـــ - ١٥ أغســطس ســنة ١٧٠٣م بعــد أن حكــم ٨ ســنوات و ٨ شــهور، وَبَقِــي معــزولا إِلَى أن تــوفيّ في ٢٢ شــعْبَان مــن السّــنة الْمَذْكُــورَة ٣١ دســمبر ســنة ١٧٠٣ م وعمــره أربعــون ســنة تَقْرِيبًــا٣٧، وأقامــوا مَكَانَــهُ بعــد عَزلــه أخــاه أحمــد الثالــث، الــذي ســايرهم بعــد تَعْيِينــه، «ووزع أمــوالاً طائلــة عــلى الانكشــارية، وَســلم لَهُــم في قتــل المفْتِــي فيــض اللــه أفنــدي لمقاومتــه لَهُــم في أعمالهــم، ثــمَّ

(٣٤) - المصدر السابق ذاته، ص٢٨٣.

(٣٥) - الدولة العلية العثمانية، ص ٢٨٨.

(٣٦) - المصدر ذاته، ص ٢٩٠.

(٣٧) - المصدر ذاته، ص ٣١١.

لما قرّت الأحوال، وعادت السكينَة اقْتصّ من رُؤوس الانكشارية، فَقتل مِنْهُم عددا لَيْسَ بِقَلِيل، وعزل في ٦ رَجَب سنة ١١١٥ - ١٥ نوفمبر سنة ١٧٠٣ الصَّدْر الاعظم نشانجي أَحْمَد بَاشا الَّذِي انتخبَه الانكشارية وَقت ثورتهم، وَعين فِي هَذِه الْوَظِيفَة المهمة زوج أخته داماد حسن باشا»٣٨. إلا أنهم استمروا في طغيانهم، حتى وصل بهم الأمر لفرض تنازل السلطان عن الحكم، وكان لهم ذلك، بأن خلع السلطان أحمد الثالث نفسه، فعين الانكشارية ابن أخيه محمود سلطانا بعد حكم دام سبعا وعشرين سنة٣٩.

إعادة المحاولة بضرب الانكشارية

استغل محمود الأول الحالة التي وصلت إليها الجيوش العثمانية، وخاصة الانكشارية من ضعف وترهل، ليقوم بما عجز عنه جده عثمان الثالث من بناء جيش يقف بوجه الانكشارية، ويكسر شوكتهم، وكانت في أوروبا تتشكل الجيوش على نسق حديث، وبأسلحة جديدة، فيما الدولة العثمانية على قديمها، وسطوة انكشاريتها الذين تلهوا بالفساد والإفساد عن الحروب والفتح، وحصل أن غزا نابليون بونابرت مصر، وحاول الوصول إلى الشام، فتصدت له القوات الجديدة التي كانت تشكلت من غير الانكشارية، ونجحت في صد هجمات بونابرت، فقويت عزيمة السلطان، وأمر بفصل سلاح المدفعية عن الانكشارية، وتقوية القوات الجديدة، وزيادة عدديها وسلاحها، ثم كلفت هذه الفرق الجديدة بقمع التمرد والشغب الذي حصل في عدة ولايات، فاستطاع هؤلاء تنفيد المهمة في الوقت الذي فشلت الانكشارية فيه. وأزداد الضغط على الانكشارية، وأمر السلطان سليم الثالث الذي خلف محمود الأول بجمعهم، وإخضاعهم للتأهيل العسكري وفق الأسس الجديدة، لكنهم تمردوا ورفضوا ذلك، «لذَا ارسل السُّلْطَان إِلَى عبد الرَّحْمَن باشا وَالِي بِلَاد القرمان الَّذِي كَانَ من أكبر المعضدين للإصلاح العسكري أن يأتي إِلَى الآستانة بجيوشه المنتظمة، ليوجَهوا إِلَى الْبِلَاد الَّتِي امْتنع بهَا الانكشارية عَن تَنْفِيذ الأمر السلطاني، فأتى إِلَى القسطنطينة في أوائل سنة ١٨٠٦، وَبعد أَن مكث نَحْو شهر، استعرض السُّلْطَان فِي خلاله الْجنُود النظامية، سَافر عبد الرَّحْمَن باشا وَجُنُوده قَاصِدا مَدِينَة أدرنه في أواسط يوليه من السّنة الْمَذْكُورَة، وَلما وصل إليها وجد اللانكشارية ثَائرين وأبوابها مؤصدة أمامه، فَعَاد إِلَى الآستانة بعد حُصُول عدَّة وقائع حربية بَينه وَبَين الثائرين، وَلما رأى السُّلْطَان امتداد الثورة، واتحاد بعض الْعلمَاء والطلبة ضد النظام الْجَدِيد، أذعن لمطلب الانكشارية، وارجع العساكر النظامية إِلَى ولايات آسيا، وعزل الوزراء، وَعين آغا الانكشارية صَدرا أعظما، وَمَعَ ذَلِك لم تَنْتَه هَذِه الْمَسْأَلَة بِسَلام، بل جرّت بعد ذلك إِلَى عزل السلطان سليم الثالث بعد أن أصدر قرارا بإلغاء الجيش الجديد تحت ضغط فتوى المفتي»٤٠، وقد استخدم الانكشارية المفتي وبعض رجال الدين وسيلة لتحقيق هدفهم، بأن أصدر المفتي فتوى تحريم إدخال الإصلاحات العسكرية للجيش بحجة أنها إفرنجية، وتخدم أعداء الإسلام، وكان لهم ما أرادوا، وذلك عام ١٨٠٧، وعينوا مصطفى الرابع سلطانا بعده.

(٣٨) - المصدر ذاته، ص٣١٢

(٣٩) - انظر، المصدر ذاته، ص٣١٨-٣٠١٩.

(٤٠) - الدولة العلية العثمانية، ص٣٨٧.

النهاية المؤلمة

استمر الحال حتى جاء السلطان محمود الثاني، وتولى العرش عام ١٨٠٨م، حيث استفاد من خدعة الانكشارية أنفسهم، فأرسل للمفتي يطلب منه فتوى بتأهيل الانكشارية وفقا للتطور العسكري الحديث، حتى يستطيعوا مواجهة الأعداء الذين زادت قوتهم بفضل الانظمة العسكرية الحديثة، وفعلا حصل على الفتوى، وأصدر قرارا بإخضاع الانكشارية للتأهيل العسكري، فعارضوا ذلك بشدة وثاروا، فأمر السلطان بمواجهتهم.

استطاع في المواجهة الأولى كسر شوكتهم دون القضاء عليهم بعد معركة اسطنبول، التي توقفت بعد أن أضرم الانكشارية النيران في أرجاء المدينة، فقبل السلطان وقف الهجوم عليهم، وترك أمر إنهائهم لوقت آخر[٤١].

الغاء طَائِفَة الانكشارية

«لما تحقق السُّلْطَان مَحْمُود أفضلية النظامات العسكرية المستعملة في جيوش أوروبا، وَسمع بمَا أتته الْجنُود المصرية المنتظمة من الأعمال الباهرة في محاربة عدوها، وَعلم أَن انتصارات ابراهيم باشا على اليونانيين لم تكن إلا نتيجة النظام العسكري، زَاد تعلقه بإصلاح العسكرية، وأراد اتمام الْمَشْرُوع الَّذِي لم يتمكن السُّلْطَان سليم الثَّالث من اتمامه، فَجمع جَمِيع ذَوَات وأعيان الدولة، وكبار ضباط الانكشارية في بَيت الْمُفْتِي في أوائل سنة ١٨٢٦م - ١٢٤١هـ، وَلما تَكَامل الْحُضُور خطب فيهم الصَّدْر الاعظم سليم مُحَمَّد باشا، مظْهرا مَا وصلت اليه حَالَة الانكشارية من الضعة والانحطاط، وَعدم الانقياد لرؤسائها، حَتَّى صَارَت من أكبر دواعي تَأَخّر الدولة الْعلية بازاء تقدم الدول الاوروبية المستمر، بعد أَن كَانَت هَذِه الفئة من أكبر عوامل تقدم الدولة وامتداد فتوحاتها، ثمَّ أبان لَهُم ضَرُورَة إدخال النظام العسكري في أورط (فرق) الانكشارية إذ لَا يُمكنهَا بحالتها الحالية الْوُقُوف أمام الجيوش الأوروبية المنتظمة، فَلَمَّا اقتنع الْحَاضِرُونَ بإصابة فكره، وضرورة إصلاح الجندية، وأقروا على هَذَا المبدأ الْحسن، قَامَ كَاتب سر مكتوبجي الصَّدْر الأعظم، وتلا عَلَيْهِم مَشْرُوعا محتويا على سِتَّة وأربعين بندا، ذكر بهَا بِكُل ايضاح كَيْفيَّة التنظيمات المُرَاد ادخالها، وَبعد إقرار الجمعية عَلَيْهِ، حرر بذلك محضرا خَتمه جَمِيع الْحَاضِرين؛ حَتَّى ضباط الانكشارية، وأفتى المفتي بِجَوَاز الْعَمَل بهَا شرعا، ومعاقبة من يُعَارض في إنفاذها، ثمَّ تَلا الْمَشْرُوع على جَمِيع ضباط الانكشارية فأقروا عَلَيْهِ، لَكِن لم تكن موافقتهم إلا ظاهرية فَقَط، فإنه لما ابتدئ في تَعْلِيم الضباط بمَعْرِفَة من تعين من ضباط الإفرنج بِصفة معلمين، تنبه الانكشارية إِلَى عواقب الأمر، وَعَلمُوا أَنه لَو تمّ هَذَا النظام كَانَ سَببا في ضيَاع كَافَّة امتيازاتهم من جِهَة، وألزموا بمراعاته مَعَ مَا فِيهِ من سلب حريتهم. من جِهَة أخرى أخذوا يستعدون للثورة والعصيان، ليوقفوا تنفيذه كَمَا فعلوا قبلا، واستمالوا بعض الرعاع الَّذين اتَّبَعُوهُمْ طَمَعا في السَّلب والنهب.

(٤١) انظر، الدولة العلية العثمانية، ص ٣٩٨-٤٠٠.

لما كَانَ يَوْم ٨ ذِي الْقعدَة سنة ١٢٤٠هـ -٢٤ يونيو سنة ١٨٢٦م، تعرض بَعضهم للجند وَقت التمرين، فأصدر السُّلْطَان أمْرَهْ بمعاقبة كل متعرض لَهُم بِالْقَتْلِ، وَلذَا تجمع المتعصبون فِي مسَاء ذَلِك الْيَوْم وَتآمَرُوا على الْعِصْيَان.

كَانَ السُّلْطَان فِي سراي بشكطاش، فَحَضَرَ على الْفَوْر، وَجمع الْعلمَاء وأخبرهم بِمَا ينويه الانكشارية، فاستقبحوا عَمَلهم، وشجعوه على المقاومة، فاستدعى ألوية الطوبجية (سلاح المدفعية) الَّتِي نظمها عقب تَوليته، واستعد لقتَال الثائرين، وعزم على عدم التساهل مَعَهم خوفًا من تفاقم شرورهم، واسترسالهم فِي التمرد والطغيان، وَفِي صباح ٩ ذِي الْقعدَة ٢٥ يونيو اخْرُج السُّلْطَان الْعلم النَّبَوِيّ الشريف، وَسَار بِجُنُود الطوبجية يتقدمه الْعلم إِلَى سَاحة آت ميداني، حَيْثُ كَانَ الثائرون مُجْتَمعين فِي هرج ومرج، وَتَبعهُ كثير من الْعلمَاء والطلبة، وَلم يمض قَلِيل حَتَّى أحاطت الطوبجية بالميدان، واحتلت جَمِيع المرتفعات المشرفة عَلَيْهِ، وسلطت مدافعها على الانكشارية من كل صوب، فَخرج جَمِيع الانكشارية، وتجمهروا قَاصدين الهجوم على المدافع للاستيلاء عَلَيْهَا، فَقَذَفْتُ عَلَيْهِم من صيب قللها مَا أوقعهم فِي الفشل، وأيقنوا مَعَه أَن لَا طَاقَة لَهُم على مقاومتها، فعكفوا إِلَى ثكناتهم طَالبين النجَاة، لَكِن أنّى لَهُم ذَلِك، وَقد سلطت أفواه المدافع عَلَيْهَا، فهدمتها واشعلت فِيهَا النيران حَتَّى دمرتها على من التجأ اليها، وَبِذَلِك انْتَهَت هَذِه الْفِتْنَة المريعة، وَفِي الْيَوْم التَّالِي صدر فرمان سلطاني بإبطال فئتهم كُلية، وملابسها واصطلاحاتها واسمها من جَمِيع الممالك المحروسة، وَنُودِيَ بذلك فِي الشوارع، وصدرت الأوامر إِلَى جَمِيع الولايات بالتفتيش على كل من بَقِي مِنْهُم وإعدامه أَو نَفْيه إِلَى أطراف الْبِلَاد حَتَّى لَا تبقى مِنْهَا بَاقِيَة، وَمن ثمَّ أخذ السُّلْطَان فِي ترْتِيب وتنظيم الجيوش بهمة لم يمسسها ملال، وَعين لإدخال هَذِه التنظيمات لجنة من أكَابر الوزراء، وقلد حُسَيْن باشا الَّذِي كَانَت لَهُ الْيَد الطُّولى فِي إبادة الانكشارية قائدا عَاما لَهُم، وبذل السُّلْطَان ومشيروه اهتمامهم حَتَّى لم تمض السّنة إلاَّ وَقد تمّ تنظيم عشْرين ألفا، وتمت المعدات لابلاغهم فِي ختام السّنة التالية مائَة وَعشْرين ألْفًا»٤٢.

يصف وول ديورانت حال الانكشارية بأنهم أصبحوا باحثين عن المال، وأخذوا الحق بإنجاب الأولاد، وفسدت أخلاقهم، «وتنكروا للتدريب والنظام الصارمين اللذين جعلا الانكشارية صفوة المقاتلين في أوروبا، أما قوادهم الذين أصبحوا خبراء في لذات الجنس، فقد فشلوا في ملاحقة العلوم والأسلحة الحربية. وبينما كان الغرب المسيحي يصنع مدافع أفضل، ويطور استراتيجية وتكتيكاً أرقى»٤٣.

تحديث الانكشارية.. التمسك بالموروث أم الخوف على الامتيازات؟

دأب الكثير ممن حللوا ظاهرة الانكشارية، وكتبوا عن تاريخها بوصف وقوف الانكشارية بوجه التحديث على أنه خوف على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها، لكن النظرة الفاحصة لهذا السبب تدفعنا للتشكيك بهذا المقصد من أساسه، فلو أن الانكشارية كان يسكنها هذا الهاجس لقامت بالسعي لمواكبة كل جديد للحفاظ على قوتها، بدل الثبات

(٤٢) - تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٤٢٩-٤٣١.

(٤٣) - قصة الحضارة، ج٣٣، ص٨٨.

عـلى التدريـب والتسـليح القديـم، الـذي سـيفقدها القـوة والسـطوة مـع الوقـت.

إذا ما الدافع وراء معاندة الانكشارية للتحديث؟.

ربمـا تكـون الإجابـة عـن هـذا السـؤال معقـدة بعـض الـشيء، خاصـة إذا تمـت المعالجـة بطريقـة خاطئـة، تدفـع لاتهـام الديـن بالتخلـف والرجعيـة وعـدم مواكبـة الجديـد. إلا أننـا أمـام ظاهـرة تحتـاج منـا لوضـع الإصبـع عـلى الجـرح الغائـر، الـذي يـزداد عمقـا، ومـع الوقـت يـؤدي لدمـار الدولـة التـي حفظـت وحـدة المسـلمين لسـتة قـرون.

الروايـة التاريخيـة التـي كنـا أشرنـا إليهـا في بدايـة الدراسـة أن الانكشـارية ولـدوا مـن رحـم فكـرة الجهـاد، ونـشر الدعـوة الإسـلامية في عـالم الغـرب المسـيحي، وأن عـلاء الديـن بـن عثـمان صاحـب الفكـرة، الـذي أسـس الانكشـارية تحـت حكـم أخيـه أورخـان، وضـع هـدف هـذه الفرقـة، وحـدد لهـا فلسـفتها الفكريـة مـن خـلال مباركتهـا مـن شـيخ الطريقـة الصوفيـة الجهاديـة بكطـاش، التـي كانـت سـائدة في بـلاد الأناضـول؛ وهـم فرقـة الآخيـين التـي رعاهـا الشـيخ أديبـالي (أديـب عـلي)٤٤. وهنـا حددنـا أن الطريقـة الصوفيـة جهاديـة لنميزهـا عـن غيرهـا مـن الطـرق الصوفيـة التـي لا تـرى الديـن بغـير التزكيـة والذكـر والجلـوس في الزوايـا وتعظيـم الشـيوخ.

كانـت الصوفيـة الجهاديـة ملازمـة للسـلاطين العثمانيـين عـلى الـدوام، وكان الانكشـارية يخضعـون لنظـام تربـوي صـارم في المـدارس قبـل انتقالهـم ليكونـوا جنـودا في الميـدان، وتبـين لنـا مـن خـلال الدراسـة كـم كان هـؤلاء الجنـود منظبطـين خلـف قادتهـم، ومنقاديـن لشـيوخهم، يسـمعون كلامهـم، ويعظمـون فتاويهـم، ومـن خـلال الدراسـة أيضـا ظهـر بشـكل واضـح كيـف أن السـلطان كان يسـتعين بشـيخ الإسـلام؛ الـذي يصـدر الفتـاوى المتعلقـة بالتحديـث والتطويـر، ومعلـوم أن بعـض السـلاطين كان مـن الضعـف بـأن سـيطرت عليـه الانكشـارية، أو غيرهـا مـن قطاعـات المجتمـع القويـة، وأن شـيخ الإسـلام نفسـه كان يُختـار أحيانـا وفقـا لهـوى السـلطان أو قـادة الانكشـارية وأصحـاب النفـوذ في الدولـة، وبالتـالي تضيـع ميـزة العلـم والفقـه والتقـوى عنـده، وتحـل مكانهـا الامتيـازات الشـخصية والحظـوة السـلطانية، فيصبـح شـيخ السـلطان وليـس شـيخ الإسـلام.

هـذه المعطيـات تدفعنـا لطـرح فرضيـة الرفـض الدينـي للتحديـث، حيـث أن تأخـر الدولـة وضيـاع هيبتهـا؛ بـدأ مـع تراجـع الديـن في نفـوس النـاس، وحلّـت الموروثـات التقليديـة مـكان العلـم الصحيـح؛ النابـع مـن القـرآن الكريـم، وتطـور الفقـه الإسـلامي، فحـلّ مـكان كل ذلـك تعظيـم شـيوخ لا يعرفـون مـن العلـم غـير التقليـد، واتباع شـيوخ جمـدوا عـلى خرافـات وتحريفات أدخلهـا أعـداء الدولـة العثمانيـة أو شـجعوها، فأصبحـت الطريـق الـذي يجـب اتباعـه، ومـن ذلـك الفتـاوى التـي صـدرت بتحريـم التطويـر عـلى الطريقـة الأوروبيـة، باعتبـار هـذا التطويـر اتباعـا للأعـداء وتقليـدا لهـم، وهـذا حـرام في الـشرع والديـن٤٥. ونـسي هـؤلاء أن المسـلمين اسـتفادوا

(٤٤) - انظر، الدولة العثمانية الثقافة المجتمع والسلطة، مصدر سابق، ص١٨.

(٤٥) - مـن مظاهـر التخلـف الفقهـي في عصـور الضعـف العثمانيـة أن شـيخ الإسـلام افتـى معضـدا برجـال ديـن آخريـن بحرمـة النظـام العسـكري الجديـد باعتبـاره بدعـة مخالفـة للـشرع، وأن لبـاس الجيـش الجديـد تشـبه بالنصـارى وهـو مخالـف للقـرآن الكريـم والـشرع المنيـف. (انظـر، تاريـخ

من كل معطى حضاري مادي مفيد لتطوير الحياة وبناء القوة.

وقعت الدولة العثمانية، ووقع سلاطينها ووزراؤها وجيشها في مرض الجمود على الماضي، واعتبرت شريحة شيوخ السلطان أن الإسلام هو ما هم عليه، وبالتالي ضعفت الدولة، وتقهقرت قوتها في وقت كانت أوروبا تتطور وتتقدم على المستويات الفكرية والعلمية والعسكرية، في حين استمر جيش الإنكشارية العثمانية بنظامه القديم، متمسكا بالماضي، ومستندا إلى عظمة أصبحت خلف الجميع للغفلة التي عاشت فيها الأمة.

الخاتمة

الانكشارية: خطأ الجيش أم فساد الساسة؟

استعراض تاريخ الانكشارية يفرض على الباحث طرح سؤال غاية في الخطورة، يتعلق في مصير الدول التي تبني قوتها على أساس الجيش القوي، وحكم الفرد الذي ينسب للسلطة الوراثية؟.

الدولة العثمانية تأسست كغيرها من الدول التي قامت قبل العصور الوسطى على أساس حكم أسرة عثمان بن أرطغرل، وهذا نظام قبائل الترك قبل عثمان، فقد تأسست الخلافة الأموية ثم العباسية على أساس أسري٤٦، دولة السلاجقة قامت كذلك على أساس أسري٤٧، وكانت دولة المغول المعاصرة للدولة السلجوقية أسرية٤٨، والدولة البيزنطية أسرية٤٩، وفي بلاد العرب كانت الأسرة الأيوبية حاكمة قبل تسلط المماليك عليها٥٠، وعاصرهم في بلاد العجم الأسرة الصفوية٥١. لذا كان شيئا طبيعيا أن تحكم أسرة أمة بأكملها، وأن تستعين هذه الأسرة بقوة عسكرية تقوم بوظيفتين، ليس بالضرورة أن تكون وفق أولوية ورودها: حماية الدولة من الأعداء والقيام بواجب الفتح والتوسع، وحماية الأسرة الحاكمة، لتبقى تقوم بوظيفة الرأس والإدارة للدولة والشعب الذي لا يعرف غير هذا اللون من الحكم.

الانكشارية قامت فكرة إنشائها لتقوم بوظيفة الفتح، وتوسيع حدود الدولة العثمانية، لكنها مع الوقت بدأت تأخذ الوظيفة الحتمية الأخرى؛ التدخل في السياسة، ومن خلال تتبع تاريخ السلطنة العثمانية يظهر أن الانكشارية لم تقم بأي حركة خارج وظيفتها المحددة بالحروب حتى يوم أراد السلطان مراد الثاني الاعتزال وتسليم مقاليد السلطنة لابنه محمد الثاني، وكان شابا حدثا قليل الخبرة بنظر الانكشارية التي كانت ترى السلطان مراد الثاني قائدا كبيرا، لا يمكن لابنه أن يقوم على إدارة دولة تحيط بها التحديات من كل جانب،

الدولة العلية العثمانية، ص ٣٩٢-٣٩٣).

(٤٦) - انظر، الدولة العباسية، محمد الخضري، بيروت: دار الكتب العلمية، (د ت).

(٤٧) - انظر، دولة السلاجقة، علي محمد محمد الصلابي، اسطنبول: دار الروضة، ٢٠١٧م.

(٤٨) - أنظر، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، علي محمد محمد الصلابي، بيروت: دار المعرفة، ط٤، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

(٤٩) - حضارة الإمبراطورية البيزنطية، محمد سعيد عمران، دار المعرفةالجامعة، ٢٠١١م.

(٥٠) - الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد محمد الصلابي، القاهرة: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٨م.

(٥١) - نشوء وسقوط الدولة الصفوية، كمال السيد، قم: مكتبة فدك، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

وفرضت الانكشارية عودة السلطان الذي أشغلهم بالحروب بدلا من إتخاذ إجراءات تحد من تدخلهم في الشأن الداخلي للدولة٥٢.

لم تُظهر الانكشارية في عهد محمد الثاني بعد عودته للحكم ما يعكر صفو العلاقة بينهم وبين السلطان، وكان محمد الثاني قد أشغلهم كوالده في الحروب والاستعداد لفتح القسطنطينية، لكن الحال تبدل بعد موت محمد الثاني، وذلك بعدما تدخل الصدر الأعظم قرماني محمد باشا لصالح الابن الأصغر للسلطان جم سرا، لتعيينه بدلا من أخيه الأكبر بايزيد الثاني، الذي كان خارج العاصمة، وعلم الانكشارية بما يخطط له الصدر الأعظم، فاستبقوا تدبيره، وثاروا في العاصمة، وقاموا بتعيين كركود بن بايزيد نائبا عن أبيه ريثما يحضر، وقتلوا الصدر الأعظم٥٣.

كانت هذه الأحداث بداية التدخل الفعلي للإنكشارية في شؤون الحكم، فقد شعر بايزيد الثاني أنه لولا الانكشارية لما تسلم الحكم، وبالتالي أجابهم لطلبهم بالعفو عنهم أولا، ثم تعيين أحدهم (إسحاق باشا) حاكما للعاصمة، ومنحهم عطاء ماليا تقديرا لجهودهم في تمكنه من ملكه، وصارت هذه المنحة المالية تصاحب كل سلطان يتم تنصيبه٥٤.

كرة الثلج بدأت تكبر، والدولة التي توسعت في بلاد الغرب، كبرت معها قوة الجيش الانكشاري، الذي زاد من تدخله في الشؤون الداخلية للحكم، وكما تدخلوا ليثبتوا الوريث الشرعي لمحمد الثاني (بايزيد)، ووجدوا التشجيع والدعم والمكافآت، تشجعوا أكثر ليكون لهم دور أكبر، وإذا كانوا طالبوا بحقوق مشروعة لهم من مثل السماح لهم بالزواج وتكوين الأسر، وإعطاء أنفسهم فسحة من الحياة خارج الثكنات العسكرية مثل باقي أفراد الأمة، لكنهم فوق ذلك صاروا يسرحون ويمرحون، ويتدخلون في سياسة الدولة وكواليس البيت العثماني، حتى فرضوا على السلطان بايزيد الثاني تنصيب ابنه الأصغر سليم الأول وليا للعهد بدلا من ابنه الأكبر كركود، ولم يكتفوا بذلك بل جاءوا بسليم الأول للعاصمة، وفرضوا على بايزيد التنازل عن العرش له. ورغم قيام سليم الأول بالحد من قوتهم بعد تمردهم في الشرق بقتل عدد من قادتهم، ومنع امتيازهم باختيار قائدهم٥٥، إلا أن إجراءته هذه كانت مؤقتة فقد اختفت مع اختفاء قوة السلاطين الكبار؛ سليم الأول وسليمان القانوني، وعاد الانكشارية بعدهما بإندفاع أكبر.

الإجابة عن السؤال أصبحت أيسر بعد كل هذه المعطيات، فسلطان أو رئيس جاء بقوة الجيش، ماذا سيكون موقفه من هذا الجيش، وماذا سيكون موقف ودور هذا الجيش في حياة هذا السلطان الخاصة والعامة؟!.

إن تغول دور الجيش في أي دولة سببه الرئيسي سياسة الحاكم الذي يقوم على رأس الدولة، فكلما تهاون الحاكم مع تدخلات الجيش؛ كلما زاد نفوذه، وزادت مطالبه، خاصة أنه

(٥٢) - انظر، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٥٨.

(٥٣) - انظر، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٧٩.

(٥٤) - انظر، المصدر السابق ذاته، ص١٧٩.

(٥٥) - انظر، المصدر السابق ذاته، ص ١٩١

صاحب القوة وبيده السلاح، فإذا اجتمعت في يده قوة السلاح وقوة السياسة؛ حين ذلك لن يتورع عن التدخل، وفرض مصالح قادته على حساب القرار السياسي الحر للسلطان أو الرئيس.

هذه حال الانكشارية في الدولة العثمانية؛ التي انشغلت في الحياة العامة، ومع الوقت بدأت تنصرف عن وظيفتها الأساس، خاصة بعد حالة الضعف التي وقعت فيها الدولة العثمانية التي توقفت حركة التقدم فيها، فيما أعداؤها في أوروبا بدأوا بحركة تطوير واسعة، خاصة على المستوى العسكري، وبناء نظم سياسية جديدة.

الانكشارية التي حمّلها الكثير من المؤرخين وزر ضعف الدولة العثمانية؛ لم تكن سوى جيش يقوم بوظيفته العسكرية، ولولا سماح رجال السياسة لهذه الفئة بالقيام بما قامت به، لما شهدنا هذا الدور الذي شوّه سمعة ومكانة هذا الجيش٥٦؛ الذي قدّم أعظم الخدمات للدولة العثمانية في مختلف مراحل تاريخها، حتى تاريخ إصدار قرار الإعدام الشامل لهذه المؤسسة العسكرية العريقة.

تمادى بعض المؤرخين ليتحدث عن السلطنة العثمانية الجديدة بعد تفكيك الانكشارية في واقعة الإبادة في ميدان اسطنبول الشهيرة، وأن الدولة العثمانية بدأت ببناء جيش جديد على أسس عصرية بعد إزالة أسباب التخلف التي مثلتها الانكشارية!

الحقيقة الماثلة للعيان أن هذا الجيش المظفر٥٧ الذي تحدث عنه هؤلاء المؤرخين لم يستطع الصمود في الحرب مع الامبراطورية الروسية، ولا أمام تمرد الصرب واليونان والبلغار، وكان ذاته الجيش الذي قاتل في الحرب العالمية الأولى، وخرج قادته ليكيلوا التهم للبيت السلطاني. وهو الجيش الذي خرج منه من أطلق النار على الدولة العثمانية، وأوقع انهيارها وتفككها.

النتيجة المرة أن الأمة – أي أمة- لا يمكنها الاستمرار حين يداخلها الفساد بكل أنواعه، وخاصة فساد الطبقة الحاكمة، التي تكيد لبعضها البعض، على غرار ما كان يجري في الدولة العثمانية، حيث الأخ يكيد لأخيه، والإبن لأبيه، وسط وجود قوة عسكرية تساند هذا الفريق أو ذاك، وتستفيد من حالة الشرذمة، وغياب القيم التي تحكم السياسة. وهذا تماما ما حدث للدولة العثمانية التي سمح سلاطينها لأنفسهم بالتسلط على بعضهم بعضا، وافسحوا الباب واسعا لقوة عسكرية أن تتدخل وتفرض ما تريده، فعمّ الفساد من رأس الهرم إلى قواعد الجيش والشعب، وراحت كل فئة تبحث عن مصالحها، في ظل غياب

(٥٦) – انظر، التاريخ الإسلامي- العهد العثماني(٨)، محمود شاكر، مصدر سابق ، ص٦٤.

(٥٧) – انظر، مذكراتي السياسية (السلطان عبد الحميد الثاني)، بيروت: مؤسسة الرسالة،ط٥، ١٤٠٦. وهنا جدير أن نذكر ما ذكره السلطان حرفيا عن جيشه الجديد صفحة ٥٨.(أثنى صديقي امبراطور ألمانيا على ضباطنا الَّذين يتلقون الْعُلُوم العسكرية في بِلَادِه بِأَنَّهُم في تقدم مُسْتَمر وأغلب ظَنِّي أَن الأمبراطور مخطىء في حكمه هَذَا لِأَن تَقْرِير سفيرنا في برلين يُفِيد أَن الْقَلِيل الْقَلِيل من هَؤُلَاءِ الضباط يركز اهتمامه على الدراسة وتفيد المصادر الْوَثِيقَة أَن القادة العسكريين البروسيين يمدحون ضباطنا لَا لأنهم يسْتَحقُّونَ المديح بل يَغُضُّونَ النّظر عَن كثير من سقطاتهم كي يَكُونُوا صالحين لهَذَا المديح، إن تلقى أَوْلَاد الباشوات الْعُلُوم العسكرية في بروسيا يكلفنا كثيرا لكنه يُولد انطباعا حسنا في الْخَارِج فعلى هَذَا النَّحْو نبرهن على اننا لم نبخل بشيء في سَبِيل ابقاء جيشنا في المستوى الْمَطْلُوب ونزكى من تفاخر أصدقائنا الألمان، لَكِن أَكثر شبابنا الموفدين إِلَى ألمانيا وَيَا للاسف يفقدون في أنفسهم فَضِيلَة الأعتدال والبساطة اللَّتَيْنِ يتَمَيَّز بهما العثمانيون وَمَا يتعلمونه هُنَاك عبارَة عَن شرب الْخُمُور وعادات مُنَافِيَة لِلْخلقِ وَمَا شابهها ثمَّ يعودون وهم منتفخون)

القيم الإسلامية التي أسست هذه الدولة وفق مبادئها، وغاب العلماء المصلحون، وغاب معهم العلم، ليحل مكانهم وعاظ السلاطين الذين لا هم لهم سوى الترقي في القرب من السلطان أو الصدر الأعظم أو الوزراء والولاة، فوجدت الدولة نفسها في نهاية المطاف في مأزق لا خروج منه، فانهارت، لينتبه المسلمون متأخرين أنهم فقدوا كيانا جامعا، ودولة حفظت وحدتهم لستة قرون.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد محمد الصلابي، القاهرة: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٨م.

٢. التاريخ الإسلامي- العهد العثماني(٨)، محمود شاكر، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

٣. تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة: منير البعلبكي وأمين فارس، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٩٦٨.

٤. حضارة الإمبراطورية البيزنطية، محمد سعيد عمران، دار المعرفةالجامعة، ٢٠١١م.

٥. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، بيروتك دار المعرفة، ط٣، ١٩٧١م.

٦. دولة السلاجقة، علي محمد محمد الصلابي، اسطنبول: دار الروضة، ٢٠١٧م.

٧. الدولة العباسية، محمد الخضري، بيروت: دار الكتب العلمية، (د ت).

٨. الدولة العثمانية المجهولة، سعيد أوزتورك وأحمد آق كوندز، وقف البحوث الإسلامية، ٢٠٠٨.

٩. الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، علي محمد محمد الصلابي، بيروت: دار ابن كثير، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠. الدولة العثمانية. الثقافة المجتمع والسلطة، حسن الضيقة، بيروت: دار المنتخب، العربي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١١. الدولة العلية العثمانية، فريد بك المحامي، بيروت: دار النفائس، ط٦، ١٤٠٨هـ - ١٩٨١م.

١٢. دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، علي محمد محمد الصلابي، بيروت: دار المعرفة، ط٤، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٣. علم نفس النمو، حامد عبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٨٦م.

١٤. علم نفس النمو، د. حيدر ابراهيم العطار، مقرر دراسي

١٥. قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٦. مذكراتي السياسية (السلطان عبد الحميد الثاني)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٦.

١٧. المراهقة خصائصها ومشاكلها وحلولها، حميل حمداوي- منشورات شبكة الألوكة.

١٨. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٩. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/٩٦ - ٩٧ م، أحمد معمور العسيري، (د ت)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م،
٢٠. موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، يلماز اوزتونا، ترجمة: عدنان محمود سلمان، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٢١. موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، خاص الموسوعةالشاملة.
٢٢. موقع أمهات ٣٦٠، رابط www.moms.net/ar/article.https://٣٦٠/التربية-مراحل-النمو-والتطور/المراهقة-المبكرة-١٢-١٥-سنة/المراهقة-المبكرة-تطور-الطفل-من-عمر-١١.
٢٣. نشوء وسقوط الدولة الصفوية، كمال السيد، قم: مكتبة فدك، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

الخلوة الشرعية ماهيتها، أحكامها، آثارها

(Legitimate khulwah (being alone with a member of the opposite sex What is it, its provisions, its effects

أ.د. محمد قاسم الشوم(١)

الملخص

أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية من أكثر الأحكام المعروفة عالمية في ضبط العلاقات بين الجنسين داخل مؤسسة الزواج وخارجها. وقد نظمت الشريعة الإسلامية العلاقات الاجتماعية على قاعدة حفظ النسل وسلامة المجتمع من الفوضى الجنسية واختلاط الأنساب وتفتيت الأسرة.

وهذا البحث يوضح أحكام الزواج الشرعي، وتعريف الخلوة الشرعية وما يصح ولا يصح منها، بين الأهل والجيران زملاء العمل، وفي فترة الخطوبة، وفي السفر والطبابة وغيرها مما يحتاج المسلم إلى معرفته حتى يلتزم بأحكام الشريعة بشكل سليم، لاسيما وقد ابتُلِيَت كثيرٌ من الأُسر المسلمة، في العصر الحديث، بجهل أخلاقيات التعامل مع أفراد الأسرة، ومع من يحيط بهم من الأقارب والجيران.

Abstract

The family provisions in Islamic Sharia are among the most known provisions in controlling relations between the sexes inside and outside the institution of marriage. The Islamic Sharia has organized the social relations on the basis of the preservation of offspring and the safety of society from sexual chaos, mixing of lineages and family fragmentation.

This research clarifies the provisions of legal marriage in Islam, and the definition of legal khulwah (being alone with a member of the opposite sex), and what is correct and

(١) أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعات لبنان
Prof. Muhammad Qassem Al-Shoum
Professor of Sharia and Islamic Studies at the universities of Lebanon
توفي الشيخ رحمه الله قبل صدور العدد، وكان من أوائل المشجعين على إصداره خدمة لطلاب العلم.

not correct, between family and neighbors, co–workers, during the courtship period, in travel, medical treatment and other fields that a Muslim needs to know in order to ad–here to the provisions of Sharia properly, especially today, since many Muslim families have been afflicted. In the modern era, ignorance of the ethics of dealing with family members, and with those who surround them from relatives and neighbors.

كلمات مفتاحية

الزواج، الخلوة، العلاقة بين الجنسين، الفقه الإسلامي، أحكام الأسرة.

Keywords

Marriage, seclusion, the relationship between the sexes, Islamic jurisprudence, family rulings.

المقدّمة

المجتمع يتألف من مجموع الأسر، التي ترفد المجتمع بالأفراد، وبصلاح الأُسرة تصلح الأُمم والمجتمعات، وبفسادها تفسد، فالأسرة خلية من خلايا المجتمع، التي يجب الاعتناء بها، لتنشئة أفرادها على القيم والأخلاق.

لقد ابتُلِيَت كثيرٌ من الأُسر المسلمة، في العصر الحديث، بالانحلال والتفكك، وسوء التصرّف، وفساد العادات، لجهل معظم الناس، أخلاقيات التعامل مع أفراد الأسرة، ومع من يحيط بهم من الأقارب والجيران.

وإلى جانب الجهل بالتربية؛ هناك الغارات التبشيرية (التنصيرية) الغربيّة الحاقدة، والشرقيّة المتحلّلة، والتي آزرتها وسائل الإعلام الهابطة بكل أنواعها، فغزت البيوت واقتحمتها، واغتصبت الأخلاق، ووأدت الكرامات، وأباحت الحرمات، على مرأى ومشهد من الوالدين والأقارب، وربما بمساعدتهم، واستفحل الأمر لضعف المراقبة من المسؤولين عن هذا الشأن، ساعده انبهار بعض الناس بمخترعات وتقنيات الغرب، ظناً منهم، أن تفكك الأسرة الغربية وانفلاتها هو سبب تقدمها العلمي، فقلّدوها، وتركوا التقليد العلمي.

وبقاء النوع الإنساني، لا يتحقق إلا من خلال إنجاب أولاد أصحاء أطهار، يتكاثرون عن طريق زواج مشروع، يحفظ النسب، ويخلو من الأمراض التي تتكاثر بسبب العلاقات الجنسية غير المشروعة، يقول صلى الله عليه وسلم: «ما ظهرت الفاحشةُ في قومٍ قطّ، يعمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافهم»(١).

دعا الإسلام إلى الزواج، وحث عليه، ليصون المسلم نفسه من الفاحشة، ولأن الزواج من سنة الأنبياء: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨**﴾(٢)، ويقول (عليه الصلاة والسلام): «وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»(٣). ونهى عن التبتّل والرهبانية، بقوله: «إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَفَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ»(٤).

الزواج المبكر: لم تحدد الشريعة الإسلامية سناً معيّناً للزواج، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام خاطب الشباب بالمسارعة إليه، عندما يجدون القدرة عليه، فهو أحفظ للشاب من الوقوع في الحرام، ومعين على غض البصر، وتربية الأولاد في سن مبكرة، والاستطاعة على تربيتهم وتقديم النفقة، يقول عليه الصلاة والسلام: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٥).

راعيت المنهجية المتبعة في كتابة البحوث، حيث نسبت الأحاديث إلى مصادرها، وتخريجها حسب الأصول، وأقوال الفقهاء لأصحابها بالدليل.

وجاءت لغة البحث، بلغة عزّزت الأصالة، وراعت الحداثة في الأسلوب والمنهج، متوخياً سهولة الألفاظ، ودقة المعاني، وإذا اقتضت ظروف النقل إلى ذكر ألفاظ قديمة، لجأت إلى بيان معانيها. فإن أسعدني الحظ، وحالفني التوفيق؛ فخيراً أشكر الله عليه، وإلا فعذري أني لم آلُ جهداً في بلوغه، ولم أبخل بطاقة في تحصيله، واستغفر الله من عثرات قلمي، وزلات لساني، ولله الحمد على كل حال، وله الشكر من قبل ومن بعد.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ٨٦٢٣. وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي، في التلخيص، صحيح.

(٢) الرعد ٣٨

(٣) صحيح البخاري، باب الترغيب في النكاح، ٤٧٧٦, مسلم، باب استحباب النكاح، ٣٤٦٩.

(٤) مسند أحمد، ٢٥٨٩٣. ابن حبان، باب الاعتصام بالسنة، ٩. المعجم الكبير للطبراني، ٨٣١٩.

(٥) صحيح البخاري، باب من لم يستطع الباءة، ٤٦٧٨. مسلم، باب استحباب النكاح، ٢٤٨٥.

حكم الزواج في الإسلام

شُرع الزواج في كتاب الله، وسنة نبيّه محمدٍ (صلّى الله عليه وسلّم) والإجماع، قال تعالى: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ}(١)، وقال الرسول (عليه الصلاة والسلام): «يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ»(٢)، وذكر بعض الفقهاء أنّ الزواج كان مشروعاً من زمن آدم (عليه السلام) وبقيت مشروعيته مستمرةً، والحكمة التي شرع الله لأجلها الزواج تتمثل في المحافظة على النسل، وحماية النفس البشرية من الوقوع فيما يُغضب الله تعالى من المحرّمات كالزنا، وقد اتّفق جمهور الفقهاء على استحباب الزواج للرجال والنساء، وقال الظاهرية بالوجوب.

عقد الزواج: هو عقدٌ يقلب حال المتعاقدين وأهليهم من الحرمة إلى الحل فور إتمامه، كما أنّه إذا ما تمّ الطلاق بينهما انقلب الحال بينهما من الحلّ إلى الحرمة مرةً أخرى، لهذا كان من أقدس العقود التي شرعها الله سبحانه وتعالى، لتعلقه بشكلٍ مباشرٍ بحرمة الفروج واستحلالها.

ولقد عني الإسلام به عنايةً خاصّة، وأولاه أهميّة مقطوعة النظير، حيث وصف الله عقد الزواج في كتابه بالميثاق الغليظ؛ وذلك بقوله في سورة النساء: ﴿**وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ٢١**﴾(٣).

كما راعى الإسلام كل ما يضمن استمراريّة عقد الزواج، وتكفّل بحفظ من حفظ تلك الرابطة وأعطاها حقّها، وقد شرع الإسلام منظومةً متكاملة من القوانين والأحكام لضمان ذلك، وبناءً على هذا فقط وُجِدت لعقد الزواج مجموعةٌ من الشروط والأركان التي لا يصحّ إجراء عقد الزواج بدونها، وهذه خلاصة أقوال الفقهاء في شروط عقد الزواج:

الزواج لغةً: مصدر زَوَّجَ، وزوَّج الشيء وزوجه إليه أي ربطه به، وهو بمعنى الاقتران والارتباط، ويُطلق على كلّ واحد من الزوجين اسم زوج إذا ارتبطا بعقد نكاح(٤).

واصطلاحاً: عقدٌ يتَضَمَّن إِبَاحَة وَطْءٍ بِلَفْظ إنكاح أَو تَزْوِيج أَو بترجمته(٥).

أركان عقد الزواج: لعقد الزواج مجموعةٌ من الأركان التي لا يُنعقد إلا بها، وقد اختلف الفقهاء في عدد تلك الأركان، فمنهم من جعلها ركناً واحداً، ومنهم من جعلها أكثر من ذلك.

---

(١) النساء، ٣.

(٢) صحيح البخاري ٥٠٥٦و ٥٠٦٦.

(٣) النساء ٢٠- ٢١.

(٤) لسان العرب، مادة (زوج).

(٥) شمس الدين الرملي، شرح البيان شرح زبد بن رسلان، بيروت: دار المعرفة، ص ٢٤٦. بتصّرف.

الـزواج لغـةً: مصـدر زَوَّجَ، وزوَّج الـشيء وزوجـه إليـه أي ربطـه بـه، وهـو بمعنـى الاقـتران والارتبـاط، ويُطلـق عـلى كلّ واحـد مـن الزوجـين اسـم زوج إذا ارتبطـا بعقـد نـكاح(٦).

عقد الزواج اصطلاحاً: هو عقدٌ يتَضَمَّن إِبَاحَة وَطْءٍ بِلَفْظ إنكاح أَو تَزْوِيج أَو بترجمته(٧).

أركان عقـد الـزواج: لعقـد الـزواج مجموعـةٌ مـن الأركان التـي لا يُنعقـد إلا بهـا، وقـد اختلـف الفقهـاء في عـدد تلـك الأركان، فمهنـم مـن جعلهـا ركنـاً واحـداً، ومنهـم مـن جعلهـا أكـثر مـن ذلـك، ومـن تلـك الأركان:

أولاً - صيغَـة العقـد: وهـو الرُّكـنُ الوحيـد المُجمَـع عليـه بـين فقهـاء المذاهـب بمـا فيهـم: أبـو حنيفـة، وتَتَكـوَّنُ الصّيغـة مـن الإيجـاب والقَبـول، **فالإيجـاب:** هـو مـا يَصـدر مـن العاقـد الأول سـواء كان الـزوج أو الزوجـة أو وليّيهـما أو وكيليهـما، **والقَبـول:** هـو مـا يصـدر مـن العاقـد الثّـاني كذلـك وهـما فيهـما سـواء، ويتحقّـق الإيجـاب والقبـول باللّفـظ، أي الـكلام الـذي بـه يَـدلّ ويُعـبّر فيـه العاقـد عـن رغبتـه مـن إجـراء العقـد.

ثانيـاً - المَهـر أو الصَّـداق: وهـو رُكـنٌ مـن أركان عقـد النّـكاح عنـد الجمهـور وشرطٌ لـه عنـد الحنفيّـة، والدّليـل عليـه القـرآن والسُّـنة النبويـة والإجـماع، ودليلـه مـن القـرآن قولـه تعـالى: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ}(٨)، وأمـا السُـنّة: فقـول الرّسـول عليـه الصّـلاة والسّـلام: « الْتمـسْ ولَـو خاتمـاً مِـن حديـدٍ»(٩)، وقـد انعقـد الإجـماع عـلى ذلـك.

ثالثـاً- العاقـدان: وهـما الـزَّوج والزّوجـة، وكلٌ منهـما ركـنٌ مُسـتقلّ بذاتـه، فـلا ينعقـد الـزّواج بأحدهـما فقـطَ إلا إن وُجِـد الآخـر.

ويُشترَطُ في الزّوجة أن تكون خاليةً من مَوانِع الزواج الشرعيّة، ومنها:

١- ألا تَكـون مُتَزَوِّجَـة بغـيره. ٢- أو مُعْتَـدَّة مـن طـلاق لغـيره. ٣ - أو مُطلَّقـة منـه ثـلاث طلقـات مـا لم تُحَلَّـل. ٤- أو مُرتَـدة. ٥- أو مَجوسـية، أو وثَنِيَّـة. ٦- أو زوجـةً خامِسَـة. ٧- أو يَكـونُ مُتَزوِّجـاً بأخِتهـا وغيرهـا ممّـن لا يجـوز الجمـع بينهـا. ٨- أو تكـون مُحْرِمَـةً بحـجّ أو عمـرة.

١) **رابعـاً - الشُّـهود:** فـلا يَنْعَقِـدُ النِّـكاح إلا بِحُضُـور شـاهدين مـن الرجـال، أو بحضـور رجـلٍ وامرأتـين، لقولـه صـلى اللـه عليـه و سـلم: «لاَ نِـكَاحَ إِلاَّ بِـوَلِيٍّ وَشَـاهِدَيْ عَـدْلٍ»(١٠).

ويشـترط في الشـاهدين: ١- أن يكونـا مُسـلمين ٢- بالِغَـين ٣- عاقِلـين ٤- حُرَّيْـن ٥- عَدلَـين ٦- سَـميعَيْن ٧- بصيرَيـن ٨- عارِفَـين لِسـان المُتَعاقِدَيْـن.

---

(٦) لسان العرب مادة زوج.

(٧) شمس الدين الرملي، شرح البيان شرح زبد بن رسلان، بص ٢٤٦ مرجع سابق.

(٨) سورة النساء، ٤.

(٩) البخاري، ٥١٣٥.

(١٠) السنن الكبرى، باب لا نكاح إلا بولي، ١٤٠٨٩. سنن الترمذي، لا نكاح إلا بولي، ١١٠١.

٢) **خامساً - الوَليّ:** فَلاَ يَصح النِّكاح إِلَّا بولي، والولي من له حق إنشاء التصرفات النافذة من غير توقف على إجازة أحد، وأسبابها القرابة، والإمامة كالحاكم أو من يقوم مقامه كالقاضي، أو الوصاية، وأصله ما رواه أَبو مُوسَى أَنَّ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ»(١١). وفي رواية: «لا نكاح إلا بولي، والسلطان ولي من لا ولي له»(١٢).

شُروط عقد الزواج: تَنقسم الشُّروط في عقد الزواج إلى أربعة أقسامٍ: هي:

١- شُروطُ الانعقاد، ٢- وشروط الصحّة، ٣- وشُروط النَّفاذ، ٤- وشُروطُ الجَواز.

وقد ذهب جمهور الفقهاء (الحنفيّة، والمالكيّة، والشافعيّة، والحنابلة-) إلى اشتراط تلك الشروط في عقد الزواج واختلفوا في تفاصيلها، **فالحنفيّة** مثلاً جعلوا للزواج ركناً واحداً هو الصيغة، إلا أنّهم لا يعتَبرون باقي أركانِ عقد النِّكاح التي نصَّ عليها جمهور الفقهاء، بل عَدّوا هذه الشّروط مُندرجةً تحت الشُّروط الأصليّة التي هي أركانٌ عند باقي فقهاء المالكيّة، والشافعيّة، والحنابلة، بينما اعتبرها جمهور الفقهاء شروطاً مُستقلَّة لعقد النِّكاح.

أ- **شرائط الانعقاد:** هي التي يلزم توافرها في أركان العقد مجتمعةً أو منفردة، أو في أسس العقد وركائزه، وإذا تخلّف شرط واحد منها كان العقد باطلاً باتفاق المذاهب الأربعة. **وشرائط الانعقاد نوعان:** نَوعٌ يرجِعُ إلى العاقِد نفسه الزوج والزوجة وهو العَقْلُ، فلا يَنْعَقِدُ نِكاح المَجْنون والصَّبي الذي لا يَعْقِل؛ لأنّ العقل من شرائط الأهليّة، ونَوعٌ يرجِع إلى مَكان العقد **وهو اتّحاد المجلس.**

وشرائط الانعقاد أربعةٌ وهي:

١- أهليّة العاقدين بالتمييز وصلاحيتهما لوقوع العقد عليهما، فإذا كان أحد العاقدين فاقد الأهليّة للعقد بأن كان مجنوناً أو صغيراً غير مميّز فلا ينعقد الزواج بعبارته كما لا ينعقد منه أي عقدٍ أو تصرفٍ آخر؛ لأنّ فاقد التمييز ليس له إرادة ولا يُتصوَّر منه رضا يعتمد عليه في العقد.

٢- اتحاد مجلس العقد: والمقصود باتحاد مجلس العقد أنّ الايجاب إذا صدر من أحد العاقدين فلا يجب أن يوجد من أحدهما ما يدلّ على الإعراض عن إتمام العقد صراحةً أو ضمناً، وألا ينشغل أحدهما بأمرٍ خارج عن موضوع عقد الزواج أثناء إجرائه حتى يصدر القبول؛ لأنه إن وُجِد ذلك يُعدّ فاصلاً للإيجاب فلا يوافق القبول.

٣- موافقة القبول للإيجاب ولو بشكلٍ ضمني حتى يتحقق اتفاق الإرادتين الصادرتين من العاقدين على شيء واحد محدّد، فإذا خالف القبول الإيجاب لم ينعقد الزواج، إلا إذا كانت المخالفة تؤدّي إلى جلب خير للموجب فإنّها تكون موافقة ضمنيّة.

(١١) البخاري، باب من قال لا نكاح إلا بولي، ٣٧.

(١٢) مسند أحمد، ٢٥٣٢٦. سنن البيهقي، باب لا نكاح إلا بولي، رقم ١٣٣٨٦.

٤- **سماع كل من العاقدين كلام الآخر** مع علم القابل أنّ قصد الموجب بعبارته إنشاء الزواج وإتمام العقد، وعلم الموجب كذلك أنّ قصد القابل الرضا به والموافقة عليه.

ب- **شرائط الصحة:** هي التي يجب أن تتوفّر في العقد حتى يترتب عليه الأثر الشرعي بعد تمامه، فإذا تخلّف شرطٌ واحدٌ منها، كان العقد عند فقهاء الحنفيّة فاسداً، وعند جمهور فقهاء المالكيّة والشافعيّة والحنابلة باطلاً، وشرائط الصحة اثنان، هما:

١) أن تكون الزوجة غير محرّمة على من يريد الزواج منها بأي سبب من أسباب التحريم المؤبّد أو المؤقّت؛ ومنها مثلاً كما مرَّ سالفاً في ذكر ركن العاقدين أن تَكون مُتَزَوِّجَة، أو مُعْتَدَّة لغيره لم تنته عدّتها الشرعيّة، أو مُطلَّقة منه ثلاث طلقات ما لم تُحَلَّل، أو أن تكون مُرتَدّة، أو غير كتابيّة، أو وثَنِيَّة، أو تَكونَ مَحْرَماً له، أو زوجةً خامِسَة، أو يَكونُ مُتَزوِّجاً بأخِتها وغيرها ممّن لا يجمع بينه وبينها، عمة الزوجة أو خالتها، لنهيه (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه أبو هريرة (رضي الله عنه): «نَهَى عَنْ أَرْبَعٍ نِسْوَةٍ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُنَّ؛ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَالْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا»(١٣)، فمن عقد على واحدة من هؤلاء ممّن لا يحل له العقد عليهن فزواجه غير صحيح.

٢) أن يحضر عقد الزواج شاهدان: وهذا الشرط اشترطه الحنفيّة في حين اعتبره غيرهم ركناً، ويُشترط في الشهود أن يكونا رجلين أو رجلاً وامرأتين؛ لأنه عقد له شأنه ولما يترتب عليه من آثار وحقوق، ولتعلّقه بالأبضاع التي كان الأصل فيها التحريم، ولأنّه يترتب على عدم إعلانه بحضور الشهود أن يشك الناس ويسيئوا الظن إذا رأوا رجلاً يتردد على امرأة بشكل مستمر من غير أن يكونا قد أعلنا زواجهما وشهد على ذلك الناس، وقد ذُكرت شروطُ الشهود في باب الأركان.

ج - **شروط النفاذ** أمّا شَروطُ النَّفاذ فمنها: أن يكون العاقد بالغاً؛ أما نكاح الصَّبي العاقل وإن كان مُنعَقداً إلا أنه غير نَافذ، بل نَفاذُهُ يَتَوَقف على إجازَة وَليِّه، ولا يتوقّف على بُلوغِ الصغير، حتى إذا بَلَغ قَبل أن يُجيزَهُ الوَليُّ فإنه لا يَنفَذ بمجرد البلوغ إلا إذا أجازه الصغير بعد بلوغه هو أو وليّه.

د - **شروط اللزوم:** هي التي ينبني عليها استمراريّة العقد من عدمها. فإذا تخلّف شرط واحدٌ من هذه الشروط كان العقد جائزاً قابلاً للنفاذ والفسخ، أو غير لازم: وهو الذي يجوز لأحد العاقدين أو لغيرهما فسخه أو طلب فسخه بسبب ذلك الشرط، وشروط لزوم الزواج يجمعها شرط واحد، وهو ألّا يكون للزوجين أو غيرهما طلب فسخ أو فسخ العقد بعد انعقاده ووقوعه تاماً صحيحاً، أما إن كان لأحد حق فسخه كان العقد صحيحاً نافذاً غير لازم، فلو تزوّجت المرأة ووجدت بزوجها عيباً لا يمكنها أن تعاشره بوجود ذلك العيب إلا بضرر فإنّ زواجها غير لازم؛ لأنّ لها الحق في طلب فسخه، سواء أكان العيب قبل الزواج ولم تعلم به أم حدث بعده ولم ترضَ به.

(١٣) أخرجه مسلم، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، رقم ٣٥٠٣.

القسم الثاني

الخلوة وأحكامها

المطلب الأول: ماهية الخلوة الشرعية

أولاً - الخلوة بالمعنى اللغوي:

مصدر خلا، يُقال: أخلى المكان، إذا جعله خالياً. وخلا المكان لم يكن فيه أحد.

وخلا الإناء خلواً وخلاءً، إذا فرغ مما به. وخلا فلان من العيب، بريء منه.

والخُلوة: الاسم، والخلو: المفرد، خلا الرجل بامرأته خلوة، أي اجتمع معها، في خلوة، ونساء خاليات: أي، لا أزواج لهن، ولا أولاد.

والخلوة: التخلي للعبادة التفرغ لها(١٤).

ثانيا: والمعنى الاصطلاحي: لا يخرج عن المعنى اللغوي.

المطلب الثاني: أنواع الخلوة، وحكمها الشرعي

١- أنواع الخلوة: صنّف العلماء الخلوّ إلى نوعين:

الأول: الانفراد: يُقال: خلوت بنفسي أو خلوت بزوجتي أي: انفردت بها، وأكثر ما يسمى هذا النوع **(خلوة)** وهو الانفراد بالنفس في مكانٍ خالٍ.

الثاني: اسم لما يملكه **دافع** الدراهم من المنفعة التي دفع في مقابلتها الدراهم، وهذه مصطلحات الوقف مثل: الحُكر، الجدك أو الكدك، الكردار، المرصد، مشد المسكة، غيرها. مازالت يعض وزارات الأوقاف تستعملها للآن.

٢ - حكمها الشرعي: قد تكون الخلوة حلالاً ومستحبة، وقد تكون حراماً:

الصنف الأول: الإنفراد بالنفس: الأصل في الخلوة الجواز. وقد تكون مستحبة، إذا كانت للذّكر والعبادة. ولقد حُبّب الخلاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة، «فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه»(١٥)، وقال النووي: الخلوة شأن الصالحين وعباد الله العارفين(١٦).

الصنف الثاني الخلوة بمعنى الانفراد بالغير، نوعان:

(١٤) لسان العرب، المصباح المنير، المفردات للراغب، مادة: خلو وخلوة، والوسوعة الفقهية الكويتية مادة خلوة، ومعجم المصطلحات الفقهية إصدار وزارة الأوقاف الكويتية.

(١٥) أخرجه البخاري من حديث عائشة (رضي الله عنها).

(١٦) شرح صحيح مسلم، ٢/ ١٩٨.

أولاً: خلوة مباحة: قد تكون مباحة، بين الرجل والرجل، وبين المرأة والمرأة، إذا لم يحدث ما هو محرم شرعاً، كالخلوة لارتكاب معصية.

• وكذلك هي مباحة بين الرجل ومحارمه من النساء، وبين الرجل وزوجته.

• انفراد الرجل بامرأة في وجود الناس، بحيث لا تحتجب أشخاصهما عنهم، ولا يسمعون كلامهما، ففي صحيح البخاري: «جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فخلا بها»(١٧). وعنّون ابن حجر لهذا الحديث بباب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس، وعقّب بقوله: لا يخلو بها بحيث تحتجب أشخاصهما عنهم بل بحيث لا يسمعون كلاهما، إذا كان بما يخافت به، كالشيء الذي تستحي المرأة من ذكره بين الناس(١٨).

ثانياً: خلوة محرمة: وتكون الخلوة حراماً:

• الخلوة بالأجنبية: والأجنبية هي من ليست زوجة ولا محرماً(١٩).

• وتكون الخلوة بالأجنبية واجبة في حال الضرورة، كمن وجد امرأة أجنبية منقطعة في برية، ويخاف عليها الهلاك لو تُركت(٢٠).

المطلب الثالث: النصوص الشرعية في الخلوة

أ – من القرآن الكريم

• قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧ ﴾(٢١).

• ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ٢١﴾(٢٢).

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٤٩ ﴾(٢٣).

---

(١٧) رواه البخاري من حديث أنس بن مالك، رقم ٥٢٣٤.

(١٨) فتح الباري، ٩/٣٣٣. بالقرابة.

(١٩) **المُحرم**: من يحرم نكاحها على التأبيد، إمّا بالقرابة، أو الرضاعة، أو المصاهرة، ويُحرم على الرجل الخلوة بها. (البدائع ٢/١٢٤).

(٢٠) انظر: البدائع ٥/١٢٥، ابن عابدين ٥/٢٣٥، المجموع ٤/١٥٧، المغني ٦/٥٥٣.

(٢١) سورة البقرة ٢٣٧.

(٢٢) النساء، ٢٠ – ٢١.

(٢٣) الأحزاب، ٤٩.

ب – من السُّنة النبوية

- «لا يخلونّ رجل بامرأة إلاّ مع ذي محرم»(٢٤).
- «لا يخلونّ رجل بامرأة؛ إلا كان ثالثهما الشيطان»(٢٥).
- «من كشف خمار امرأته ونظر إليها وجب الصداق، دخل بها أو لم يدخل»(٢٦).

ج – أقوال الفقهاء: اتفق الفقهاء على أن الخلوة بالأجنبية محرمة. واستدلوا لقولهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وقالوا: لا يخلون رجل بامرأة ليست منه بمحرم، ولا زوجة، بل أجنبية، لأن الشيطان يوسوس لهما في الخلوة بفعل ما لا يحل. وقالوا: إن أمّ بأجنبية وخلا بها؛ حرُم ذلك عليه وعليها.

هذه نماذج من أقوالهم في الخلوة بالأجنبية:

آ- الخلوة مع وجود غيرها معها، ومثله خلوة عدد من الرجال بامرأة:

١- **الشافعية:** نصّ الشافعي على أنه لا يجوز للرجل أن يصلي بنساء منفردات، إلاّ أن تكون إحداهن مَحرماً له. لكن صاحب كتاب المجموع، يقول: المشهور جواز خلوة رجل بنسوة لا محرم له فيهن، لعدم المفسدة غالباً، لأن النساء يستحين من بعضهن بعضاً في ذلك(٢٧). والمعتمد عند الشافعية: يجوز خلوة رجل بامرأتين ثقتين، أما خلوة رجال بامرأة، فإن حالت العادة دون تواطؤهم على وقوع فاحشة بها، كانت خلوة جائزة وإلا فلا(٢٨). وفي المجموع: «إن خلا رجلان أو رجال بامرأة المشهور تحريمه، لأنه قد يقع اتفاق رجال على فاحشة بامرأة، وقيل: إن كانوا ممن تبعد مواطأتهم على الفاحشة جاز»(٢٩).

٢-**الحنفية:** تنتفي عندهم حرمة الخلوة بوجود امرأة ثقة، وهذا يفيد جواز الخلوة بأكثر من امرأة، فقد ذكر ابن عابدين: أن الخلوة المحرمة بالأجنبية، تنتفي بالحائل، وبوجود محرم للرجل معها، أو امرأة ثقة قادرة(٣٠). الخلوة بالأجنبية حرام، إلا لملازمة مديونة هربت، ودخلت خربة(٣١).

٣-**وعند المالكية:** تكره صلاة رجل بين النساء أي بين صفوف النساء، وكذا محاذاته

(٢٤) فتح الباري، صحيح البخاري، ٩/ ٣٣١.

(٢٥) أخرجه الترمذي، ٤/ ٤٦٦، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢٦) الدارقطني، ٣/ ٣٠٧.

(٢٧) المجموع ٧/ ٦١- ٦٢.

(٢٨) حاشية الجمل، ٤/ ٤٦٦.

(٢٩) المجموع، ٤/ ١٥٦.

(٣٠) ابن عابدين، ٥/ ٢٣٦.

(٣١) الأشباه والنظائر لابن نجيم، ٢٨٨، المجموع، ٤/ ١٥٥.

لهن بأن تكون امرأة عن يمينه وأخرى عن يساره، ويقال مثل ذلك في امرأة بين رجال، وظاهره، وإن كنّ محارم(٣٢).

٤- **وعند الحنابلة**: تُحرم خلوة الرجل مع عدد من النساء، أو بالعكس كأن يخل عدد من الرجال بامرأة(٣٣).

ب - الخلوة بالأجنبية للعلاج: تُحرم الخلوة بالأجنبية ولو لضرورة علاج إلاّ مع حضور محرم لها، أو زوج، أو امرأة ثقة، على الراجح، لأن الخلوة بها مع وجود هؤلاء يمنع وقوع المحظور، وهذا عند المالكية، والشافعية، والحنابلة(٣٤).

ج - الخلوة بالمخطوبة: المخطوبة تعتبر أجنبية من خاطبها، فتُحرم الخلوة بها كغيرها من الأجنبيات، وهذا باتفاق الفقهاء(٣٥).

المطلب الرابع: أنواع الخلوة

الخلوة بالمعقود عليها عند بعض الفقهاء في: تقرير المهر، ووجوب العدة وغير ذلك، إلاّ أنّ الفقهاء يختلفون في تحديد الخلوة التي يترتب ذلك الأثر، وهذه خلاصة أقوالهم.

أولاً: الخلوة التي يترتب عليها أثر:

جمهور العلماء على أن الخلوة الصحيحة بالمعقود عليها تترتب عليها آثار في الجملة، ولكنهم يختلفون في تحديد الخلوة الصحيحة.

فالأحناف يُعرّفون الخلوة الصحيحة بأنها التي لا يكون معها مانع من الوطء لا حقيقي، ولا شرعي، ولا طبيعي، (**حقيقي** كمرض يمنع الجماع. أو **شرعي**: كصيام رمضان أو حجٍ أو حيض أو نفاس. أو **طبيعي**: كوجود ثالثا، ومانع يمنع شُبهة الوطء)(٣٦).

وعند المالكية الخلوة الصحيحة: هي: خلوة الاهتداء(٣٧)، وهي المعروفة عندهم، بإرخاء الستور، أو غلق الباب، أو غيره، وعندهم خلوة ثانية اسمها: خلوة الزيارة - وهي زيارة أحد الخاطبين للآخر - وسواء أكانت خلوة اعتداء، خلوة زيارة، يمكن فيها الوطء، هي خلوة صحيحة(٣٨).

---

(٣٢) بلغة السالك والشرح الصغير، ١/ ١٥٨، ١٥٩.

(٣٣)) شرح منهى الإرادات، ٣/ ٧.

(٣٤) مغني المحتاج، ٢/ ١٣٣، مطالب أولي النهى ٥/ ١٢، الفواكه الدواني، ٢/ ٤١٠.

(٣٥) ابن عابدين، ٥/ ٢٣٧، شرح البهجة، ٤/ ٩٣، مطالب أولي النهى، ٥/ ١٢، الفواكه الدواني، ٢/ ٤١٠.

(٣٦) بدائع الصنائع، ٢/ ٢٩٢ – ٢٩٣.

(٣٧) من الهدوء والسكينة. لأن كل واحد من الزوجين سكن لآخر واطمأنَ إليه.

(٣٨) حاشية الدسوقي والشرح الكبير، ٢/ ٤٦٨، بلغة السالك بالشرح الصغير ١/ ٤٩٧. جواهر الإكليل ١ / ٣٠٨.

وعند الحنابلة: هي الخلوة التي تكون بعيداً عن مميز وبالغ مطلقاً، إن كان الزوج يطأ مثله وكانت الزوجة يوطأ مثلها، ولم تمنعه من الوطء. فالخلوة الصحيحة التي لها حكم الدخول؛ هي الخلوة التي يمكن فيها حصول الجماع عادة. قال تعالى: {وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ}(٣٩)، قال الفراء: الإفضاء مأخوذ من الفضاء وهو الخلوة، دخل بها أو لم يدخل.فكأنه قال: وقد خلا بعضكم إلى بعض(٤٠).

والظاهر أنّ الانفراد في غرفة مغلقة لا يدخل إليها أحد إلا بإذن؛ هي خلوة صحيحة؛ يثبت بها المهر عند الجمهور، وتثبت بها الرجعة عند الحنابلة(٤١).

ثانيا: الخلوة التي لا يترتب عليها أثر: هي الخلوة التي انتفت عنها شبهة النكاح.

المطلب الخامس: آثار الخلوة بالمعقود عليها

١- في المهر: جمهور العلماء قالوا: إنّ مما يتأكد به المهر، الخلوة الصحيحة التي استوفت شرائطها، فلو خلا الزوج بزوجته خلوة صحيحة ثم طلقها قبل الدخول بها في نكاح فيه تسمية للمهر يجب عليه المسمى، وإن لم يكن في النكاح تسمية تجب كمال مهر المثل امتثالا لقول الله تعالى: {إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ}(٤٢)، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «من كشف خمار امرأته ونظر إليها وجب الصداق، دخل بها أو لم يدخل»(٤٣). وروي عن زرارة بن أبي أوفى، قوله: قضى الخلفاء الراشدون، أنه: إذا أرخى الستر، وأغلق الباب؛ فلها الصداق كاملاً، وعليها العدة، دخل بها أو لم يدخل، وحكى الطحاوي ذلك عن إجماع الصحابة، وذهب الشافعي لا اعتبار بالخلوة في تقرير المهر، واعتبر أن المراد بالمس في الآية(٤٤) هو الجماع.

٢- آثار الخلوة في العدة: ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أنه تجب العدة على المطلقة بالخلوة الصحيحة في النكاح الصحيح دون الفاسد، فلا تجب بالفاسد إلا بالدخول، لأن وجوبها دليل استبراء الرحم، والعدة حق الله تعالى، والخلوة الصحيحة ليست بدخول حقيقة فأقيمت مقامه احتياطاً، فعلى المرأة العدة؛ وذلك لحصول الخلوة الشرعية؛ لأنها تتنزل منزلة الدخول. وأمّا الاستمتاع بالمكالمات، والنظر من خلال الإنترنت، فليس له حكم الخلوة الصحيحة، وكذلك التقبيل، واللمس دون خلوة، ليس له حكم الدخول(٤٥).

وعند الشافعية لا تجب العدة بالخلوة المجردة عن الوطء(٤٦) مستدلين بمفهوم قوله

(٣٩) سورة النساء، ٢١.

(٤٠) المغني، ٦/ ٧٢٤.

(٤١) راجع فتوى الأزهر الشريف رقم ٢٨٩٨٨٥

(٤٢) سورة النساء، ٢٠ -٢١.

(٤٣) الدارقطني، ٣/ ٣٠٧.

(٤٤) البدائع، ٢/ ٢٩٤، المغني، ٦/ ٧٢٤، مغني المحتاج، ٣/ ٢٢٥.

(٤٥) راجع فتوى الأزهر رقم ٢٧٢٩٥٣

(٤٦) مغني المحتاج، ٣/ ٣٨٤.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٤٩﴾(٤٧).

٣ – في الرجعة: ذهب الحنفية إلى أن الخلوة ليست برجعة لأنه لم يوجد ما يدل على الرجعة لا قولاً ولا فعلاً(٤٨). وقال المالكية: إن شرط صحة الارتجاع علم الدخول وعدم إنكار الوطء، فإن أنكرته لم تصح الرجعة.

٤_ أثر الخلوة في ثبوت النسب: خلاصة أقوال الفقهاء: يقول الحنفية إن ثبوت النسب يترتب على الخلوة. وذهب الشافعية: إن الزوجة تكون فراشاً بمجرد الخلوة بها لحقه، وإن لم يعترف بالوطء. ويرى الحنابلة أن الخلوة يثبت بها النسب(٤٩).

٥– أثر الخلوة في انتشار الحرمة: إن الخلوة الصحيحة تفيد حرمة نكاح الأخت، وأربع سوى الزوجة في عدتها(٥٠). وفي بنت الزوجة فيه خلاف، وقال ابن عابدين: «وظاهره أن الخلاف في الخلوة الفاسدة، أما الصحيحة فلا خلاف في أنها تحرم البنت»(٥١). وقال ابن قدامة: «الدخول بالأم يحرم البنت»(٥٢).

خلاصة البحث

لقد مُنيَت كثيرٌ من الأُسر الإسلاميّة، في العصر الحديث، بلوثةٍ من التصرّفات السيّئة، والعادات الفاسدة، التي تخدش الحياءَ، وتجرح المروءة، بسببٍ جهل أولياء الأمور، بأخلاقيات التعامل بين أفراد الأسرة الواحدة، وأصول التعامل مع الأُسر الأخرى، والإنسان عدو ما جَهل، ومما شجّع على انتشار الفساد الأسري والاجتماعي؛ الغارات التنفيريّة وليست التبشيريّة الغربيّة الحاقدة، والشرقيّة المتحلّلة، والتي آزرتها وسائل الإعلام بكل أنواعها، واستفحل أمرها لضعف المراقبة من المسؤولين عن هذا الشأن، ومما زاد في البلوى، انعدام التربية السليمة في البيت والمدرسة والمجتمع.

خلاصة حكم الخلوة بالمخطوبة:

١ - **المخطوبة** تعتبر أجنبية من خاطبها، فتحرم الخلوة بها كغيرها من الأجنبيات، وهذا الحُكم باتفاق جميع الفقهاء.

٢- **أما المعقود عليها**: ولم يحصل بينهما خلوة، فلها نصف المهر المتفق عليه، أو مهر مثلها، ولا عدة عليها.

(٤٧) الأحزاب، ٤٩.

(٤٨) الاختيار ٣/ ١٤٧.

(٤٩) ابن عابدين، ٢/ ٣٤١، شرح المنهاج للمحلي، ٤/ ٦١، منتهى الإرادات، ٣/ ٢١٣.

(٥٠) ابن عابدين، ٢/ ٣٤١.

(٥١) ابن عابدين، ٢/ ٢٧٨.

(٥٢) المغني، ٦/ ٧٢٥.

٣- **المعقود عليها وتمت بينهما خلوة** ثم طلقها، فلها المهر كاملاً، حكمها حكم المدخول بها، وعليها العدة كاملة.

***

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ): **المحلى**، دار الفكر، بيروت.

٢-ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد الحفيد الفيلسوف (ت٥٩٥هـ): **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٣- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر الحسيني (ت١٢٥٢هـ): **حاشية رد المحتار على الدر المختار**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤- ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله (ت٦٢٠هـ): **المغني**، تحقيق الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٦- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**: ط٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م.

٨- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ): **صحيح البخاري**، دار الفكر، دمشق، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٩- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ): **شرح السنة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٠- البهوتي، منصور بن يونس البهوتي (ت١٠٥١هـ): **كشاف القناع عن متن الإقناع**، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١١- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ): **السنن الكبرى**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٢- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ): **صحيح الترمذي** بشرح ابن العربي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ): **صحيح الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.

١٤- الجوهري، إسماعيل بن حماد: **الصحاح في اللغة**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م.

١٥- الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة (ت ١٠٠٤هـ): **نهاية المحتاج** إلى شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٦- الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ): **تاج العروس من صحاح** القاموس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٧- الزحيلي، الدكتور وهبة: **التفسير المنير**، دار الفكر، دمشق، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٨- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد إبراهيم الشيرازي الشافعي (ت٨١٧هـ) **القاموس المحيط:** ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٩- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارزي (ت٦٧١هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٠- الكاساني الحنفي، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (ت٥٨٧هـ): **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢١- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ): **الحاوي الكبير**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٢- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الوسيط**، ط٢، دار إحياء التراث العربي.

٢٣- النووي، الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ): **شرح صحيح مسلم**، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٤- النووي، الإمام أبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ): **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر، بيروت.

٢٥- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: **معجم المصطلحات الفقهية**، الكويت.

٢٦- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: **الموسوعة الفقهية**، ط٢، الكويت.

***

دور الوقف الإسلامي في بناء المجتمع المعرفي

The role of the Islamic Waqf (Endowments, Charities, NGO) in building the knowledge society

أ.م. صلاح الدين سليم أرقه دان[1]
Salah Eddine Arkadan

الملخص

لعبت عدة عوامل في تغييب مفهوم الوقف ودوره في صناعة الحياة، وعلى أكثر من صعيد، وساد عند أكثر المثقفين المعاصرين أن أعمال الوقف محصورة في المساجد والزوايا الدينية بعيدًا عن أعمال الحياة كالتربية والتعليم والتنمية الاقتصادية، والتنمية المجتمعية المستدامة. فهذه الورقة تساهم إلى جانب دراسات أخرى في التعريف بمصطلح (المجتمع المعرفي) ودور الوقف في بنائها، وليس المقصود بطبيعة الحال، الوقف الإسلامي وإنما الوقف باعتباره ظاهرة إنسانية بدأت مع اهتمام الإنسان بالإنفاق على المعابد وتطورت حتى وصلت إلى ميادين أوسع بكثير، ستكشف عنها هذه الورقة.

Abstract

Several factors played a role in the ambiguity of the concept of endowment (waqf) and its role in making life in many fields and aspects.

It prevailed among most contemporary intellectuals that endowment work is restricted to mosques and religious activities apart from aspects of life such as education, economic development and sustainable community development.

This paper, along with other studies, contributes to defining the term (knowledge society) and the role of the endowment in its construction.

Of course, what is meant is not the Islamic endowment only, but the endowment as a human phenomenon that began with human interest in spending on temples and developed until it reached much wider areas that this paper will reveal.

(١) أستاذ الدراسات العربية الإسلامية بجامعة الخليج للعلوم والتكنولوجيا، الكويت
Associate professor of Arabic and Islamic Studies at the Gulf University of Science and Technology, Kuwait

*المفاهيم (التعريفات)
• مفهوم الوقف.
• أنواع الوقف.
• أحكام الوقف.
• دور الوقف في بناء الحضارة الإسلامية.
*الآليات
التشريع (الإطار التنظيري):
• أنواع الوقف.
• سلطة الوقف الشرعية.
• الوقف الخيري.
• الوقف الذري.
• الوقف السلطاني.
• الوقف العابر للأقاليم والمذاهب.
• الاحتساب على الوقف.
التنفيذ (الخدمات)(٢):
• الناس.
• الحيوان.
• الطبيعة.
*سنن وأسباب
• التقدم والتخلف.
• الالتزام والمخالفة.
• الرقابة والتقييم.
• التنمية المستدامة.
*الوقف المعاصر ما بين الشرق والغرب
• أثر الوقف الإسلامي على الغرب.
• تطور الوقف الغربي: المجالات العلمية والبحثية والثقافية وبناء الجامعات الوقفية(٣).
• تجارب وقفية إسلامية معاصرة.

(٢) تقوم به اليوم وزارات وإدارات.

(٣) جامعة هارفرد على سبيل المثال التي تأسست عام ١٨٧٠ تمتلك اليوم أكبر حجم أوقاف عالمياً حيث بلغ ٣٦,٥ مليار دولار.

المجتمع المعرفي

(المجتمع المعرفي) من المصطلحات الحديثة الاستخدام، ويتم تداوله بكثرة بين السياسيين وصانعي السياسات والعلماء المهتمين بالدراسات المستقبلية، ولا يوجد اتفاق على تعريف واحد له، لأن المعرفة نفسها في عين فلاسفة الغرب، ناتج عقلي ومُجدٍ لعدة عوامل، كالإدراك والتعلم والتفكير(٤)، فيما تُدرَك المعرفة عند فلاسفة المسلمين، ممثلين بابن سينا، بأنواع ثلاثة: بالفطرة وبالفكرة وبالحدس(٥).

والتعريف نفسه لن يغير من حقيقة أننا نشهد ولادة (عصر المعرفة) أو (مجتمع المعرفة) (Knowledge society)، هذا المجتمع الذي يبني نفسه على ثورة الاتصالات والتكنولوجيا، ووظف الحاسوب والإنترنت في كل منعطفات وتفاصيل الحياة اليومية، وحوّل الحكومات الورقية إلى حكومات إلكترونية. وصارت الأمية المعرفية هي أميّة هذه الثورة التقنية.

وبناء عليه، فالمجتمع المعرفي هو المجتمع الذي تصبح فيه المعرفة إحدى المرتكزات الأساسية في التنمية الشاملة، ويتمكن أفراد المجتمع من إنتاج المعرفة ونشرها وتوظيفها بكفاءة في كل ميدان من ميادين النشاط الإنساني.

ومن أشهر العلماء الغربيين الذين كتبوا في (المجتمع المعرفي)، وتابعهم غربيون وشرقيون في المصلح وتأثروا بالمنهجية والتوجه:

بيتر دراكر (Peter Drucker) أشهر دعاة (مجتمع المعرفة) في مقدمة كتابه (مجتمع ما بعد الرأسمالية – Post-Capitalist Society).

وإلفين توفلر (Alvin Toffler) أحد أبرز الكتاب والمحللين المتخصصين في دراسات المستقبل في الولايات المتحدة الأمريكية، صاحب كتاب (صدمة المستقبل – Future Shock) عام ١٩٧٠م، و(الموجة الثالثة – the Third Wave) عام ١٩٨٠م.

وخلاصة القول أن المعرفة نفسها تتوالد وتنمو بالبحث والتطوير، وتنتشر بالتعليم والتدريب ووسائل الإعلام المُختلفة، وفيما تتسابق الأمم لبناء مجتمع معرفي، باعتبار ذلك السمة الأساسية المميزة لمجتمع المستقبل، لا نقع في قائمة أهم خمسين دولة تتصدر البيئة التحتية الاتصالية على أية دول عربية أو إسلامية، وتتقدم هذه القائمة السويد والنرويج وفنلندا وأمريكا وسويسرا وأستراليا وسنغافورة وهولندا واليابان وكندا وألمانيا وهونغ كونغ، وبالتالي فإن الدول العربية أصبحت خارج التنافس المعرفي.

(4) Cristiano Castelfranchi , Six critical remarks on science and the construction of the knowledge society, International School for Advanced Studies, Journal of Science Communication (ISSN 1824 – 2049 http://jcom.sissa.it).

(٥) عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، طرابلس (ليبيا)، الدار العربية للكتاب، ط٣، ١٩٨٢م، ص١٣١.

ويمكن إجمال القول بأن المجتمع المعرفي لا يضم كل أبناء المجتمع إنما يشمل مجاميع من المجتمع لأفرادها اهتمامات متقاربة، يحاولون الاستفادة من معارف بعضهم البعض في المجالات التي يهتمون بها، ويضيفون المزيد إلى هذه المعرفة، بشكل تراكمي وتصاعدي حتى تعم الرؤية المعرفية فيما بينهم وتسمهم بسمة مميزة لهم عمن سواهم.

ويتشكل كل مجتمع بحسب مجموعة المفاهيم المشتركة، ومع تطور تقنية التواصل العصرية ظهر مجتمع عالمي يتمتع بمعرفة مشتركة حول الموضوعات المشتركة بين أفراده بالرغم من تباعد المسافات واختلاف اللغات تنوع الثقافات. ولكن مع غياب التوزيع العادل للموارد المادية والاقتصادية في العالم وأحياناً في المجتمع الواحد، تغيب المساواة بين المجتمعات وداخل المجتمع الواحد، وهذا يؤدي بالتالي إلى التباين في إتاحة المعرفة وتقاسمها بشكل عادل بين الناس، مما يعني التباين في تنمية المجتمعات بشكل متسق ومتوازن.

الإسلام والمعرفة

الإسلام رسالة مفتوحة إلى العالمين، فلا باطنية ولا أسرار ولا ضبابية في العقيدة ولا العبادة ولا التشريع ولا الموقف من الآخر، وبطبيعة الحال لا يتم تعميم الرسالة (الدعوة) إلا بالإعلان وبالإشهار، ولا تُقام الحُجة على من أبى واستكبر إلا بعد الإيضاح والبيان، فمن البدهي أن يخصص الكتاب الكريم والسنة الشريفة آيات وأحاديث تدعو إلى (المعرفة) بمعناها المطلق، وهي معرفة النفس والغير والكون، والمعرفة الخاصة وهي معرفة الله تعالى وصفاه وأسمائه، ومعرفة الأحكام الشرعية من (حلال وحرام ومباح ومكروه ومحرم).

وقد يسّر الإسلام لذلك سبلاً وآليات، جعل في مقدمتها تحرير العقول من الخُرافات والأساطير، ومن كل حُكم مُسبق موروث أو سائد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾[البقرة/١٧٠]، فالجمود مقتل كل إبداع وابتكار وتجديد. ودعا إلى التأمل والتفكير والتدبّر بحيث يصل الإنسان إلى الحقيقة أو يرفع عنه الحُجُب بنفسه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران/١٩٠]، ودعا إلى الإنصات والتعلم: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ ﴾[النحل/٤٣]، وانتهج الحوار لما فيه من تفتق الأذهان: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾[هود/٢٨]، والمعاينة: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾[العنكبوت/٢٠]، والتجربة الميدانية: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾[البقرة/٢٦٠]. وهي آليات انتهجها المسلمون في شؤون الدين والدنيا معاً، وبها رسموا معالم المنهج العلمي الذي ما زال سائداً حتى اليوم.

ومفتاح ذلك كله التحصيل العلمي تلقيناً وتلقناً، وهو بحر ليس له قعر وليس له نهاية، أخذاً وعطاءً: {وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا} [طه/١١٤]، فالإنسان مهما بلغ علمه يبقى في أول الطريق: {وَمَا

أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء/٨٥]، {وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف/٧٦].

ومن الملاحظ أنه منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي ابتدأ تعميم المعرفة داخل الصف الإسلامي في حلقات دار الأرقم بن أبي الأرقم، وخارجه بين المشركين عن طريق تبليغ النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم، أو بما يتداولونه بينهم بغاية النقد أو التطفل(٦)، فالاستهزاء والتشويش والتطفل، ساهم في نشر تعاليم الإسلام، حتى فشى بين العرب العلم برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودينه ومبادئ دينه.

في مجتمع المدينة، وبالرغم من كون المسلمين أقلية بين أكثريتين، يهودية منظمة، ووثنية ترى قريش على دسنها، أكد النبي في صحيفة المدينة على الأمن والمساواة والولاء للدولة متمثلة برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كما أكّد على مبدأ الإسلام في (الحرية) حرية الاعتقاد وحرية الحركة وحرية التعاقد شرط عدم الإخلال بالنظام العام ولا معاونة العدو(٧).

وكانت المهمة الأساس نشر تعاليم الإسلام، عقيدة وعبادة ومعاملات، وممارسة ذلك على أرض الواقع، فمن البديهي أن الدين الحنيف يحتاج إلى بيئة حاضنة. ومن البديهي أن تعميم المعرفة يؤدي إلى سيادة الثقافة الإسلامية الجديدة، وانكماش الثقافة الجاهلية، مع الحفاظ على مكارم الأخلاق، وهي القيم العُليا التي يُجمع عليها الناسُ جميعاً(٨).

يحتاج نشر العلم والمعرفة إلى سيادة ثقافة قابلة وآليات تنفيذ، أما الثقافة ففي مقدمتها الترغيب بالعلوم والمعارف، وإطلاق حرية التفكير والبحث والنشر، وعلى رأس الإمكانيات الواجب توفرها: المال، فالتفرغ للعلم وامتلاك أدواته من كتب وقراطيس، كانت يومها نادرة ومكلفة، تتباطأ المسيرة ويقل روّادها، وينصرف عنها من رغب فيها إلى ما هو خير له في دنياه.

كان التعليم في مجتمع المدينة المنورة، وفي البلدان والقرى التي اعتنقت الإسلام، أو بايعت النبي (صلى الله عليه وسلم) وبقيت على شِركها لا تمنع أحداً من اعتناق الدعوة الحنيفية السمحاء، ولا تناصر من يعاديها، بسيطاً، يقوم به متطوعون في أوقات فراغهم، في المسجد على الأغلب، أو في مكان ملحق بالمسجد، فالتعليم المنتظم المُلْزم لم يُعرف إلا في عهد عمر (رضي الله عنه)، وقد سنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) إطلاق الأسرى المتعلمين إن هم أنجزوا تعليم عدد من أبناء المسلمين(٩)، وحرص على أن يكون أهل بيته قدوة في التعلم،

(٦) كتطفل أبو سفيان بن حرب، وأبو جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي على تلاوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي في بيته، بالرغم من اتفاقهم على مقاطعته Oابن هشام (ت٢١٣هـ)، مختصر سيرة ابن إسحق (ت١٥١هـ)، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ، ص٢/١٥٧●.

(٧) ابن هشام (ت٢١٣هـ)، مختصر سيرة ابن إسحق (ت١٥١هـ)، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ، ص٣/٣٤.

(٨) عن أبي هريرة (رضي الله عنه): «إنمَّا بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ»، الهيثمي، مجمع الزوائد، ص٩/١٨.

(٩) عن ابن عباس (ضي الله عنهما) قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فداءهم أن يعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة Oأحمد، المسند، ص٤/ ٩٢. والبيهقي، ص٦/ ٣٢٢. وابن سعد، الطبقات، ص٢/ ٢٢●.

فأمـر الشـفاء بنـت عبـد اللـه (رضي اللـه عنهـا) تعليـم أم المؤمنـين حفصـة (رضي اللـه عنـه) القـراءة ثـم الكتابـة(١٠).

أمـا الثقافـة بمعناهـا العـام، فـكان للمسـجد دور كبـير، ومـا زال، في نـشر القيـم والمفاهيـم التـي هـي جـزء لا يتجـزأ مـن الثقافـة، حيـث تقـام فيـه حلقـات العلـم والتـدارس بشـكل يومـي، وعلاوة عـلى الحلقـات العلميـة، كانـت هنـاك خطـب الجُمَـع، والأعيـاد، والمناسـبات الإسـلامية المختلفـة.

ولمـا كانـت الحريـة شرطـاً أساسًـا في تحصيـل (المعرفـة) ومـن ثـمّ نشرهـا، فالقيـود التـي تلـزم الفـرد بـرأي مُسْـبق، أو بالسـائد في بيئتـه، يميـت العلـم ولا يحييـه، ويميـت الابتـكار والنمـو والتطويـر. والخضـوع لتوجهـات السـلطة السياسـية أو الاجتماعيـة يـؤدي إلى نفـس المـوت. لذلـك ابتكـر الإسـلام (الوقـف التعليمـي) وهـو في الحقيقـة تطويـر لأنظمـة الوقـف كـما عرفتهـا الأمـم السـابقة التـي خصصتـه بالإنفـاق عـلى هيـاكل الآلهـة ودور العبـادات والعاملـين فيهـا، وبطبيعـة الحـال الكتـب والوثائـق التـي تعـود إليهـا، كـما في مكتبـات معابـد بـلاد مـا بـين النهريـن ابتـداء مـن الألفيـة الثالثـة قبـل الميـلاد(١١).

إن مـن آثـار الوقـف التحـرر مـن ضغـط وسـلطان أي تدخـل مُغْـرض، وتحـرر مـن أي حاجـة ماديـة، ولكنـه في علـوم الفقـه قـد يكـون سـبباً في تشـجيع مذهـب عـلى مذهـب، إذ قـد يـشرط الواقـف أن يكـون الإنفـاق عـلى طلبـة علـم إمـام معـيّن، ولذلـك حـرص جـل خلفـاء وسـلاطين وملـوك الإسـلام إذا أوقفـوا مدرسـة أن يخصصـوا بالذكـر المذاهـب الأربعـة حتـى لا يقتـصر طلـب العلـم عـلى مذهـب واحـد دون غـيره(١٢)، ولا يخفـى مـا لهـذا التنـوع مـن انفتـاح طـلاب العلـم ومداركهـم وتقليـص فجـوة تعصّبهـم لمذهـب دون غـيره، وانعـكاس ذلـك عـلى العامّـة.

إن (الجمـود) في كل شيء آفـةٌ، خاصّـة الجمـود الفكـري، إذ هـو أسـاس التخلُّـف، ويـزداد ضرره بفصـل المعرفـة والعلـم عـن الثقافـة، فينتـج عندنـا متعلمـين غـير مثقفـين، وتقتـصر العمليـة التعليميـة عـلى النخبـة فيـما السـائد عنـد العامّـة هـو الجهـل والتخلـف، وتصبـح (المعرفـة) (معلومـات) جاهـزة وثابتـة ومقولبـة وسـجينة شريحـة أو شرائـح محـددة في المجتمـع. وتبقـى أسـيرة المـاضي، والـتراث، بتـداول مـا قالـه مَـنْ سـبق، وليسـت منطلقـة نحـو المسـتقبل وتلبيـة حاجـات جيـل سـيأتي وسـيواجه معضـلات ونـوازل لم يعرفهـا السـلَف.

إن طبيعـة الانتـماء إلى الإسـلام تفـرض عـلى المجتمـع المسـلم تعلّـم وتعليـم مبـادئ الإسـلام، والقـرآن، وأحـكام فقهيـة للتعبـد ولحيـاة الأسرة والطعـام والـشراب، وقواعـد في الأخـلاق والسـلوك الاجتماعـي، وهـي أحـكام وقواعـد ومبـادئ تسـود الفكـر الجمعـي للمسـلمين، عـلى مدى انتشـارهم العالمـي وتنـوع ثقافاتهـم وهويتهـم الحضاريـة المحليّـة، وعـلى هـذا لا يكـون الإسـلام طريقـاً إلى

(١٠) أخرجه: أحمد وأبو داود والنَّسائي.

(١١) عبد الستار الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٩م، ص٦-٧.

(١٢) عبـد الرحمـن سـنبط قنيتـو الإربـلي (ت٧١٧هــ)، خلاصـة الذهـب المسـبوك مختـصر مـن سـير الملـوك، تحقيـق: مـكي السـيد جاسـم، بغـداد، مكتبـة المثنـى، ط٢، ١٩٦٤م، ص٢٨٧. وأحمـد خلـف فنـدي السـبعاوي، الخدمـات الوقفيـة مـن خـلال كتـاب الخطـط للمقريـزي، إربـد، دار الكتـاب الثقـافي، ص١٠٤. وناجـي معـروف، تاريـخ علـماء المسـتنصرية، بغـداد، مطبعـة العـاني، ط١، ١٣٧٩هــ/ ١٩٥٩م، ص١.

المعرفة، وإنما هو المعرفة نفسها، ويتحول كل مسلم إلى وكالة نشر وتوزيع لمفاهيم وتعاليم الإسلام من خلال حركته في الحياة وممارسته لأحكام الإسلام في تعامله مع الله ونفسه والغير. وقد يدخل هذا الدور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾[الأحزاب/٧٢]، فأمانة اعتناق حقيقة التوحيد، والقيام بالواجبات، والدعوة إلى الخير ليست خياراً وإنما هي وظيفة واجبة لا تكتمل إلا بالبحث الدائم عن الحقيقة والارتقاء في سلم المعرفة والعمل، ونشر (المعرفة) بحيث تصبح ثقافة واعية مهيمنة على الفرد والجماعة لا تعترف بالجهل ولا بالاستنساخ الفكري المؤدي إلى الجمود والتخلّف.

المفاهيم (التعريفات)

- مفهوم الوقف.
- أنواع الوقف.
- أحكام الوقف.
- دور الوقف في بناء الحضارة الإسلامية.

لا خلاف بين اللّغويين وفقهاء الشريعة بأن الوقف مصدر يراد به اسم المفعول، بمعنى الشيء (الموقوف)، وهو الحبس والمنع(١٣).

والمقصود (بحبس العين) المنع عن تمليكها لأحد من العباد، والتصدق بالمنفعة على مصرف مباح. والعين إما أن تكون داراً أو بستاناً أو نقدًا.

والفرق بين التبرع وبين الوقف: أن الوقف تبرع دائم، لأن المال الموقوف ثابت لا يجوز بيعه ولا التصدق به ولا هبته، وإنما يتم التبرع فقط بغلته وريعه وتصرف في الجهات التي حددها الواقف. أما التبرع فهو بذل المال أو المنفعة للغير بلا عوض بقصد البر والمعروف، وللتبرع صور كثيرة منها الصدقة، والهبة، والوصية، والقرض، والوقف، والكفالة.

«الْوَقْفُ الْحَبْسُ لُغَةً، وَوَقْفُ الضَّيْعَةِ هُوَ حَبْسُهَا عَنْ تَمَلُّكِ الْوَاقِفِ وَغَيْرِ الْوَاقِفِ وَاسْتِغْلَالُهَا لِلصَّرْفِ إلَى مَا سُمِّيَ مِنْ الْمَصَارِفِ وَلِذَا سُمِّيَ حَبِيسًا»(١٤).

«وفي الشرع هو حبس العين على حكم ملك الواقف، أو عن التمليكِ والتصدقُ بالمنفعة على اختلاف الرأيين»(١٥).

(١٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ص٩/٢٥١. ابن منظور، لسان العرب، ص٦/٤٥. الفيروز آبادي في القاموس المحيط، ص٥٣٧. قاسم بن عبد الله، أنيس الفقهاء، تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ٧٠.

(14) النسفي (ت537هـ)، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية على ألفاظ كتب الحنفية، القاهرة، دار الطباعة العامرة، 1311هـ، ص105.

(١٥) إبراهيم الطرابلسي الحنفي (ت٩٢٢هـ)، الإسعاف في أحكام الأوقاف، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣.

يختلف نوع الوقف باختلاف الموقوف عليه، وهو بذلك ينقسم إلى أنواع ثلاثة هي:

الوقف الأهلي (الذُّري): وهو ما حُصرت منفعته لأفراد معينين، أو لذريتهم سواء من الأقرباء أو من الذرية أو غيرهم، وقد يشترط الواقف فيه أن يؤول إلى جهة بر بعد انقطاع الموقوف عليهم، وفي هذه الحالة يعتبر وقفاً أهلياً ابتداء، خيرياً مآلاً.

الوقف الخيري: وهو ما جعلت فيه المنفعة لجهة بر أو أكثر، ولكل ما يكون الإنفاق عليه قربة لله تعالى.

الوقف المشترك: ما يجمع بين الوقف الأهلي والخيري.

(الوقف) أحد أهم إنجازات الحضارة الإسلامية؛ فهو تعبير عملي عن إرادة الخير في الإنسان المسلم، وعن اهتمامه ورعايته لكل ما حوله، ابتداء بالبشر وانتهاء بالبيئة، (الوقف) «إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع»(١٦)، إذ قام الوقف بالدور الذي تقوم به اليوم وزارات متخصصة كالأوقاف والتربية والشؤون الاجتماعية، فقد غطى (الوقف) احتياجات المجتمع المسلم التعبدية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، من خلال إنفاقه على المساجد والمدارس وطلاب العلم والعلماء والأسر المتعففة ورعاية الحيوانات، وتنمية أموال الوقف التي شملت العقارات والأراض الزراعية.

وفقه الوقف من أقل الأحكام تنازعاً بين شتى المذاهب الإسلامية، بل إن عامة ما يبدو فيه من خلافٍ، فإنما هو خلاف لفظي لا حقيقي.

الوقف العابر للأقاليم والمذاهب

هذا في الإطار النظري، أما في الإطار التشريعي، فقد اهتم فقهاء الشريعة الإسلامية خلال العهد الطويلة، ومن خلال فقه الواقع إلى تقنين أحكام الوقف وتحويله إلى مؤسسة تتمكن من الاستمرار والنمو والتطوّر بحسب الحاجة والمصلحة الراجحة للمجتمع المسلم، فجعلوا الوقف مستقلاً عن السلطة، فلا يتأثر بتغيّر الحاكم ولا العهْد، وأخضعوه لرقابة المحتسب، لمساعدة متولي الوقف على الالتزام بالمعايير الشرعية وبوصية الواقف وعدم الوقوع في زلل يؤدي إلى إخراج الوقف الذي تحت يده عن غايته، أو الإهمال المفضي إلى عدم الجدوى.

واستقرّ الوقف حتى نهاية الدولة العثمانية على أنواع ثلاثة واضحة مهيمنة على ميادين أنشطته، هي الوقف الخيري والذري والسلطاني، وهي تصنيفات من حيث أصل الوقف وليس أعماله، التي تتداخل خاصة ما بين الخيري والذُّرّي. وقد تقدم التعريف بالخيري والذري، أما الوقف السلطاني، فهو ما يوقفه السلطان أو وكيله من الأراضي الأميرية (المملوكة للدولة) على جهة خيرية أو مصرف خيري تحدده الحُجّة الوقفية، كالأراضي

(١٦) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م، ص١/٢٢٧.

المفتوحة سلماً والداخلة في حوزة الإمام (الدولة)(١٧)، وكما فعل عمر (ر) بأرض السواد، كي لا تكون دولةً بين الفاتحين وحدهم ولا شيء لمن جاء بعدَهم(١٨).

قد توسع الأيوبيون والمماليك من بعدهم في الوقف السلطاني، حفظاً للأراضي المحرّرة من الفرنجة (الصليبيين) وتثبيتاً لهويتها، ومن ذلك وقف السلطان الأشرف شعبان (ت٧٧٨هـ) عدة قرى في بلاد الشام وفلسطين على الحرمين الشريفين(١٩). وما أوقفه السلطان سليمان القانوني (ت٩٧٤هـ) على (خاسكي سلطان) ببيت المقدس(٢٠).

الوقف على الحرمين الشريفين وعلى بيت المقدس ومسجد بني أمية الكبير في الشام، من الأوقاف العابرة للمذاهب والجنسيات والأوقاف، كما هو حال جل الأوقاف التي تقوم عليها مؤسسات خيرية شعبية معاصرة وتخصص بحفر الآبار وفتح المدارس ومعالجة آثار الكوارث الطبيعية أو الناتجة عن الحروب في أي مكان اقتضته الحاجة من العالم.

دور الوقف في تعزيز المعرفة

منذ نزول الوحي بـ﴿اقرأ﴾ واهتمام الأمة لم يتوقف بالمعرفة والتوسع فيها، وإقامة مؤسسات ضامنة لاستمرارها مهما كانت الظروف. وهذا الفهم ليس مستجداً بسبب ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية المعاصرة، بل هو قديم لم يغب قط عن الرعيل الأول، الذي رأى في العلم والمعرفة ضمان لاستمرار الهوية الإسلامية، بل هو في قلب الانتماء العقدي والثقافي للإسلام.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذلك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقسم وأنتم ها هنا؟ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة (رضي الله عنه) لهم حتى يرجعوا، فقال لهم ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نر فيه شيئاً يقسم! فقال: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى، رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد (صلى الله عليه وسلم)(٢١).

---

(١٧) الماوردي (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٧٥.

(١٨)) أبو يوسف (ت١٨٢هـ)، الخراج، بيروت، دار المعرفة، ط؟، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٣٥.

(١٩)) الحُجّة الوقفية محفوظة في دار الوثائق القومية بالقلعة في القاهرة بمصر، وهي مؤرخة في الثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ باسم السلطان الأشرف شعبان بن حسين، وفيها أسماء القرى الموقوفة التي يُصرف من ريعها على الحرمين الشريفين، وتفاصيل ذلك. وقد بلغ طولها نحو ٤١ متراً وعرضها نحو ٣٠ سنتيمتراً. وقدر ريع هذه القرى بمبلغ ٢١٥ ألف درهم من دراهم ذلك العصر.

(٢٠)) محمد هاشم غوشة، الأوقاف الإسلامية في القدس الشريف، تقديم: خالد أرَن، إستنابول، ٢٠٠٩م، ص٤٧٧. وفيه أسماء القرى في بلاد الشام وفي جملتها قرى مدينة صيدا (اللبنانية). ومن الجدير بالذكر أن الوقف ما زال يعمل حتى الآن.

(٢١) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

وقد تقدم أن (الوقف) كان أحد آليات القيام بالعملية التعليمية خاصّة، وثقافة الوعي المعرفي عامة، وقد تراكمت الثروة الوقفية خلال عهود الإسلام المتعددة، حيثما حل المسلمون، ولو أخذنا مصر التي انتقلت إليها الخلافة العباسية عقب سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ، فانتعشت البلاد وازدهرت، لوجدنا أكثر أوقافها مرصدة على التعليم (كتاتيب ومدارس) والمساجد، حتى إن محمد علي باشا عندما مسح الأرض الزراعية في مصر وجد أن الأرض الموقوفة ثمن أراضي مصر الزراعية(٢٢).

يعترف دارسو الحضارة الإسلامية بدور الأوقاف في صناعة النهضة الشاملة للأمة، وأن الوقف أحد مفاخر الإسلام، بتوظيف الموارد الوقفية في تحقيق المصالح المرسلة، بالإضافة إلى ما هو مفروض على الفرد والمجتمع في الإسلام، والوقف على التعليم كان أرقى أوجه مصارف الأوقاف والحباس، ابتداء من إنشاء المساجد والكتاتيب وانتهاء بالإنفاق على العلماء وطلاب العلم وتأمين الكتب وعمارة المدارس (الجامعات).

ابتدأ الوقف التعليمي في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، منذ اللحظة التي جعل فيها فداء من يعرف الكتابة من الأسرى تعليم أبناء المسلمين.

ولما تطورت آليات وإجراءات التعليم في العهد الراشدي، خاصّة في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يقتصر التعليم في الكُتّاب، وهو ما يشبه التعليم في المرحلة الابتدائية، على الذكور دون الإناث، وإن اختلفت بعض مواد الذكور كالسباحة والرماية وركوب الخيل، عن المواد الخاصة بالإناث كالتدبير المنزلي من تعلم الحياكة والتداوي بالأعشاب والطبخ(٢٣)، بحيث يلبي كل منهج ما يحتاجه المتعلم في حياته اليومية للقيام بواجباته وبدوره في الأسرة أو المجتمع. لقد جعل عمر (رضي الله عنه) التعليم ملزماً قبل أن تشرعه الأمم المتحدة بأربعة عشر قرناً، وانتدب من يسأل المارة عن معرفتهم القراءة والكتابة، وإلا أدخلوه الكتّاب حتى يتعلم(٢٤)، وكان هو نفسه يقوم بهذا الاختبار(٢٥).

والتعليم يحتل الصدارة في ترتيب سلّم أولويات أي مجتمع يسعى نحو التقدم والرقيّ والتنمية، ولا يخفى ما لإخفاق التعليم من إخفاق كافة الميادين الحضارية والثقافية الأخرى.

كانت الحجج الوقفية تتضمن اشتراط توفير كافة احتياجات الطلبة المستهدفين، ومدرّسيهم، كالسكن والمأكل والمشرب والطبابة والكساء والقراطيس والأحبار وغيرها مما لا ينتظم التعليم إلا به. وبالوقف فُتح الباب على مصراعيه لكل شرائح المجتمع، إذ لم يعد الفقر ولا الغُربة حاجزاً أمام أهله للتفرع للتعلم على قدم المساواة مع المقتدرين والمقيمين إذ العبرة

(٢٢) محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، القاهرة، دار الثقافة العربية للطباعة، ط٢، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص٢٩.

(٢٣)) الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، دار صعب، ب.ت، ص٢٠٤.

(٢٤)) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، تأريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، جدة، مطبعة الفتح، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص١٣٦.

(٢٥)) الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٧/٤٠٢.

في الرغبة والإقبال وليس في العطايا والمال.

يذكر ابن جبير (ت٦١٤هـ) في رحلته المشهورة إلى المشرق، مشاهداته في دمشق، إحدى عاصمتي صلاح الدين الأيوبي في تلك الفترة: «كل ... مدرسة أو خانقة يعين لها السلطان أوقافًا تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها ... ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء ... مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف، ومن الأمراء من يفعل مثل ذلك، لهم في هذه الطريقة المباركة مسارعة مشكورة»(٢٦).

ثم يذكر أن مدارس دمشق عشرين مدرسة يتم الإنفاق عليها من الأوقاف، وأنها تستقبل طلاب المغرب بسخاء فينصح طلاب العلم من قومه: «فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرّب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد، ولا عذر للمقصِّر إلا من يدين بالعجز والتسويف»(٢٧).

وللشاعر العراقي معروف الرصافي (ت١٣٦٤هـ) قصيدة طويلة في الأوقاف وأعمالها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، مطلعها:

للمسلمين على نُزُورَة وَفرِهم كنزٌ يفيض غِنَى من الأوقافِ

كنزٌ لو استشفَوا بِه من دائهم لتوَجَّروا منه الدواءَ الشافي

ولَو ابتغَوا للنَشئ فيه ثقافةً لتثقَّفوا منهُ بِخيرْ ثِقافِ

فيفيض فيضُ العلم حتى يرتوي منه بنُو الأمصارِ والأريافِ

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٢٨). فالوقف أحد الوسائل المشروعة لتحقيق مقاصد الشريعة في خدمة المجتمع المسلم.

وقف الجامعات ومراكز البحث العلمي

مع تطور المجتمعات المسلمة، تطورت حركة التعليم وواكب ذلك تطور البحث العلمي، صحيح أن هذه المصطلحات جديدة، ولكن أعمالها ومهامها وتوصيفها الوظيفي في المجتمع ليس جديداً، فهذا المستوى من التعليم كان يتم في (المدارس) و(البيمارستانات) وهي

(٢٦)) ابن جبير (ت٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، د.ت، ص٢٤٨.

(٢٧)) ابن جبير، الرحلة، ص٢٥٨.

(٢٨)) متفق عليه. والصدقة الجارية عند عامة الفقهاء هي الوقف.

بالفعل تساوي الجامعات والكليات الجامعية في عصرنا الحاضر، وكانت قد تبلورت في العصر السلاجقة على يد الوزير نظام الملك (ت٤٨٥هـ) صاحب السيف والقلم[٢٩]، فأنشأ (النظاميات) في جل عواصم الدولة السلجوقية يومها وفي مقدمتها بغداد[٣٠] وما زال التعبير حتى اليوم (المدرسة النظامية) للمدارس الحديثة.

ويؤكد الباحثون في التأريخ الإسلامي أن هذا اللون من المدارس اتسع وتنوع في العهود المتلاحقة من الزنكيين، والأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين، حيث وقفوا تلك المؤسسات العلمية في كافة التخصصات الشرعية، والعربية، وفي الصيدلة، والهندسة، والطب، ومن أشهر هذه المؤسسات العلمية الوقفية أول مدرسة متخصصة بالطب، هي المدرسة الدخوارية بدمشق، لمؤسسها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار (ت٦٢٨هـ)، وكان طبيب عيون (كحالاً) وأستاذاً باحثاً بالبيمارستان النوري الكبير، وتتلمذ عليه كثير من الأطباء منهم ابن النفيس، كانت بقرب الخضراء قِبلي جامع الأموي، أوقفها في سنة ٦٢١هـ بالصاغة العتيقة، وكان أول من درّس بها واقفها، ثم من بعده بدر الدين محمد ابن القاضي بعلبك، ثم عماد الدين الدنيسري[٣١].

وما زال العالم الإسلامي ينهل معارفه من جامعات وقفية تأريخية حتى اليوم، كالقرويين في فاس[٣٢]، والأزهر الشريف في مصر، و(دار نهضة العلوم الشرعية) المعروفة بالمدرسة (الكلتاوية) بحلب. وجامعات وقفية مستحدثة كـ(كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بدبي، و(المعهد العالي لعلوم الشريعة) بباتنة في الجزائر، و(كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية) ببيروت، وجامعة إستنابول جيليشيم (Istanbul-Gelisim UNV) بتركيا، و(الجامعة الإسلامية) بهولندا، و(الكلية الأوروبية) بلندن وباريس.

وقف الكتب والمكتبات من آليات بناء المجتمع المعرفي

لم يقتصر الوقف على المساجد والمؤسسات العلمية فقط، بل توسع إلى ما يتمم التعليم ونشر الثقافة، إلى وقف الكتب والمكتبات، في زمن لم يعرف الطباعة، فكانت الحاجة ملحّة لتوفير الكتاب لجميع شرائح المجتمع، والصحيح أن الرومان كانوا سبّاقين في موضوع

(٢٩)) من وصف إمام الحرمين له في خطبة (العُباب). أنظر: تاج الدين السُبكي (ت٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربي، ب.ت، ص٤/ ٣١٤.

(٣٠)) جمال الدين الأسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم ١٤٠١هـ، ص١٨٠.

(٣١)) النعيمي (ت٩٧٨هـ)، الدارس في تأريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢/ ١٠٠.

(٣٢)) بنته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني عام ٢٤٥هـ (٨٥٩م)، وقد بدأ التدريس الجامعي فيه فور إنجاز بنائه، فجامعة القرويين أول مؤسسة علمية اخترعت الكراسي العلمية المتخصصة والدرجات العلمية في العالم. تخرج فيها علماء الغرب، منهم البابا سيلفستر الثاني Oاسمه قبل البابوية: Aurillac d›Gerbert●، الذي شغل منصب البابوية الكاثوليكية من عام ٩٩٩ إلى ١٠٠٣م، ويقال إنه هو من أدخل بعد رجوعه إلى أوروبا الأعداد العربية. كما أن موسى بن ميمون الطبيب والفيلسوف اليهودي قضى فيها بضع سنوات، قام خلالها بتدريس الطب والفلسفة Oعبد الهادي التازي، جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، الرباط، دار نشر المعرفة، ط٢، ٢٠٠٠م، ص١/ ١١٥●.

المكتبات العامّة، ولكن الوقف الإسلامي كان أوسع منهم في تيسير وصول العامة والخاصّة إلى الكتاب، من أجل نشر العلم وتشجيع الطلبة ونشر الثقافة الإسلامية في المجتمع كافة، وليس كالمكتبة تمد طلاب العلم بالمصادر والمراجع للبحث والتحقق في مواضيع دراساتهم(٣٣).

ونظرًا لما للمكتبات من أهمية ودور في نشر المعرفة، ونظراً للتكلفة العالية للورق والنسخ والمباني والصيانة والإدارة التي لم تكن بمقدور كل واحد، تصدى الوقف ليقوم بالإنفاق عليها وعلى احتياجاتها من كتب وورق وحبر ونسّاخ وموظفين إداريين وعمال نظافة، وكان المشرف على المكتبة يحصل ريع الوقف وينفقه على ما تقدم ذكره(٣٤).

وانتشرت المكتبات مع ازدهار المعارف والفنون والوفرة الاقتصادية للمجتمع الإسلامي، حتى بلغ عدد المكتبات في مشرق الوطن الإسلامي، بمدينة مرو الشاهجان في القرن السابع الهجري – على سبيل المثال – عشر مكتبات عامة تحوي مجتمعة عشرات الآلاف من النسخ في شتى المعارف والعلوم، عدا عن المكتبات الخاصة ومكتبات المساجد والمدارس، وكانت الإعارة بلا رهن(٣٥).

ولاستكمال الصورة، في الطرف الغربي للوطن الإسلامي، عُدّ في مدينة سبتة وحدها في القرن التاسع الهجري اثنان وستون خزانة (مكتبة) جمعت كتبها مما اشتهر من المراجع، منها خاصّ في دور الأكابر من العلماء والقضاة وعِلية القوم، ومنها ثمانٍ موقوف على طلاب العلم(٣٦).

وكانت المكتبات الإسلامية في عواصم مشارق الأرض ومغاربها، تفتح أبوابها لكل طالب علم وباحث، مع تأمين استنساخ الصفحات التي يحتاجها، دون مقابل(٣٧).

ومن الأوقاف المعاصرة المتعلقة بالكتب، (مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) في المدينة المنورة، تحت إشراف (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد)، حيث يقوم بطباعة المصحف الشريف بأدق الطبعات صحة، وأجملها خطاً ومظهراً، ومن أجودها تجليداً، وبعض التفاسير، وترجمات معاني القرآن الكريم بلغات العالم الإسلامي، وتبلغ طاقته الإنتاجية سنوياً ما يزيد على عشرة ملايين نسخة. وقد أنتج أكثر من ١٦٠ إصدارًا

---

(٣٣)) محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، بيروت/ دمشق، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، oأهداف المكتبة وأثرها التربوي: ص٢٢-٢٩●.

(٣٤)) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١١، ١٩٩٩م، ص١٨٣.

(٣٥)) ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط؟، ١٤٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص٥/ ١١٤.

(٣٦)) محمد بن القاسم الأنصاري السبتي (بعد ٨٢٥هـ)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢٩.

(٣٧)) يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٢.

و١٩٣ مليون نسخة. ويجري المجمع دراسات وأبحاثًا مستمرة لخدمة الكتاب والسنة(٣٨).

الاحتساب على الوقف

يقوم متولي الوقف بكل ما تحتاجه إدارة الوقف منفرداً، سواء كان واحداً أو مجموعة أمناء كمجالس اليوم، والأصل أنه مؤتمن يراقب الله في عمله وإدارته وإنفاقه بالمعروف(٣٩)، ومع ذلك جعل الفقهاء عليه رقيباً هو القاضي، إما بولايته العامة، أو بولايته الخاصة في النظر في أمور الأوقاف(٤٠). فإن لم يكن فوق تولي الوقف من يملك صلاحيات محاسبته وتضمينه وعزله إن اقتضى الأمر، لعم الفساد وأُكلت الأموال وضاعت المصالح التي من أجلها تم الوقف(٤١).

سنن وأسباب

في الكون سنن تسير عليها الظواهر والكائنات، وأسباب بتحققها تتحقق النتائج، وتُقطف، والوعي والجهل، والتقدم والتخلف، ليست سوى نتائج لجهود وأعمال يقوم بها الفرد والجماعة. ولا يشك عاقل أن الوعي والتقدم يقومان على العلم والمعرفة، وأن التخلف ابن شرعي للجهل، ينكمش بانكماشه وينتشر بانتشاره.

فليس هناك عقل متخلِّف وإنما هناك عقل جاهل، وكل فرد وجماعة ومجتمع يحمل في نفسه القابلية على النقيضين في وقت واحد، ويملك تنمية أحدِهما على الآخر. فالتقدم والتخلف مفهومان متناقضان، بينهما وبين الزمن علاقة وثيقة، فالتقدم عبود من الماضي إلى المستقبل، فيما التخلف تراجع من الحاضر إلى الماضي، والمستقبل أسير أحلام يقظة لا ترى النور.

ومعايير التقدم والتخلف ليست واحدة متفق عليها، ولكنها تتفق جميعاً على (المستوى التعليمي ومخرجاته في مجتمع من المجتمعات) وهو ما يمكن أن نطلق عليه (رأسمال المعرفة) وفي مقدمة مفرداتها:

١) نسبة التعليم والأمية(٤٢).

---

(٣٨)) موقع المجمع الإلكتروني (http://qurancomplex.gov.sa).

(٣٩)) شمس الدين الرملي (ت١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، بيروت، دار الفكر، ط؟، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٥/ ٣٩٧.

(٤٠)) الماوردي (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٩٤. الفراء (ت٤٥٨هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط؟، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٦٦.

(٤١)) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الرياض، عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣/ ٣٩٠.

(٤٢)) للاستئناس: نسبة التعلم لدى الدول المتقدمة: ٩٨,٩ ٪ ○إحصاءات ٢٠١٧م●.

٢) عدد مستخدمي شبكة الانترنت(٤٣).

٣) عدد الكتب المنشورة سنويًا(٤٤).

٤) عدد المراكز العلمية والثقافية والإصدارات العلمية والثقافية.

٥) مدى المساهمة في التطور التكنولوجي والعلمي والأبحاث العلمية(٤٥).

٦) التنمية المستدامة، خاصّة التنمية البشرية، فهي القروة الحقيقية للمجتمع الإنساني كله.

*الوقف المعاصر ما بين الشرق والغرب

- أثر الوقف الإسلامي على الغرب.
- تطور الوقف الغربي: المجالات العلمية والبحثية والثقافية وبناء الجامعات الوقفية(٤٦).
- تجارب وقفية إسلامية معاصرة.

مما لا شك فيه سبَقُ الوقف الإسلامي في تنظيماته وسياساته وميادينه للأوقاف المعاصرة في عالم الغرب، الذي اقتبس القوانين الإسلامية من خلال نقاط الاحتكاك والتعايش، وضمن قوانين التوارث الطبيعية بين الثقافات، فالوجود الإسلامي في الأندلس وصقلية وجنوب فرنسا، ثم حروب الفرنجة (المعروفة بالصليبية)، أدت إلى اطّلاع الغرب العسكري على الحضارة المدنية الإسلامية ومخرجاتها، ومن ثمّ الاستفادة منها ومن صور تطبيقها، مع تطوير الآليات بحسب الاحتياجات والتوافق مع الظروف الموضوعية.

يستخدم الفقه الإسلامي مصطلحان رئيسان في هذا الموضوع، هما (الوقف) و(الحبْس).. ويستخدم الغرب مصطلحان هما (Endowment) ويعنون به: وقف، هبة، منحة(٤٧) و(Trust) ويعنون به: وقف، ثقة، وصاية مالية، أمانة مالية، أمانة عقارية، صندوق استثماري(٤٨).

وبهذه التعاريف مجتمعة يتفق مفهوم الوقف الغربي مع مفهوم الإسلامي في:

(٤٣)) يكشف عن قوة القدرة الشرائية (امتلاك الحاسوب والاشتراك في النت) والتحكم الواسع في التكنولوجيا الحديثة، ومدى ارتفاع المستوى التعليمي وانتشار حرية التعبير.

(٤٤)) يكشف عن المستوى التعليمي والثقافي والتطور الفكري.

(٤٥)) نصيب الدول المتقدمة ٨٠ ٪ عالمياً Oإحصاءات ٢٠١٧م●.

(٤٦)) جامعة هارفرد على سبيل المثال التي تأسست عام ١٨٧٠ تمتلك اليوم أكبر حجم أوقاف عالمياً حيث بلغ ٣٦,٥ مليار دولار.

(٤٧) Cambridge dictionary: Endowment.

(٤٨) Cambridge dictionary: Trust.

١) حفظ العين للانتفاع بريعها، والاستفادة منها باستمرار.

٢) تنمية الموارد المالية لا بغاية الربح الشخصي كما في الشركات والأعمال المالية المتعارَف عليها، ولكن ليعود الريع على الغاية التي من أجلها قام الوقف أو الحبْس.

٣) تحقيق قيم التكافل الاجتماعي، في سد الثغرات التي لا تلحظْها القوانين، أو لا تجد لها موارد سواء من السلطة المركزية أو المحلية.

وتتقاطع تقديمات الوقف الغربي بتقديمات الوقف الإسلامي في ميادين كثيرة، منها: الخدمات الدينية، والصحية، والتعليمية، والإنسانية، والمرافق العامة المجتمعية، والبطالة، وحماية البيئة، وحماية الملكية الشخصية من مصادرات سلاطين الجوْر.

أما من الناحية التأريخية، فالوقف الغربي بشقه الديني فهو قديم مع ظهور الأديان والاهتمام بأماكن العبادة بناءً وإنفاقاً، عليها وعلى متطلبات إدارتها، وعلى رواتب رجال الدين، وأما الشق المدني من الوقف فمتأخر عما عرفته الحضارة الإسلامية بألف سنة، فقد ظهر (Trust) في بريطانيا عقب قانون هنري ١٥٣٦م والذي ضبط مسألة الضرائب، فتهرّب الأمراء والاقطاعيون عن دفع ضريبة انتقال أموال التوريث بالترست (Trust)(٤٩).

وبدأت جذور العمل الخيري في انجلترا عام ١٦٠١م، وتطور مع عام ١٧٣٦م حتى تبلور في عام ١٨٨٠م. وأما في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر رائدة العالم الغربي في منظمات العمل الخيري غير الحكومية فبدأ الوقف فيها بمؤسسة بنجامين فرانكلين الخيرية عام ١٧٩١م، وجيمس سميث عام ١٨٤٦م، وجود بيبودي عام ١٨٦٧م، ثم مؤسسات كارنيجي عام ١٨٩٦م، وركفلر عام ١٩٠٢م، وليكوك عام ١٩٣٠م، وفورد عام ١٩٣٦م، وجونسون عام ١٩٣٦م، ومؤسسة وقف ليلى ١٩٣٧م، ومارك آرثر عام ١٩٧٠م، وفولبرايت عام ١٩٤٦م(٥٠).

ثم توالى إنشاء المؤسسات الوقفية بسبب عدة عوامل، منها النظام الضرائبي الذي أجاز تحويل بلايين الدولارات إلى المؤسسات الوقفية وغير الربحية، فعلى سبيل المثال أوقفت (Bill & Melinda Gates Foundation) في عام ٢٠٠٠م مبلغ ٥١,٦ بليون دولار أمريكي(٥١).

أوقاف جامعة هارفارد (Harvard) نموذجاً(٥٢)

(٤٩) حسني المصري، فكرة الترست وعقد الاستثمار المشترك في القيم المنقولة، نشر المؤلف، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٩-٣٧. وبريطانيا بالمناسبة أكثر دول الغرب الأوروبي تنظيماً للوقف وللعمل الخيري، ومن خلال عمل ميداني يمكنني القول بكل ثقة أن قوانينها تكاد تتطابق مع قوانين الوقف الإسلامي والاحتساب عليه.

(٥٠) جمال برزنجي، الوقف الإسلامي وأثره في تنمية المجتمع – نماذج معاصرة لتطبيقاته في أمريكا الشمالية، بحث منشور بمجلد ندوة (نحو دور تنموي للوقف)، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٣م، ص١٤١-١٤٣.

(٥١) Bill & Melinda Gates Foundation Consolidated Financial Statements» (PDF). Bill & Melinda Gates Foundation. 2017-12-31. Retrieved 2018-10-25.

(52) www.harvard.edu/about-harvard/harvard-glance/endowment.

تمثل أوقاف جامعة هارفارد أشهر جامعة في الولايات المتحدة الأمريكية، أكبر أصول مالية في الجامعة، مصدرًا دائمًا لدعم الجامعة ورسالتها في التدريس والأبحاث العلمية. ويتكون الوقف من أكثر من ١٣٠٠٠ صندوق، تدعم أعضاء هيئة التدريس والطلاب، بما في ذلك الأستاذية والمساعدات المالية للطلاب الجامعيين، وزمالة الدراسات العليا، والحياة

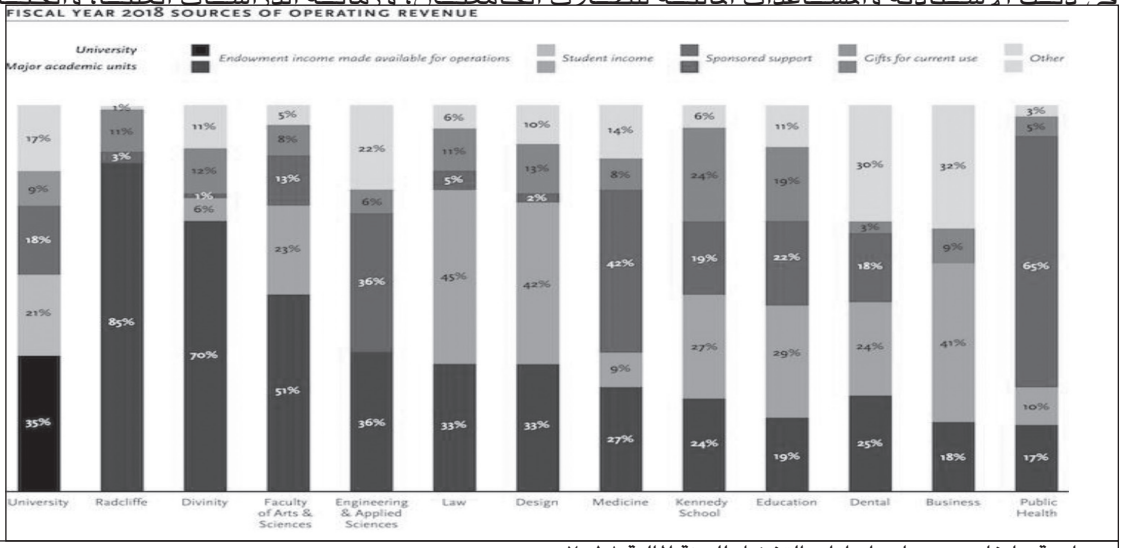

جامعة هارفارد - مصادر إيرادات التشغيل للسنة المالية ٢٠١٨م

والأنشطة الطلابية.

دعم الوقف الجامعة بـ ١,٨ مليار دولار في السنة المالية المنتهية في ٣٠ يونيو ٢٠١٨م، ساهمت في تغطية أكثر من ثلث إجمالي إيرادات التشغيل في هارفارد في ذلك العام. وتقتصر الأغلبية الساحقة من الأموال التي تشكل الوقف في جامعة هارفارد على برامج أو إدارات أو أغراض محددة (منح دراسية مخصصة)، ويجب إنفاقها وفقا للشروط التي حددها المانح. ولا يمكن إنفاق العوائد من هذه الأموال إلا لدعم الغرض المحدد للصندوق. فيما الأموال غير المقيدة، التي تمثل أقل من ٢٠ في المائة من مخصصات هارفارد، أكثر مرونة في طبيعتها وهي بالغة الأهمية في دعم نفقات التشغيل الهيكلية والمبادرات التحويلية والاستراتيجية.

وتمتلك كل كلية من الكليات الاثني عشر التابعة لجامعة هارفارد حصتها في الوقف. وفي كل عام، يُدفع جزء من إيرادات الوقف لدعم ميزانية الجامعة، ويضاف ما يفيض عن الميزانية المحددة إلى أصول الوقف لتنمو وتدعم الأجيال القادمة. ونتيجة لذلك، يوفر الوقف الأساس المالي للجامعة لأجيال قادمة.

الإعلام والتواصل الجماهيري ونشر الوعي(٥٣)

يشكل الإعلام الفضاء الأرحب في نشر الأفكار والقيم والثقافة، ومع تنوع وسائل التواصل الاجتماعي عن طريق شبكة (الانترنت) والأقنية الفضائية بانتشار الأقمار الصناعية، صار نشر الثقافة والفكر أيسر من قبل، هذا إن تجاوز المستخدم عقبات التسجيل والتصاريح القانونية، وتبقى عقدة التكلفة المالية التي ترتفع مع ارتفاع كلفة المعيشة نفسها، ولقد وجد الغرب الحل في (الوقف).

فالقناة الرابعة وصحيفة الغارديان (The Guardian) اليومية، وصحيفة الأوبزرفر (The Observer) الأسبوعية من الوسائل الإعلامية العمومية والوقفية في بريطانيا، فهي مستقلة تمامًا في تمويل نفسها وإدارة تحريرها وتوظيف كوادرها، وعدم وجود مساهمين أو ملاك أو سياسيين يؤثرون في إيراداتها ومحتواها وتوجهاتها، رغم أن التوجهات التي تسير وفقها هاتان المؤسستان قائمة على المحافظة على القيم الليبرالية، والتحديث، والابتكار، ومواكبة التغير التقني في عالم رأسمالي جشع تسيطر عليه النزعة الربحية التي تغيب معها الحقيقة أحيانًا، ويختفي الصوت الآخر أحيانًا أخرى، وتقترب من طبيعتهما التشغيلية قنوات البي بي سي (BBC) إلا أن دافعي الضرائب شركاء في سياسة الـ(BBC) ويرفضون تمويلها من الإعلانات التجارية.

فهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) مؤسسة إعلامية حكومية عامة، ولكنها لا تتلقى أي دعم من الحكومة البريطانية، بل يتم تمويلها وبشكل مباشر من المواطنين البريطانيين عبر ضريبة سنوية مفروضة على كل مواطن يمتلك جهازًا تلفاز، في حين يقتصر تدخل الحكومة على تحصيل الضرائب وتحويلها للبي بي سي، وكذلك مساءلتها في البرلمان عن خططها وسياساتها وإخفاقاتها. وبذلك تتحرر البي بي سي من أي تبعية مادية من الحكومة البريطانية؛ الأمر الذي يعفيها من الانحياز للحكومة أو أي حزب سياسي، وتضمن الاستقلالية وعدم تدخل الحكومة في سياستها التحريرية، وكذلك تحمي نفسها من سطوة المعلنين؛ إذ إنها لا تبث إعلانات تجارية في قنواتها، ومن ثم تتمتع باستقلالية تامة من الجشع الرأسمالي، وتحصل على حرية تامة مريحة في تناول القضايا، وأهمها ما يمس حياة المواطن المستهلك، وهو دافع الضرائب البريطاني؛ الأمر الذي جعل منها مؤسسة تحظى بثقة واحترام المشاهدين ليس في بريطانيا، فحسب بل حول العالم.

وهكذا القناة الرابعة (Channel 4) ملتزمة منذ تأسيسها بتقديم خدمة عامة مفيدة للبريطانيين، على أساس التنوع وقيادة الابتكار في المحتوى والتقنية، وتلتزم بتأمين برامج خاصة بالمدارس، إضافة إلى أن تكون نسبة معينة ليست قليلة من برامجها مُنتجة بالتعاون مع شركات من خارج حدود العاصمة لندن؛ من أجل دعم مؤسسات الإنتاج الصغيرة والمتوسطة التي تقع بعيدًا من عاصمة المال والاقتصاد. وتخضع للمساءلة الحكومية فقط في حال إخفاقها في تنفيذ خططها وتحقيق أهدافها، أو شكوى ضدها.

(٥٣)) تم الاعتماد في الفقرة التالية على: حبيب بن عبدالله الشمري، الوقف في وسائل الإعلام.. تجارب من بريطانيا، ٢٠١٧/٠٨/٣١م، موقع الفيصل (www.alfaisalmag.com/?p-6141).

وتنفرد الغارديان بأنها وقف خالص يعيد استثمار الأرباح في صناعة صحافة حرة ومستقلة، ومواكبة للتطور في المحتوى والتقنية، وتأهيل الشباب البريطاني في مجال الإعلام، ولما تأثرت الصحيفة مثل غيرها، بسبب الأزمات المالية، كبقية الصحف في العالم كله، إلا أنها استطاعت النهوض مرة أخرى، بسبب كونها مؤسسة وقفية احتفظت بجميع أرباحها وأصولها واستثماراتها، ولم يقتسم أرباحها مساهمون أو ملاك، وساعد ذلك القائمين عليها باستقلالية القرارات التي ساهمت في تنويع الاستثمار، وتطوير المحتوى، وبناء بنية تحتية تقنية متطورة جدًّا.

وفي الوطن العربي تجارب إعلام وقفية منها (مجموعة قنوات المجد) التي بدأت تعمل وتُموَّل منذ عام ٢٠١٢م من خلال وقف مخصص لها يقوم بتغطية نسبة كبيرة من تكاليفها، فيما يغطي المؤسسون والمتبرعون العجز الباقي.

ربما بتطوير رؤيتنا للوقف ودوره يمكننا توظيف أموال الأوقاف - وهي من أغنى المؤسسات المالية والعقارية في أوطاننا - في ميادين جديدة تخدم الأمة وتنشر الوعي فيها على امتداد الفضاء العالمي، من خلال الوقف الإعلامي، وعلى العلم والمعرفة والتوعية، على غرار ما قام به تلاميذنا الغربيون.

مؤسسات وقفية متميزة معاصرة

نشأ في العقود الأخيرة عدد من المؤسسات الوقفية التي تساهم بشكل أو آخر في نشر الوعي بدور الأوقاف الثقافي والحضاري والتنموي، كما تساهم في تحقيق المجتمع المعرفي ولو بشكل جزئي، وذلك باهتمامها بنشر الدراسات والأبحاث، وإقامة الدورات التدريبية والتنويرية ذات العلاقة بعملها، منها:

المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب(٥٤).

المعهد الدولي للوقف الإسلامي: الأردن(٥٥)

الأمانة العامة للأوقاف: الكويت(٥٦).

---

(٥٤)) جاء على صفحة المعهد الإسلامي الإلكترونية: (الرؤية والرسالة) تماشيًا مع رؤية مجموعة (البنك الإسلامي للتنمية) لعام ١٤٤٠هـ، وبرنامجها للتحول عام ١٤٣٣هـ (٢٠١٢م) شرع المعهد في تطوير خطة استراتيجية جديدة تستهدف تعزيز الأثر البالغ لقطاع الخدمات المالية الإسلامية في جميع أنحاء العالم. وأضحت الرؤية الجديدة للمعهد: «أن يكون مركز المعرفة العالمي في الاقتصاد والتمويل الإسلامي بحلول عام ١٤٤٠هـ». وفي سبيل تحقيق ذلك، تبنى المعهد رسالة من شأنها تنمية قطاع الخدمات المالية الإسلامية، ومفادها: «الاضطلاع بدور الملهم في إنجاز أحدث الأبحاث وبناء القدرات والاستشارات وخدمات المعلومات في مجال الاقتصاد والتمويل الإسلامي».

(55)) http://iiiw.info.

(٥٦)) جاء على صفحة الأمانة الإلكترونية: (الرؤية): «التميز في استثمار الوقف وصرف ريعه وتعزيز ثقافته بشراكة مجتمعية فاعلة». (الرسالة): «الدعوة للوقف وإدارة شؤونه وفق الضوابط الشرعية من خلال عمل مؤسسي متميز كأداة لتنمية المجتمع الكويتي وكنموذج يحتذى به محلياً وعالمياً». (قيم العمل): «روح الفريق. الولاء. الجودة. الثقة. الإبداع». http://ww2.awqaf.org.kw.

وقفنا: السعودية(٥٧).

صندوق الوقف الصحي: السعودية(٥٨).

المؤتمر الإسلامي للأوقاف: السعودية(٥٩).

لجنة الأوقاف بغرفة الرياض: السعودية(٦٠).

واقف خبراء الوصايا والأوقاف: السعودية(٦١).

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية: جدة(٦٢).

مجموعة الوقف الإسلامي: البحرين(٦٣).

مؤسسة محمد بن راشد المكتوم: دبي(٦٤).

مؤسسة الأوقاف وشؤون القصّر: دبي(٦٥).

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري: دبي(٦٦).

---

(57)) www.waqfuna.com.

(٥٨)) أوردت جريدة الشرق الأوسط، ع٩٤١٢، ٢٠٠٤/٠٩/٠٤م: «في خطوة تهدف إلى توسيع مجالات الوقف وعدم قصرها على مجالات محددة والاستفادة من هذه السُّنة في أعمال ومتطلبات يحتاجها الناس في هذا العصر وإسهام أجهزة الدولة في مشاريع التنمية الوطنية، سيتم اليوم السبت توقيع مذكرة اتفاق بين وزارة (الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد)، ووزارة (الصحة) في السعودية، لإنشاء (صندوق الوقف الصحي) بهدف التشجيع على فعل الخير وتقديم التبرعات الطوعية في مجال الرعاية الصحية لخدمة المرضى وتمويل البرامج والبحوث ومكافحة الأمراض وعلاجها».

(59) http://icamakkah.com.

(60)) www.awqaf.org.sa.

(61)) http://waqef.com.sa.

(٦٢)) كانت البداية عام ١٤٠٣هـ بلجنة خيرية تحوّلت بدأً من عام ١٤١٥هـ إلى مكتب للعمل الخيري حتى صدر التصريح الرسمي من وزارة الشؤون الاجتماعية ليتحول المكتب إلى مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية برأسمال ٣,٨٥ بليون دولار أمريكي، أوقف على أعمال البر والخير، تقدم المؤسسة دعمها لما يقارب ١٢٠٠ مشروع خيري في أكثر من ٦٣٠ مدينة وقرية عبر فروعها التي تغطي كافة مناطق السعودية، في المجالات التعليمية، والاجتماعية، والصحية، والدعوية، والإعلامية، وبناء المساجد (www.rf.org.sa).

(63)) www.sunniwaqf.com.

(٦٤)) تم إيقافها عام ٢٠٠٧م برأسمال يبلغ ١٠,٠٨ بليون دولار أمريكي. ووزعت عام ٢٠٠٨م مائة ألف كتاب للأطفال.

(65)) www.amaf.gov.ae.

(66)) www.iacad.gov.ae.

الأمانة العامة للأوقاف: الشارقة(٦٧).

الأسهم الوقفية: السودان(٦٨).

مؤسسة الوقف العالمية: المملكة المتحدة(٦٩).

مؤتمر الوقف: لندن(٧٠).

المؤسسات الوقفية الخيرية (سلطنة عُمان)(٧١)

وقف الديانة التركي: بأنقرة(٧٢).

*التوصيات

• إعداد كوادر لإدارة الأوقاف وفق المقاصد الشرعية (تخصيص برامج جامعية، ودورات تدريبية في إدارة الوقف وتنميته).

• القيام بأبحاث ودراسات تهتم بالاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي.

• التخطيط البعيد (الاستراتيجي) والقريب (التكتيكي).

• إحياء رسالة الوقف (برامج توعية بكل الوسائل المتاحة).

(٦٧)) جاء على صفحة الأمانة الإلكترونية: (الرؤية): هيئة متميزة رائدة في تنمية وإدارة واستثمار الأموال الوقفية بما يحافظ عليها ويحقق أعلى عائد لها مع الالتزام بالضوابط الشرعية والتوجيه الواعي للريع في المصارف التي تعزز مكانة الوقف كركن أساسي في بنيان المجتمع وتوجهه الحضاري الإسلامي. (الرسالة): ترسيخ سنة الوقف بالدعوة له وحث القادرين عليه واستثمار الأموال الوقفية بما يحافظ عليها وينميها وتوجيه ريعها لتحقيق المقاصد الشرعية للواقفين كصيغة شرعية نموذجية في خدمة المجتمع وتنميته. (الأهداف): العمل على ترسيخ سنة الوقف داخل المجتمع المحلي، وإدارة واستثمار الأموال الوقفية بالشكل الأمثل، وذلك من خلال تقديم ونشر خدمات مميزة يتم العمل على تطويرها بشكل مستمر للوصول الى رضى الواقفين والمستأجرين.

(٦٨)) منذ عام ١٩٨٩م، بدأت (هيئة الأوقاف السودانية) في استقطاب العديد من الكوادر الإدارية والفنية المؤهلة وحصرت كل الأوقاف، وقامت بتوثيقها واستعادت ما أخذ منها بالغصب ووضعت الخطط والبرامج لتنمية الأوقاف رأسيا وأفقيا.

(69)) www.alwqf.com.

(70)) www.waqfconference.com.

(٧١)) موقع وزارة الإعلام العُمانية، بتأريخ ٢٠١٧/٠٤/١٠م (omaninfo.om). دشنته (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية) بنفس التأريخ، وجاء في بيان الافتتاح: «يهدف المشروع إلى تحريك المجتمع الخيري وفاعليته عبر المؤسسات الوقفية بتقديم رؤية جديدة للأوقاف والزكاة تتناسب مع الوقت الحاضر وحاجة الناس... لتحقيق مكاسب حيوية تستلهم من الشراكة الحقيقية بين الحكومة والمواطنين، كما يأمل أن تسجل مبادرات وطنية بتأسيس مؤسسات وقفية عامة أو خاصة تعمل على تحقيق الأهداف الاستراتيجية التي تسهم في تلبية تطلعات المجتمع ومؤسساته... وأن تنتقل الأوقاف من طريقة الإدارة الفردية عبر الوكلاء إلى العمل المؤسسي المتكامل بحيث تندرج بقدر مساهمتها في واحدة من المؤسسات الوقفية الواعدة.

(72)) https://tdv.org.

• استرداد وتنمية وتطوير الأوقاف والأحباس.

• المحافظة على الأصول الوقفية، بتوثيقها وتسجيلها ومتابعتها وتشديد الرقابة على متوليها.

• تخصيص جزء من إيرادات الأوقاف لصيانة وإصلاح العقارات وتطويرها.

• السعي لتحقيق نسبة نمو مرتفعة ومطردة لموارد الوقف ليزداد دوره في أداء وظيفته، بالحرص على استيفاء حقوق الوقف من المستثمرين والمستأجرين، وتعديل الإيجارات ونسب الاستثمار لتتناسب مع مثيلاتها في السوق.

• تجديد طرق استثمار الأموال الوقفية وتنميتها باختيار أفضل الأساليب العصرية المتاحة المبنية على دراسات فقهية وقانونية، والتي تلائم طبيعة الوقف وخصوصيته، وعدم الاكتفاء بالصيغ التقليدية المقتصرة على الإيجار والاستثمار المؤقت، مع مراعاة شروط الأمان.

• الانفتاح على مصادر تمويل جديدة، والاستفادة من الإمكانات التي تتيحها صناديق التنمية الإسلامية والعربية.

• السعي إلى تحقيق تقنين يشجع القطاع الخاص على إنشاء مؤسسات وقفية أو المساهمة فيما هو قائم.

• إنشاء مؤسسات تغطي ميادين اجتماعية وثقافية وتربوية وفنية واقتصادية وصحية وبيئية.

• الاستفادة من التجارب الوقفية العالمية.

• التشبيك بين المؤسسات الوقفية.

المصادر والمراجع

كتب الحديث والآثار

١) أبو داود (السنن).

٢) أحمد (المسند).

٣) البيهقي (السنن).

٤) الطبراني (الأوسط).

٥) النَّسائي (السنن).

٦) الهيثمي (مجمع الزوائد).

كتب الفقه والسير والتاريخ

١) ابن جبير (ت٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، د.ت.

٢) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الرياض، عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣) ابن منظور، لسان العرب.

٤) ابن هشام (ت٢١٣هـ)، مختصر سيرة ابن إسحق (ت١٥١هـ)، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ .

٥) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م.

٦) أبو يوسف (ت١٨٢هـ)، الخراج، بيروت، دار المعرفة، ط؟، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧) إبراهيم الطرابلسي الحنفي (ت٩٢٢هـ)، الإسعاف في أحكام الأوقاف، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨) أحمد خلف فندي السبعاوي، الخدمات الوقفية من خلال كتاب الخطط للمقريزي، إربد، دار الكتاب الثقافي.

٩) الأزهري، تهذيب اللغة.

١٠) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١١، ١٩٩٩م.

١١) تاج الدين السُبكي (ت٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربي، ب.ت.

١٢) الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، دار صعب، ب.ت.

١٣) حبيب بن عبدالله الشمري، الوقف في وسائل الإعلام.. تجارب من بريطانيا، ٢٠١٧/٠٨/٣١م، موقع الفيصل (www.alfaisalmag.com/?p=6141).

١٤) حسني المصري، فكرة الترست وعقد الاستثمار المشترك في القيم المنقولة، نشر المؤلف، ط١، ١٩٨٥م.

١٥) جمال الدين الأسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم ١٤٠١هـ.

١٦) جمال برزنجى، الوقف الإسلامي وأثره في تنمية المجتمع – نماذج معاصرة لتطبيقاته في أمريكا الشمالية، بحث منشور بمجلد ندوة (نحو دور تنموي للوقف)، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٣م.

١٧) الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٨) شمس الدين الرملي (ت١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، بيروت، دار الفكر، ط؟، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٩) عبد الرحمن سنبط قنيتو الإربلي (ت٧١٧هـ)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق: مكي السيد جاسم، بغداد، مكتبة المثنى، ط٢، ١٩٦٤م.

٢٠) عبد الستار الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٩م.

٢١) عبد الهادي التازي، جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، الرباط، دار نشر المعرفة، ط٢، ٢٠٠٠م.

٢٢) عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، طرابلس (ليبيا)، الدار العربية للكتاب، ط٣، ١٩٨٢م.

٢٣) الفراء (ت٤٥٨هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط؟، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط.

٢٥) قاسم بن عبد الله، أنيس الفقهاء، تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء.

٢٦) الماوردي (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت،

مكتبة دار ابن قتيبة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٧) محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، القاهرة، دار الثقافة العربية للطباعة، ط٢، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٨) محمد بن القاسم الأنصاري السبتي (بعد ٨٢٥هـ)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٩) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، تأريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، جدة، مطبعة الفتح، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٣٠) محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، بيروت/ دمشق، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٣١) محمد هاشم غوشة، الأوقاف الإسلامية في القدس الشريف، تقديم: خالد أرَن، إستنابول، ٢٠٠٩م.

٣٢) ناجى معروف، تاريخ علماء المستنصرية، بغداد، مطبعة العاني، ط١، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٣٣) النسفي (ت٥٣٧هـ)، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية على ألفاظ كتب الحنفية، القاهرة، دار الطباعة العامرة، ١٣١١هـ.

٣٤) النعيمي (ت٩٧٨هـ)، الدارس في تأريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٥) ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط؟، ١٤٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٣٦) يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

In English

1) Bill & Melinda Gates Foundation Consolidated Financial Statements» (PDF). Bill & Melinda Gates Foundation. 2017-12-31. Retrieved 2018-10-25.

2) Cambridge dictionary.

3) Cristiano Castelfranchi , Six critical remarks on science and the construction of the knowledge society,

4) International School for Advanced Studies, Journal of Science Communication (ISSN 1824 – 2049 http://jcom.sissa.it).

Websites:

1) http://iiiw.info.

2) http://icamakkah.com.

3) http://qurancomplex.gov.sa (موقع مجمع القرآن الكريم الإلكتروني)

4) https://tdv.org.

5) http://waqef.com.sa.

6) http://ww2.awqaf.org.kw.

7) omaninfo.om (موقع وزارة الإعلام العُمانية)

8) www.alwqf.com.

9) www.amaf.gov.ae.

10) www.awqaf.org.sa.

11) www.harvard.edu/about-harvard/harvard-glance/endowment.

12) www.iacad.gov.ae.

13) www.rf.org.sa.

14) www.sunniwaqf.com.

15) www.waqfconference.com.

16) www.waqfuna.com.

الديانة الإبراهيمية.. عرض ونقد

Abrahamic religion.. Presentation and criticism

أ.م. وسام توفيق طافش[1]
Dr. Wissam Tawfik Tafesh

الملخص

يشكل إبراهيم (عليه السلام) الجامع المشترك بين الرسالات التوحيدية لاسيما الإسلام والنصرانية واليهودية، غير أن أطروحة (الديانة الإبراهيمية) و(البيت الإبراهيمي) التي يروج لها هذه الأيام وتروج بعض المؤسسات الحكومية والدينية، تختلف عما واجهته الرسالة المحمدية من تحديات من فجر الإسلام وحتى اليوم، فما هي هذه الدعوى؟ وما هي أهدافها المعلنة؟ ومن وراءها؟ وما هو موقف الإسلام منها؟ أسئلة يساهم هذا البحث في الإجابة عليها بشكل موضوعي وعلمي بعيدًا عن الأحكام المسبقة، معتمدًا على نصوص مطلقيها وعلى المقارنة والتحليل.

Abstract

Ibrahim (peace be upon him) constitutes the common denominator of monotheistic messages, especially Islam, Christianity and Judaism.

However, the thesis of (the Abrahamic religion) and (the Abrahamic House), which is promoted these days by some governmental and religious institutions, differs from the challenges that Islam message faced from the dawn of Islam until Today.

What is this proposal? What are its stated goals? Who is behind it? What is the position of Islam on it? Questions that this research contributes to answering objectively and scientifically, away from prejudices, based on the texts of its authors, comparison and analysis.

(١) أستاذ العقيدة والفرق بجامعة الجنان وكلية الدعوة الجامعية للدراسات الإسلامية (لبنان)
(Associate professor of faith and sects at Jinan University and University College of Islamic Studies (Lebanon

المدخل

الحمد لله منير العقول بالعلم، شارح الصدور بالفهم، جاعل النجاة للعقل من الزيغ والزلل بالتسليم للوحي، والاهتداء بأنوار القرآن والسنة النبوية، والاستنارة بفهم الصحابة وعلماء الأمة العدول الذين تلقتهم الأمة بالقبول.

وإنّ مما حذّر منه القرآن الكريم التبديل والتغيير في الدين، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1]، وقد ذمّ أقوامًا بدّلوا وغيّروا، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[2]، وامتدح المؤمنين بثباتهم فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[3]. وقد توعّد الله المرتدين عن دينه بالعذاب الشديد، فقال تعالى:﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

وقد شهد التاريخ حالات ردّة كان أبرزها ردة بني حنيفة بقيادة مسيلمة الكذّاب، وقد تصدّى لقتالهم أبو بكر رضي الله عنه، واستمرّ المسلمون يطبّقون شرع الله في قتال المرتدين مقتدين بحديث النبي ﷺ:»**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[5] حتى بتنا نرى ونسمع عن ألوان من التبديل والرّدة مغلّفة ومزخرفة بأوهام الحضارة والمحبة والسلام وغير ذلك، معتبرين أنها استجابة طبيعية لتداخل العالم المعاصر، وبناء علاقات دولية خالية من الحروب والصراعات، مثل القاديانية والبهائية والديانة الإبراهيمية التي يدعى لها اليوم.

وقد عمدت في هذا البحث إلى التعريف بفكرة الديانة الإبراهيمية، مع مقارنة ومقاربة وتلخيص موجز لأبرز ما كتب في ذلك، سائلاً ربي التوفيق للصواب، وتجنب الزيغ والزلل، فإن وفقت فمن الله تعالى، وإن كان من خلل فأسأل ربي المغفرة، والقارئ النصيحة، ويأبى الله أن تكون العصمة لغير كتابه.

مكانة إبراهيم عليه السلام

اتفقت الشرائع السماوية على مكانة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فهو في اليهودية أب لنبي الله إسحاق والد يعقوب الذي ينتسب إليه أنبياء بني إسرائيل، وفي المسيحية يمثل إبراهيم الأصل العرقي لبني إسرائيل، الذين خرج من بينهم المسيح عيسى عليه السلام من جهة أمه مريم. وأما عند المسلمين أتباع محمد ﷺ فإبراهيم أبو الأنبياء، وإلى ولده

(١) - البقرة: ٢١١.

(٢) - إبراهيم: ٢٨.

(٣) - الأحزاب: ٢٣.

(٤) - البقرة: ٢١٧.

(٥) - صحيح البخاري، المسمى الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩، باب لا يعذّب بعذاب الله، رقم ٣٠١٧، ٤/ ٦١.

الثاني إسماعيل يعود نسب النبي محمد ﷺ، بينما أنبياء بني إسرائيل ينتسبون لإبراهيم عبر ولده إسحاق.

ولقد تضمّن السرد القرآنيّ لقصته الإشارة للكثير من مزاياه وخصاله، حيث تجاوز ذكر الأحداث ليضيء على الفروق الفردية التي ميزت شخصيته، فقد وهبه الله دقة نظر ورجاحة فكر انعكسا إبداعًا في المحاججة والإقناع أعجز خصومه وأبهتهم، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦]، كما رزقه الله تعالى نفسًا مطمئنة رضيّةً، فقال تعالى في وصفه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[٧]، وقد تكرّر هذا الوصف في موضع آخر، فقال تعالى:﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[٨]، وبذلك استحق وصفًا جامعًا لخصال الخير فكان حنيفًا، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٩].

وقد زعم اليهود والنصارى أنهم أحق بإبراهيم عليه السلام، بسبب انتسابهم لإبراهيم عليه السلام، فرد القرآن ادعاءهم، حيث إن النبوة فضل من الله ومنهاج، لا ينال شرف الارتباط بها بالنسب فقط، بل بالتصديق بدين التوحيد وهو الإسلام الذي جاء به الأنبياء جميعًا، وحسن الاتباع بالعمل الصالح والسلوك المستقيم الموافق لما تضمنه منهاج النبوة. فأخبر الله تعالى أن لإبراهيم شرف ولاية يحملها من اتبع نهجه، وليس كل من جاء من نسله، أو كان من قومه، فقال تعالى:﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠]. كما أن الرسالة التي حملها إبراهيم عليه السلام هي وحي من الله تعالى، كحال التوراة والإنجيل، والله أعلم بمضمونها ومن يسير وفق نهجها، فهو الحكم ذو العلم الأوحد، قال تعالى:﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١١]. وقد نفى الله تعالى عن إبراهيم صفة اليهودية والمسيحية بالصورة التي كانت معهودة في زمن النبي محمد ﷺ، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١٢].

ولا شك أن المراد من الإسلام ذلك الدين الذي دعا لتوحيد الله عز وجل وكان عليه جميع الأنبياء، وإليه كانوا يدعون، قال ﷺ: «**وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**»[١٣]، فوصف المسلمين عام يدخل فيه كلّ منقادٍ لأمر الله

(٦)- البقرة: ٢٥٨.

(٧) - هود: ٧٥.

(٨) - التوبة :١١٤.

(٩) - البقرة: ١٣٥.

(١٠) - آل عمران: ٦٨.

(١١) - آل عمران: ٦٥-٦٦.

(١٢) - آل عمران: ٦٧- ٦٨.

(١٣) - الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي المدني، (١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،

ومستسلم للشريعة ومتبع للمنهاج الذي أتى به كل نبي لقومه، وليس خاصًّا بأتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

ظروف النشأة

تعود بداية النزاع بين أتباع المسيحية واليهودية من جهة وأتباع محمد ﷺ أو قومه لزمن البعثة، حيث كان اليهود قد ألفوا بعثة الأنبياء منهم، وكانوا يبشرون بنبي عرفوا صفاته، فلما بعث محمد بن عبد الله من نسل غير يعقوب كذبوا به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٤].

ومن هنا يظهر أن منطلق النزاع في أصله عرقي وليس عقديًّا، وبعد ذلك أصبح عقديًّا مغلفًا بثوب العرقية والقومية، إذ عمد اليهود إلى تحريف الكتب والنصارى إلى تبديل القيم والمادئ لتتوافق مع عقائدهم المستجدة، ففضحهم القرآن وبيّن كذبهم، وبطلان عقائدهم وتبديلهم لما أنزل إليهم. فقال تعالى عن قوم موسى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٥]. وقال تعالى عن قوم عيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[١٦].

ولأن للصراع وجهًا عرقيًّا خفيًّا وآخر عقديًّا ظاهرًا، كثرت المحاولات لصرف المسلمين عن دينهم، فكثرت الشبه، وزادت التحديات بأنواعها المختلفة، ووصل الأمر أحيانًا لإعلان الحرب باسم الدين، حيث تزامن انطلاق الحروب الصليبية مع الخطاب المذهبي الشهير للبابا أربان الثاني في في مجمع كليرمون الذي انعقد في فرنسا في شهر تشرين الثاني من عام ١٠٩٥م، وقد ضم ثلاثة عشر مطرانًا واثنين وثمانين أسقفًا وتسعين رئيس دير، وبابا واحدًا، وفيه أطلق البابا أوربان الثاني دعوته الشهيرة للشروع بأولى الحملات العسكرية الصليبية التي امتدت من عام ١٠٩٥م واستمرت لغاية ١١٠٢م.

وقد ترك خطاب البابا أوربان الثاني تأثيرًا قويًّا على المشاركين في المجمع، حيث وعدهم وجميع المشاركين بالحرب بتقديم الغفران الإلهي عن جميع خطاياهم، وطالبهم بحماية المسيحيين من بطش وظلم الإسلام. وقد جعل انتزاع القدس من يد المسلمين هدفًا لتلك

بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ١، باب جامع الحج، رقم ٢٤٦، ١/ ٤٣٣.

(١٤) - البقرة: ١٠١.

(١٥) - النساء: ٤٦.

(١٦) - المائدة: ١١٦-١١٧.

الحمـلات، وإخضاعهـا للكنيسـة الكاثوليكيـة، وتمكـين النصـارى مـن الحـج إليهـا . فتأجّجـت لذلـك النفـوس، وارتفعـت الحماسـة الدينيـة الغربيـة ضـدّ الـشرق.

وقـد أصبحـت فكـرة الغفـراني الإلهـي لاحقًـا اسـتراتيجية تـم اسـتخدامها في جميـع الحمـلات الصليبيـة التـي اسـتمرت قرنـين محدثـةً اضطرابًـا وصراعًـا كبيريـن بـين عالمـي المسـيحية والإسـلام، ولذلـك ارتبـط اسـم هـذه الحـرب بالصليـب والديـن المسـيحي[١٧].

وكان مـن تبعـات ذلـك الـصراع التنـازع عـلى العواصـم الدينيـة والسياسـية، والسـعي لبسـط النفـوذ الدينـي والسـياسي والعسـكري، ففتحـت عواصـم وتحـول أهلهـا لديـن الفاتحـين كالقسـطنطينية وبيـت المقـدس، واحتلـت عواصـم واحتفـظ سـكانها بدينهـم وانتمائهـم لدولتهـم، كالقـدس حـين احتلهـا النصـارى قبـل أن يحررهـا صـلاح الديـن، ليعـود اليهـود ويحتلونهـا زاعمـين أنهـا عاصمتهـم وأرض الميعـاد. إلا أنهـم عجـزوا عـن بسـط نفوذهـم الدينـي عـلى أهـل تلـك الأرض، فاسـتمر الـصراع وأخـذ يـزداد، وبقـي المسـلمون عـلى دينهـم رغـم احتـلال النصـارى للقـدس. ومثـل ذلـك عـدد لا بـأس بـه مـن أهـالي القسـطنطينية ممـن بقـي عـلى دينـه، فقد ذكـرت المصـادر أنَّ عـددًا كبـيرًا مـن العائـلات اليونانيَّـة التـي غـادرت القسـطنطينية قبـل الحصـار عـادت إليهـا، وقـد أظهـر السـلطان محمـدًا الفاتـح تسـامحًا كبـيرًا مـع المسـيحيِّين، وكان نصـارى القسـطنطينيَّة يعيشـون حياتهـم بشـكل طبيعـيٍّ بعـد الفتـح، ويقيمـون عبادتهـم بكامـل الحريـة، إضافـةً لحفاظهـم عـلى لغتهـم اليونانيَّـة[١٨].

كـما عاشـت دولـة الإسـلام في أوربـا ثمانيـة قـرون في الأندلـس، قبـل أن تسـقط مـن أيـدي المسـلمين، ويسـتقر حالهـا بشـكل عـام مـع النصـارى، رغـم وجـود عـدد قليـل مـن المسـلمين في تلـك البـلاد[١٩].

ولأن للـصراع وجهًـا عرقيًّـا وآخـر دينيًّـا، فقـد التقـى الصهاينـة مـن اليهـود ومعهـم النصـارى الذيـن يقعـون تحـت تأثيرهـم مـن ذوي النفـوذ، ولا سـيما في بريطانيـا والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، عـلى محاولـة تغيـير الانتـماء لسـكان بيـت القـدس، كي يخلـو المقـام لهـم، ولكنهـم اصطدمـوا بتمسـك المقدسـيين بدينهـم وقيمهـم، ولا سـيما المسـلمين والنصـارى وعـدد مـن الحركات اليهوديـة الرافضـين للاحتـلال والحركـة الصهيونيـة.

ولـما كان تمسـك أهـل المقـدس بدينهـم وقيمهـم مانعًـا مـن اسـتقرار الصهاينـة في فلسـطين، حيـث يجـدون الدعـم والمسـاندة مـن الشـعوب العربيـة والمسـلمة، لدافـع دينـي أو وطنـي أو

(١٧)- انظر: الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، د. قاسم عبد الله ص ٢٣ – ٢٦. و
Phillips, J. The Crusades, 1095-1204. Routledge, 1893. & Riley-Smith, J. The Oxford Illustrated History of the Crusades. OUP Oxford, 2018. &Runciman, S. A History of the Crusades Vol. I. Cambridge University Press, 1987. &Tyerman, C. God›s War. Belknap Press, 2009.

(١٨)-انظـر: تاريـخ الدولـة العليـة العثمانيـة، محمـد بـك فريـد، تحقيـق: إحسـان حقـي، بـيروت: دار النفائـس، ط١، ١٩٨١م، ص١٦٥. وحقائـق الأخبـار عـن دول البحـار، إسـماعيل سرهنـك، مـصر: مطابـع الأميريـة، بـولاق، ط١، ١٨٩٥م، ١/ ٥١١. وسـلاطين بنـي عثـمان، مـاري ملـز باتريـك، بـيروت: مؤسسـة عـز الديـن للطباعـة والنـشر، ط ١، ١٩٨٦م، ص3122. ويهـود الدولـة العثمانيـة والجمهوريـة التركيـة، سـتانفورد ج. شـو، تقديـم وتعليـق: الصفـافي أحمـد القطـوري، مـصر: دار البشـير للثقافـة والعلـوم، ط ١، ٢٠١٥، ص ٧٢.

(١٩)- انظـر: المنتظـم في تاريـخ الأمـم والملـوك، أبـو الفـرج عبـد الرحمـن بـن عـلي بـن محمـد الجـوزي، ٥٩٧هـ، تحقيـق: محمـد عبـد القـادر عطـا ومصطفـى عبـد القـادر عطـا، بـيروت: دار الكتـب العلميـة، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عـدد الأجـزاء: ١٩، ٤/ ٤٢.

إنساني، كانت فكرة البيت الإبراهيمي لتفريغ الإسلام عن مضمونه، وإبعاد الجيل الناشئ عن قيم الإسلام ومقدساته وأهمها القدس، ودعوتهم للالتقاء على عدد من القيم المشتركة بين الأديان الثلاثة بوهم المحبة والسلام.

مفهوم الفكرة ومقدّماتها:

انطلقت فكرة الديانة الإبراهيمية من كون إبراهيم عليه السلام عاملاً مشتركًا ونقطة التقاء بين الأديان الثلاثة، يجب تعزيزها ثقافيًا من خلال نشر فكرة حوار الأديان، وإعداد كوادر علمية بحثية متخصصة تعمل على استخراج المشترك الديني، وتعيد قراءة النصوص الدينية المقدسة، بدعم من مؤسسات علمية وجامعات دولية كجامعة هارفارد التي قدمت عام ٢٠٠٤م مبادرة باسم «مسار الحج الإبراهيمي» وتولتها كلية الحقوق بالجامعة، وحشدت لها مشاركة عالمية؛ باحثون، ورجال دين، وأصحاب أعمال، وعلماء اجتماع وخبراء سياحة وآخرون، والغطاء المعلن هو إحياء مسار قطعه النبي إبراهيم عليه السلام سيرًا على الأقدام؛ مارًّا بأماكن ومواقع دينية وثقافية ومعالم سياحية، قبل أكثر من أربعة آلاف سنة، وقُدِّر طول المسار المفترض بـ ١١٠٠ كلم؛ يبدأ بمحاذاة نهر الفرات، واصلاً إلى حلب فدمشق حتى الأردن والأراضي الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية وغزة والقدس ومقام إبراهيم بمدينة الخليل. ومن المتوقع أن يتم جذب الزوار والباحثين والحجاج من أنحاء العالم، وذلك لمكانة إبراهيم عليه السلام، وهو عامل توحيد لأكثر من ثلاثة مليار إنسان. فضلاً عن السياح.

أبرز الخطوات:

يمثل خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في السادس من آب ١٩٨٠م المنطلق أو الخطوة العملية الأولى لفكرة البيت الإبراهيمي، فقد كان حلمه أن يبني على أرض جبل الوادي المقدس في سيناء مجمعًا للعبادة يضم مسجدًا وكنيسة ومعبدًا. فقد جاء في خطابه:»عالمنا الان وما يدور فيه من أحداث جسام أشد ما يكون الي رمز ما يذكرنا بوحدة المصير الانساني ووحدة الرسالة السماوية، مشهدًا يجسد مفهوم الإخاء بين كافة المؤمنين بالأديان الابراهمية الثلاث».

وقد نظمت جامعة هارفارد في خريف ٢٠٠٦م رحلة على طول المسار الإبراهيمي الذي سبق ذكره؛ ضمت باحثين وصلوا الأراضي الفلسطينية في منتصف شهر ١٠ ٢٠٠٦م، واجتمعوا برجال دين وشخصيات عامة. وركز مدير المشروع «يوري آدم» على أن المبادرة تهدف لتعزيز الحوار بين الأديان السماوية الثلاثة، وترويج للتراث الثقافي بالمنطقة، وتقتفي مسار الخليل إبراهيم، وتقوي التفاهم والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وتحقق العدالة، وتصون الحقوق. مؤكدًا على نفي الطابع السياسي للمشروع؛ ومركزًا على الطابع الثقافي والمعرفي للمسار الإبراهيمي؛ المُحْتَرِم لكل الشعوب[٢٠].

وتمثل هذه المبادرة تمهيدًا لخطوة أخرى يشترك بها رجال الدين والسياسة والدبلوماسية

(٢٠) - انظر: محمد عبد الحكيم دياب، من مقال نشر في القدس العربي، بتاريخ 16 - ١٠- ٢٠٢٠م، (https://www.alquds.co.uk/%D8%B9-%D8%B5%D9%81%D9%82%D8%A9-%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A9-)

لوضع ميثاق مقدس مشترك بين هذه الأديان كبديل عن الديانات السماوية، ينهي كل أوجه الخلاف، ثم يعملون معًا لتطبيقه في اللقاءات الدينية الجامعة، والاحتكام إليه في حل الصراعات السياسية كآلية دبلوماسية غير رسمية تتمثل بتعاون رجال الدين والسياسة للتفاهم حول القضايا ذات الحساسية بعيدًا عن الأطر الرسمية المعهودة، ويشكل لقاؤهم بحد ذاته تمهيدًا رسميًّا ودينيًّا لقبول أي حل يتم التوصل له. إذ يعتبر رجال الدين القادة الروحيين الذين يمثلون مدخلاً لجذب الشعوب نحو الفكرة وزيادة المؤمنين بها، ولذلك يتم اختيارهم وفق معايير دقيقة كامتلاكهم لمهارات التأثير والسلوك القويم والسمعة الطيبة التي تكسبهم ثقة الشعوب المؤمنة.

وقد عملت الدول الراعية للفكرة والمؤسسات الدولية لإقامة المنتديات والمؤتمرات ودعم البرامج والأنشطة التي تساهم في نشر الفكرة، حيث انعقد منتدى فاس الدولي الرابع لحوار الحضارات والتنوع الثقافي في عام ٢٠١٠م، ونشطت مراكز الدبلوماسية الروحية عام ٢٠١٣م، نشر تقريرًا عنها عام ٢٠١٣م معهد «بروكينجز الدوحة» تحت عنوان «الدين والدبلوماسية». وجاء فيه أن نصف أعضاء هذه المراكز ينتمون للأديان الثلاثة، وأنّ الرؤية والرسالة لتلك المراكز تتمثّل بالسعي لتصحيح فهم النصوص الدينية فهمًا يساهم في تقبّل الآخر، زاعمين أن الفهم القائم للأديان هو مصدر للمتاعب وسبب للوقوع في أشد الصراعات[٢١].

وقد أعقب تلك الندوات والمؤتمرات دعوة كبار رجال الدين من الأديان الإبراهيمية الثلاثة، لإيجاد قيم ومفاهيم مشتركة، وتنفيذ عبادات جماعية مشتركة تحت شعار» معًا نصلي» كما رأينا عند البيت الإبراهيمي في أبو ظبي، عام ٢٠٢٠م.

إشكالية الفكرة وأدواتها:

تتلخص إشكالية الفكرة في تعارضها مع أسس الأديان الثلاثة، ولا سيما الإسلام وأصل التوحيد، حيث تقوم فكرة الديانة الإبراهيمية على التوحيد من جهة الانتساب لأبي الأنبياء إبراهيم، وتناقض أصل الدين الإسلامي وهو توحيد الخالق جل وعلا.

كما تتناقض بعنصريتها المحملة بأوزار تاريخية ودينية مع عالمية الإسلام ورحمته واحترامه للإنسانية عمومًا، وتقديسه للقيم والسلوك القويم، فالديانة الإبراهيمية تجعل القيمة للنسب، واليهود بعنصريتهم يرون أفضليتهم، ولا يرضون قيادة ولا سيادة لغيرهم.

كما أعلنت فكرة الديانة الإبراهيمية أهدافًا ذات طابع اقتصاديٍّ وخدماتي وتعليمي؛ كإيجاد فرص عمل وتطوير البنى التحتية، وشق الطرق، وصيانة وترميم الأماكن المقدسة، ونشر التراث الثقافي، ورفع مستوى التفاهم الديني والثقافي، وإزالة الموانع التي تحول دون اللقاء المباشر والحض على العلاقات الشخصية المباشرة بين أبناء الديانة الإبراهيمية، وإقامة العديد من البرامج والأنشطة الرياضية والبيئية التي تجمعهم، فضلاً عن الأنشطة

(٢١)- رابط التقرير:
(https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/06/Religion-and-Diplomacy_Arabic_Web.pdf)

الدينيـة المشـتركة ولـو بالمـكان والزمـان. وكل ذلـك مصحـوب بشـعارات إنسـانية براقـة، ومفـردات لا يمكـن لعاقـل أن يرفضهـا، كالـود، والتسـامح، وقبـول الآخـر.

ويعتـبر كل مـا ذكـر مقدمـات للبعـد الثقـافي والتعليمـي، حيـث تدعـو في حقيقتهـا إلى وحـدة الأديـان وإلغـاء الكتـب المقدسـة، وإنشـاء مؤسسـات تعليميـة تعتمـد مناهـج علميـة ومفاهيـم جديـدة تـدرس للأجيـال الصاعـدة كمـادة للديانـة الجديـدة، تسـاهم في التخلـي عـن كل الموروثـات القيميـة وقلـب المفاهيـم وتمهّـد لقبـول كل جديـد وشـاذّ، كالقبـول ببسـط دول لنفوذهـا بعـد أن كانـت دولـة معاديـة، موهمـين الجيـل الصاعـد أنّ التلاقـي والمحبّـة والسـلام بوابـة الاسـتقرار على مسـتوى الدولـة والإقليـم والعـالم، وأنّ نجـاح تجربـة الـشرق الأوسـط والتلاقـي المبـاشر مـع المحتل الصهيـوني يمثّـل خطـوة رائـدة لنجـاح الفكـرة وإثبـات دورهـا الإيجـابي الرائـد في إلغـاء العنـف.

ومـن أجـل الانطـلاق بالفكـرة إلى مرحلـة التطبيـق في الواقـع، اعتمـد أنصـار الديانـة الإبراهيمية عـلى عـدد مـن الأدوات المسـاندة والمسـاعدة، أبرزها:

١. **الأمـم المتحـدة:** حيـث تـم الربـط بـين الأفـكار التـي تقـوم عليهـا الديانـة الإبراهيميـة وأهـداف التنميـة المسـتدامة، وذلـك مثـل مكافحـة الفقـر العالمـي عـبر الحـوار الخدمـي، والسـعي للتواصـل المبـاشر وإلغـاء التمييـز، ويظهـر هنـا مـن خـلال الدمـج بـين أبنـاء الديانـات الثـلاث مـن جهـة والنصـف الآخـر العلـماني مـن جهـة أخـرى، ومـن هنـا نفهـم سـبب تخصيـص الأمـم المتحـدة والمؤسسـات التابعـة لهـا الدعـم للأنشـطة التـي ترفـع شـعار السـلام العالمي»معًـا نصلي» و»الأخـوة الإنسـانية» وغـير ذلـك.

٢. **المؤتمـرات والقمـم الدوليـة:** مثـل مؤتمـر دافـوس، الـذي حـضره مائـة مـن رجـال الديـن والشـخصيات للبحـث عـن القيـم والمفاهيـم المشـتركة التـي تقـوم عليهـا الديانـة الإبراهيميـة، وتحقيـق التقـارب بـين القيـادات الروحيـة والسياسـية، فضـلاً عـن توفـير سـبل الدعـم الممكـن للشـخصيات والمؤسسـات.

٣. **القـوى العظمـى والمعسـكر الغـربي:** ويـأتي في مقدمـة هـذه القـوى الولايـات المتحـدة التـي بـدأت بمأسسـة هـذا الفكـر داخـل مؤسسـاتها الرسـمية في عـام ٢٠١٣، حيـث تـم إنشـاء فريـق عمـل حـول الديـن والسياسـة في وزارة الخارجيـة بقـرار مـن «هيـلاري كلينتـون» يضـم ١٠٠ عضو نصفهـم رجـال ديـن مـن الديانـات الثلاثـة، يعملـون جنبًـا إلى جنـب مـع الدبلوماسـيين بالـوزارة، ولا يـزال هـذا الفريـق قائمًـا لـلآن.

٤. **الصراعـات الدينيـة بـين أنصـار الديـن الواحـد:** يسـعى دعـاة الديانـة الإبراهيميـة لإشـعال نـار الفتنـة وتأجيـج الصراعـات ذات الطابـع الديني والمذهبـي، وأهمهـا الـصراع السني-الشـيعي. إذ يعتـبر التنـازع بـين أتبـاع الديـن الواحـد دليـلاً عـلى خلو هـذا الديـن مـن التسـامح والدعـوة للحب والتحـاور، وبالتـالي فـإن أتباعـه سـينفرون منـه، وتـزداد فرصـة قبولهـم بالمشـترك الإبراهيمي.[٢٢]

(٢٢) - انظر: مقال الإبراهيمية بين التعايش والسيطرة لهاني رمضان، على الرابط:
(https://caus.org.lb/ar/%D8%A9%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%8A%D8%B4-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B7%D8%B1%D8%A9-%D9%84%D9%84%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A6%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D8%B0-%D9%87%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%B1%D9%85%D8%B6%D8%A7%D9%86/) والدبلوماسـية الروحيـة والمشـترك الإبراهيمـي لياسـمين قعيـق، عـلى رابـط صفحـة الميادين نـت:
(https://www.almayadeen.net/books/1491375/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D)

الدوافع والمبررات:

ينطلق أنصار الديانة الإبراهيمية من دوافع ومبررات، أبرزها:

-1 التخلص من حدة الصراعات والنزاعات الناتجة عن تحريض الأديان – حسب زعمهم – بين أبناء المجتمع الواحد، وذلك من خلال نبذ مواطن الاختلاف بينها، وإلغاء الخصائص الدينية وجمع الناس على مجموعة قيم وتعاليم تتفق عليها الأديان الثلاثة ضمن قالب جديد يريدونه يعرف بالدين الإبراهيمي يشكل مخرجًا للأزمة، وتنفيسًا لحدة الصراع.

-2 تحقيق الترابط بين البقاع الجغرافية ذات الصلة بإبراهيم وبنيه، في فلسطين ومحيطها كلبنان والأردن ومصر، والدعوة لتنشيط السياحة الدينية لها وإحياء المناسبات المرتبطة بها، كزيارة البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى تكليمًا، ورحلة خروج اليهود هروبًا من فرعون، ورحلة إبراهيم مع عائلته إلى مصر. كما أن موسى عاش في مصر واكتسب فيها علمًا وحكمة.

الغايات والمآلات:

تتلخص أبرز الغايات والمآلات بالآتي:

1. زرع كره خفي للأديان في نفوس الأجيال، باعتبارها مصدرًا للخصومات والصراعات والحروب.

2. نزع صفة القدسية ودرجة اليقين عن المسائل العقدية التي يدين بها أتباع محمد ﷺ المستمدة من نصوص الوحي وفق قواعد النقل، ويؤيدها العقل، وبالتالي تصبح في نفوس المؤمنين مجرد اختلاف رأي مغلف بالدِّين.

3. نسف التراث الثقافي المسلمين ولا سيما المسلمات التي تلقتها الأمة بالقبول، والدعوة لإعادة تأويل النصوص والنظر فيها، وهو أمر محفوف بالمخاطر، لأن تفسير النصوص له قواعده وضوابطه، ولا يصح أن تحركه دوافع سياسية.

4. تشجيع شعوب الدول المختلفة على القبول ببسط دول أخرى نفوذها على بلادهم، وذلك من منطلق حسن العلاقة والجوار، بعد أن كانت محفورة في الأذهان دولة معادية.

5. التمهيد لتقبل الديانة الإبراهيمية لدى الجيل الحالي، كونها الديانة العالمية، والاكتفاء

8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%AA%D8%B1%D9%83-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AE%D8%B7%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84)

بالاهتمام ببعض القيم والمفاهيم العامة المشتركة كخطوة أولى، ثم تكون الخطوة الثانية مع طمس معالم الشخصية المسلمة لدى الجيل القادم الذي سيتربى على مفاهيم وقيم الديانة الإبراهيمية وحدها، دون أن يدرك أصول العقائد وخصائص الدين الإسلامي وملامح الشخصية المسلمة التي تميز المسلمين عن غيرهم.

6. إيجاد حل ديني للمعضلات السياسية الكبرى ضمن نطاق محدود، من خلال ما يعرف بمؤتمرات حوار الأديان، التي يقصد منها إعطاء مقترحات القادة السياسيين صبغة دينية عامة بعيدة عن حقيقة الأديان السماوية الثلاث.

7. التدرج في إعلان الدين الجديد، إذ لم يبق بعد الانتهاء من إنجاز بناء مجمع الأديان الذي أطلقت عليه أبو ظبي «البيت الإبراهيمي»، إلا مرحلة الإعلان الرسمي عن الدين الجديد، ورفع راية الردة.

8. بما أن المسجد الأقصى هو محل التقاء الديانات الثلاث، فستكون السيادة في الديانة الإبراهيمية لمن يضع يده عليه، ويقع ضمن حكمه، وهم الصهاينة المحتلون من اليهود.

9. انتفاء الدافع لدى المسلمين في الدفاع عن المسجد الأقصى، إذ إنه وفق نظرة البيت الإبراهيمي أو الديانة الإبراهيمية ليس محتلاً، بل هو واقع حتمًا ضمن الحدود الجغرافية لتحالف الأديان السماوية الثلاث، وبإمكان من شاء من أفراد التحالف زيارته والدخول إليه، وأداء العبادة فيه.

10. انتفاء مفهوم العزة عند المسلمين، والقبول بهيمنة الغرب بحجة الوحدة والاتحاد، من خلال استبدال المقدسات في بلاد المسلمين بمراكز الدبلوماسية الروحية، التي ستكون مراكز إدارة العالم.

11. استبدال الكتب المقدسة بقرارات مراكز الدبلوماسية الروحية، وتدمير فكرة الحكم الإسلامي وعودته لقيادة نهضة العالم من جديد. لكونه جزءا من هذا التحالف.

الحكم الشرعي:

لقد نبّه القرآن الكريم من خلط الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٣]، وفي تفسير ذلك قال قتادة رحمه الله « لَا تَلْبِسُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ بِالإِسْلامِ، إِنَّ دِينَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَالْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بِدْعَةٌ لَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ»[٢٤].كما أن الله تعالى نهى المسلم عن التواجد في مكان يكفر به ويستهزأ به، وعقيدة النصارى قائمة على التثليث واليهود قائمة على التجسيم والتعدد وكلاهما كفر،التثليث الكفر، فقال تعالى:﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ

(٢٣) – البقرة: ٤٢.

(٢٤) – تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٣، ١٤١٩هـ، ١/٩٨.

حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٢٥].

واستنادًا لكل ما مرّ من النصوص الشرعيّة، والأسس التي بني عليها الدين الإسلامي الحنيف من تنزيه الله تعالى وإفراده بالعبادة، وما تقدم من الدوافع والمآلات، نجد التناقض واضحًا بين حقيقة الإسلام وما دعى إليه من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ونصرة الحق ومواجهة الباطل والتعاليم السلوكية التي تدعو إليها الديانة الإبراهيمية، حيث تضيع المبادئ ويسوّى بين الظالم والمظلوم.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.
٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣) إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، مصر: مطابع الأميرية، بولاق، ط١، ١٨٩٥م. البخاري (ت٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٤) ستانفورد ج. شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، تقديم وتعليق: الصفافي أحمد القطوري، مصر: دار البشير للثقافة والعلوم، ط ١، ٢٠١٥م.
٥) مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
٦) ماري ملز باتريك، سلاطين بني عثمان، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٦م.
٧) محمد بك فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، ط١، ١٩٨١م.
٨) قاسم عبد الله، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية.
٩) Phillips, J. The Crusades ,١٠٩٥-١٢٠٤. Routledge ,١٨٩٣ & Riley-Smith, J. The Oxford Illustrated History of the Crusades. OUP Oxford ,٢٠١٨. & Runciman, S. A History of the Crusades Vol. I. Cambridge University Press ,١٩٨٧& Tyerman, C. God›s War. Belknap Press ,٢٠٠٩.

المقالات

١) محمد عبد الحكيم دياب، من مقال نشر في القدس العربي، بتاريخ 16 - ١٠- ٢٠٢٠م.
٢) هاني رمضان، الإبراهيمية بين التعايش والسيطرة، (مقال): https://caus.org.lb/ar/
٣) ياسمين قعيق، الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي، على رابط صفحة الميادين نت: https://www.almayadeen.net/books/١٤٩١٣٧٥/١

(٢٥) - النساء: ١٤٠.

تصوير الإرهاب في المسلسل الدرامي الأمريكي

تحليل نقدي لسلسلة 24

The portrayal of terrorism in the American drama series:

A critical analysis of 24 series

بوتخل قميد[1]
BOUTKHIL GUEMIDE
Assistant Professor of English

الملخص

دفعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر الولايات المتحدة إلى الدخول في حقبة جديدة من المواجهة والصراع مع تهديد الإرهاب الدولي. نتيجة لذلك، تبنت الإدارة الأمريكية حربًا عالمية ضدها. ومن ناحية أخرى، كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر علامة فارقة في السينما الأمريكية، رافقت نهج الإدارة الأمريكية للتوعية بتهديد دولي قادم يحتاج إلى معالجة ورعاية على نطاق واسع. وقد أولت السينما الأمريكية اهتمامًا كبيرًا بالإرهاب وقدمت عددًا كبيرًا من الأفلام المنتجة التي تتناول قضايا الإرهاب. شكل هذا تحولاً جذرياً في صناعة السينما الأمريكية رافق السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

لذلك أنتجت السينما الأمريكية أفلاما ذات طابع يقظة وتوجيه تصور المواطنين الأمريكيين بأن هناك خطرا حقيقيا ومستمرا يجب مواجهته بشتى الوسائل. كما تهدف إلى غرس أفكار واتجاهات معينة في ظاهرة الإرهاب.

إن حقيقة أن صناعة أفلام هوليوود ركزت على إنتاج أفلام تتعلق بالإرهاب، من زوايا رؤية مختلفة، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تؤكد العلاقة بين التعرض لقضايا الإرهاب في التصوير السينمائي والتصور العام لهذه القضايا وتقييمها والسياسات التي يقترحها صناع القرار. والهدف هو خلق رأي عام يمكنه دعم حكومته وصانعي القرار في المجتمع للتعامل مع السياسات المناسبة ضد الإرهاب. جدير بالذكر أن الجانب السلبي الذي سيطر على أفلام هوليوود والمسلسلات الدرامية هو ارتباط الإرهاب الدولي بالإسلام، إذ يتم تصوير الإرهاب في الأعمال السينمائية المختلفة على أنه من أصل إسلامي، ويظهر المسلمين إرهابيين. وهذا يعطي انطباعا سيئا عن صورة الإسلام والمسلمين في الغرب.

تتناول هذه الورقة ظاهرة تصوير الإرهاب في المسلسلات الدرامية الأمريكية من خلال قراءة نقدية لمسلسل 24 الشهير. ويأخذ التحليل في الاعتبار حلقات المسلسل التي تناولت الإرهاب وكيف تم الكشف عنه وموجه إليه وكيفية حدوثه. ساهم في زيادة ظاهرة الإسلاموفوبيا في المجتمع الأمريكي.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب، دين الإسلام، المسلمون، السينما الأمريكية، سلسلة 24.

---

(١) **أستاذ اللغة الإنجليزية المساعد، جامعة محمد بوضياف - المسيلة (الجزائر).**
(University of Mohammed Boudiaf, Msila (Algeria).

Abstract:

The events of 9/11 made the US engage in a new era of confrontation, and conflict, with the threat of international terrorism. As a result, the US administration adopted a global war against it. On the other hand, 9/ 11 was a milestone in US cinema, which accompanied the US administration›s approach to sensitising an upcoming international threat that needs to be addressed and cared for extensively. The US cinema paid great attention to terrorism, and presented a large number of produced movies dealing with terrorism issues. This constituted a radical shift in the US movie making, which accompanied the US foreign policy. Therefore, US cinema produced movies with the character of alertness and directing the US citizens› perception that there is a real continuous danger that must be confronted by various means. Also, it aims to instill certain ideas and trends on the phenomenon of terrorism.

The fact that Hollywood movie making concentrated on producing movies related to terrorism different angles following 9/11 confirms the relationship between exposure to terrorism issues in cinematography and public perception and evaluation of these issues and the policies proposed by decision makers. The goal is to create a public opinion that can support its government and decision makers in society to react with appropriate policies against terrorism. It is worth to mention that the negative aspect that dominated Hollywood films and drama series is the linking of international terrorism with Islam. In its various cinematic works, terrorism is portrayed as Islamic origin, and shows Muslims as terrorists. This gives a bad impression of the image of Islam and Muslims in the West. The present paper addresses the phenomenon of portraying terrorism in US drama series through a critical reading of the famous series of 24. The analysis takes into account the episodes of the series that dealt with terrorism and how it was exposed, addressed to, and how it contributed to the increase of Islamophobia in the US society.

Résumé:

Les événements du 11 septembre ont amené les États–Unis à s›engager dans une nouvelle ère de confrontation et de conflit avec la menace du terrorisme international. En conséquence, l›administration américaine a adopté une guerre mondiale contre elle. D›autre part, le 11 septembre a été une étape importante dans le cinéma américain, qui a accompagné l›approche de l›administration américaine pour sensibiliser une menace internationale à venir qui doit être traitée et traitée de manière approfondie. Le cinéma américain a accordé une grande attention au terrorisme et a présenté un grand nombre de films produits traitant des questions de terrorisme. Cela a constitué un chan–

gement radical dans la production cinématographique américaine, qui a accompagné la politique étrangère américaine. Par conséquent, le cinéma américain a produit des films avec le caractère de la vigilance et orientant la perception des citoyens américains qu›il existe un réel danger continu auquel il faut faire face par divers moyens. En outre, il vise à inculquer certaines idées et tendances sur le phénomène du terrorisme. Le fait que la réalisation de films hollywoodiens se soit concentrée sur la production de films liés au terrorisme sous différents angles après le 11 septembre confirme la relation entre l›exposition aux problèmes de terrorisme dans la cinématographie et la perception et l›évaluation publiques de ces questions et les politiques proposées par les décideurs. Le but est de créer une opinion publique qui puisse aider son gouvernement et les décideurs de la société à réagir avec des politiques appropriées contre le terrorisme. Il convient de mentionner que l›aspect négatif qui a dominé les films et séries dramatiques hollywoodiens est le lien entre le terrorisme international et l›islam. Dans ses diverses œuvres cinématographiques, le terrorisme est dépeint comme d›origine islamique et montre les musulmans comme des terroristes. Cela donne une mauvaise impression de l›image de l›islam et des musulmans en Occident. Le présent document aborde le phénomène de la représentation du terrorisme dans les séries dramatiques américaines à travers une lecture critique de la célèbre série de 24. L›analyse prend en compte les épisodes de la série qui traitaient du terrorisme et comment il a été exposé, traité et comment il contribué à l›augmentation de l›islamophobie dans la société américaine.

Mots clés: Terrorisme; Islam; Les musulmans; Cinéma américain; Séries 24.

***

1. **INTRODUCTION:**

The Bush Doctrine, initiated after 9/11, marked a clear stand of US foreign policy towards terrorism. The War on Terror shaped both international relations and the fight for global terrorism. Following the attacks of September 11, the US engaged in the War of Afghanistan in 2001, and invaded Iraq in 2003 as a part of the 2003 National Strategy to Combat Terrorism dclared by the Bush administration as follows:

The intent of our national strategy is to stop terrorist attacks against the US, its citizens, its interests, and our friends and allies around the world and ..., to create an international environment inhospitable to terrorists and all those who support them. (p. 13)

Accordingly, the US administration in its conduct of foreign policy focused more on

the fact to retaliate for terrorism, which took center stage in national security policy and the limited– response approach gave way to a far more aggressive and expansive strategy used by the Bush administration in 2003.

As the US engaged in several wars throught its history, from WW2 to the Cold War, Vietnam and to proxy wars in Afghanistan and Latin America, Hollywood kept pace with those wars and conflicts and strated making movies as a part to protect the US hegemony. It was clear; therefore, that the filmmaking industry of Hollywood to ac–company the US in its War on Terror, which was launched by the US President George W. Bush after the attacks of September 11, 2001, against all that threatens the US national security.

Since the attackes of September 11, Hollywood sought to intensify film production on the War on Terror in order to raise propagonda and influence the American people in order to support the US government in its strategy in the global fight against terrorism. However, the movies produced linkes terrorism to Islam and portrayed Arabs and Mus–lims as terrorists, as if Islam is the original source of terrorism. By doing so, Hollywood announced the next enemy of the US: Islam.

The present paper analyzed the portrayal of terrorism in the American drama series through a critical analysis of the famous series of 24. It addressed the episodes which dealt with terrorism and how it was revealed. Finally, the paper concluded with nega–tive impacts of 24 series in dealing with the phenomenon of terrorism and its relation to Islam that continued to raise a bad image about Islam and Muslims in the US society.

2. Terrorism: Definition and character:

Terrorism, as a political phenomenon, has been associated with violence and crimes against humanity since the 80's and 90's of the 20th Century. Following the events of 9/ 11, the issue of terrorism started to attract scholars all over the world. In addition, different debates were held on the new rising phenomenon and its serious consequenc–es on individuals, societies, and states. Accordingly, these scholars, of international and criminal law, attempted define terrorism from different perspectives. Commonly agreed, whatever context in which terrorism occurs and whatever means used, it com–municates a message and its objectives go beyond damaging the state's resources.

As for defining the term 'terrorism', it is seen from Islamic perspective, both the Holy Quran and Arabic language, as fear from Almighty Allah and his punishment. i. e. Pan–ic and fear of Almighty God's punishment. As it is stated in the following verses: 'Fulfill

My covenant, and I will fulfill your covenant with you. Me, you must fear' (2: 40) ; 'they fear their Lord from above them and do as they are commanded. Allah says : ‹Do not take to yourself two gods. He is only One God ; so have awe of Me› (16: 49– 51) ; 'So We answered him, and gave him John, curing his wife (of sterility). They raced with each other in good works and called on Us out of yearning and awe, and they were humble to Us' (21: 90).

Since the attacks of 9/ 11 on US soil, there has been a blatant confusion and serious weariness between the concepts of Islam and the ones related Western culture, especially over the issue of «terrorism» as a result of clash of civilizations. As a result, some of the infamous concepts of of terrorism have been related to Islam. However, Islam, throughout history, rests a heavenly divine religion that has rejected violence and terror, and orders compassion, mercy, justice and charity, like the other divine religions before they had been distorted and changed. Allah stated in the Holy Quran the following verses: 'We have not sent you (Prophet Muhammad) except as a mercy to all the worlds' (21: 107); 'Allah orders justice, and good deeds, and giving to one›s kindred. He forbids indecency, dishonor and insolence. He admonishes you in order that you take heed'. (17: 90).

So, this is a clear fact that it stems from the essence of Islam and its ideals, and a recipe of its qualities, and a necessary attribute of its doctrine, law, ethics, principles and values, and even with life and elements of environment; such as, animals, plants, birds, whales, rivers, seas, air, forests, and with the beacons of the earth and the features of nature and its components, and they were disciplined in dealing with all of this by the rules of Islam, legal, mental and logical, so as to achieve harmony with the laws of the universe and the nature of things and instinct. Whether in their conquests, or their commercial dealings with different peoples, or when traveling all over the globe. Wherever they went, they carried with them these aspects that accompanied the spread of Islam and its appearance and sovereignty.

In addition, the sanctity of human blood is highly sacred in Islam, and Islam prohibits and condemns the killing of humans under whatever situations or conditions. It is stated in the Holy Quran the following verses: «Do not kill the soul that you have forbidden except with the truth» (17: 32); so, an assault on human soul is considred as a crime and an attack on all souls, because life is only one. In this sense, Allah said: «That was why We wrote for the Children of Israel that who ever killed a soul, except for a soul slain, or for sedition in the earth, it should be considered as though he had killed all mankind; and that who ever saved it should be regarded as though he had saved all mankind» (5 :

32). i. e. God says that if anyone kills someone unjustly, it is as if he had murdered all mankind. To murder even one person is totally opposed to the moral teaching of the Qur›an. Therefore, injustice and encroachment is forbidden in Islam not only if conducted by Muslims on Muslims, or on non–Muslims, but all sorts of people and creatures as well. This is considered as the greatest sins againts humanity in Islam.

In this context, Yahia Harun (2002) defined 'terror' as all sorts of violence committed against non– military targets for political purposes. That is, targets of terror are entirely innocent civilians whose only crime is to represent the other side. For this reason, terror means subjecting innocent people to violence, which is an act bereft of any moral justification (p. 19).

Throughout the years, various scholars have attempted to define terrorism. Studies have found more than 200 definitions of terrorism. In fact, there exit 212 different definitions of terrorism across the world; 90 of them are currently used by governments and other institutions. Below is a list of definitions of terrorism by some of the most distinguished scholars and institutions on the matter:

Bruce Hoffman	As the deliberate creation and exploitation of fear through violence or the threat of violence in the pursuit of political change. All terrorist acts involve violence or the threat of violence. Terrorism is specifically designed to have far–reaching psychological effects beyond the immediate victim(s) or object of the terrorist attack. It is meant to instil fear within, and thereby intimidate, a wider "target audience" that might include a rival ethnic or religious group, an entire country, a national government or political party, or public opinion in general. Terrorism is designed to create power where there is none or to consolidate power where there is very little. Through the publicity generated by their violence, terrorists seek to obtain the leverage, influence and power they otherwise lack to effect political change on either a local or an international scale (p. 67).
Lord Annan	Terrorism feeds off publicity : publicity is its main hope of intimidating government and the public : publicity gives it a further chance for recruitment. The acts terrorists commit are each minor incidents in their general campaign to attract attention to their cause. No democracy can tolerate terrorism because it is a denial of the democratic assumption that injustice can, in time, be put right through discussion, peaceful persuasion and compromise. By killing and destroying, the terrorists are bound to extort .(publicity—and hence one of their ends— because such news will be reported (p. 35
League of Nations Convention Definition of Terrorism	Terrorist acts are "all criminal acts directed against a State and intended or calculated to create a state of terror in the minds of particular persons or a group of persons or the .(general public. (p. 1
U.S. Department of Defense Definition of Terrorism	Terrorism refers to "the calculated use of unlawful violence or threat of unlawful violence to inculcate fear ; intended to coerce or to intimidate governments or societies in .(the pursuit of goals that are generally political, religious, or ideological. (p. 215

U.S. Department of State	Terrorism is "premeditated, politically motivated violence perpetrated against non-combatant targets by subnational groups or clandestine state agents (Rockmore, Mar-.(golis, and Marsoobian, 2005,.p. 15
FBI	Terrorism is defined as the unlawful use, or threatened use, of force or violence by a» group or individual... committed against persons or property to intimidate or coerce a government, the civilian population, or any segment thereof, in furtherance of political .(or social objectives.» (p. i
US House of Representatives Permanent Select Committee on Intelligence	Terrorism is the illegitimate, premeditated violence or threat of violence by subna-» tional groups against persons of property with the intent to coerce a government by .(installing fear amongst the populace.» (Cited in Scmid, 2004, p. 377
Arab Convention for the Suppression of Terrorism	Terrorism is "any act or threat of violence, whatever its motives or purposes, that occurs in the advancement of an individual or collective criminal agenda and seeking to sow panic among people, causing fear by harming them, or placing their lives, liberty or security in danger, or seeking to cause damage to the environment or to public or private installations or property or to occupying or seizing them, or seeking to jeopar-.dize national resources

Accordingly, over the variety of these definitions, one academic definition has been established, and has gained a wide respect among scholars and institutions worldwide. It was Shmid (1988) who defined terrorism as:

... an anxiety- inspiring method of repeated violent action, employed by ... clandestine individual, group or state actors, for idiosyncratic, criminal or political reasons, whereby- in contrast to assassination- the direct targets of violence are not the main targets. The immediate human victims of violence are generally chosen randomly ... or selectively ... from a target population, and serve as message generators. Threat- and violence- based communication processes between terrorist..., victims, and main targets are used to manipulate the main target (audience(s)), turning it into a target of terror, a target of demands, or a target of attention, depending on whether intimidation, coercion, or propaganda is primarily sought. (p. 37)

In the light of the aforementioned definitions, terrorism is clearly considered as a criminal act which consists of two fundamental elements: a material and moral. To deal with, the material element bases terrorsim on the criminal behavior, or the acts constituting it. In this context, terrorism is defined as an act, or certain actions aimed at achieving a certain goal. In this context, terrorism is characterized as: (1) use of illegal violence, (2) inclusion of terror and intimidation, and (3) this violence is coordinated, organized, and continuous.

The moral element in defining terrorism bases its definition on the fact of objectives

that are to be reached by terrorists in their actions; whetehr it be political, religious, or ideological. i. e. Terrorism is clearly seen from its ends that are to be achieved by through the use of terror, intimidation, and panic to gain political objectives. Therefore, from these two definitions, terrorist acts terrorist acts include the elemnets of: (1) illegal violence, (2) coordination, organization and continuity, (3) creating horror and panic, and (4) achieving political, religious, ideological, or racial goals.

3. The interrelationship between media and terrorism:

In its broader sense, communication is the act of transmitting information, which can be thoughts, actions, ideas, and emotions. Terrorism is a communicative act in the sense that it seeks to send a message to multiple audiences: to a government, to a wider population, to captivated audiences at home, and to their own movement/ organisation. It is notwithstanding that the phenomenon of terrorism is of much concern of both peoples and governments all over the world; for terrorism has serious impacts on the nation's security. As the acts of terrorism are inherently dramatic, they arouse strong feelings, challenge governments, and invade the lives of ordinary people, bringing death and destruction so as to destabilize countries and shock the entire world.

Terrorism is a form of illegal violence that is committed in order to provoke panic and chaos among the masses, and paves the way for tendentious rumors that raise public opinion against the existing government and it authorities to prove of their inability to protect the country's security. Media is considered as one of the main pillars of terrorism because of the fact that the terrorist's aim are: (1) how to expand the circle of public opinion, and (2) how to make his case well- known.

There exists a very interactive relationship between media and terrorism: media industry trends and patterns for media contents production head towards preference of sensation, whereas terrorist organisations can ensure themselves maximum presence in the media. Therefore, terrorist organizations are constantly trying to manipulate and exploit free media for their own purpose.

The new paradigm of terrorism is particularly manifested in the fact that terrorist organisations have recognized the importance mass media on the accomplishment of their aims: They rely on diverse set of media in order to: (1) promote their aims and objectives, (2) mislead the security services, and (3) gain control over public opinion by spreading the news of their terrorist attacks they carry out. In doing so, media campaigns that cover these terrorist operations help to achieve the objectives of terrorists.

The success of terrorist acts depends on the media coverage that accompanies it. So, any terrorist act that is not accompanied by media coverage is a failure. Terrorists may be reluctant to carry out their operations if they know in advance that they will not be accompanied by media propaganda that will expose the losses inflicted on their enemies. In this context, and taking into account the media exploitation by terrorists, Margaret Thatcher, ex– British Minister, strongly urged that Democratic nations: 'must try to find ways to starve the terrorist and the hijacker of the oxygen of publicity on which they depend.' (Apple, 1985, p. 3). Accordingly, mass media provide global reach to terrorism: It influences the way the public perceives terrorism and dangers that arise from it, political decisions used to respond to terrorism, and the relations formed through national and international politics.

The media provides a platform for terrorist movements to broadcast and amplify their message to global audiences. Without this platform, the message of terrorist movements would not reach beyond its very immediate locale and; therefore, would remain unknown to most people outside the confined boundaries of the attack. In this regard, Hoffman (2006) explained the underlying impact of this symbiosis for terrorist organisations as follows:

... Without the media's coverage, the act's impact is arguably wasted, remaining narrowly confined to the immediate victim of the attack, rather than reaching the wider 'target audience' at whom the terrorists' violence is ... aimed. (p. 174).

The terrorist's realization of his goals depends primarily on the media's response. The media convey the messages of terrorists to internal and external public opinion. The relationship between terrorism and the media is therefore complementary. The media sometimes and intentionally promote the purposes of terrorism and give it a media aura that does not deserve the benefit of both parties. On the one hand, terrorists get a wide media resonance and free publicity for their actions by spreading their words and actions and amplify their power. On the other hand, the media benefit materially because the reports published in this area and amplified and made more exciting increase the number and readers of newspapers and the number of television viewers.

This problematic relationship between terrorism and media is best expressed by Walter Laqueur, American historian, (1999) who wrote:

It has been said that journalists are terrorists' best friends, because they are willing

to give terrorist operations maximum exposure. This is not to say that journalists as a group are sympathetic to terrorists, although it may appear so. It simply means that violence is news, whereas peace and harmony are not. The terrorists need the media, and the media find in terrorism all the ingredients of an exciting story. (p. 144)

So, what is the responsibility of journalists, who supply the oxygen of publicity? Journalism that reports, analyzes, and comments upon terror faces a challenge in creating narratives that are accurate, intelligible, and socially responsible. Many of the issues journalists face also relate to wider journalism practices, especially around breaking news and conflict journalism.

This does not mean that the media is complicit with the terrorist and supports him in his actions. However, it means that the media have an active and important role in transmitting terrorist acts in a dramatic and influential manner in the public opinion, thus achieving the required media resonance with the terrorist groups that rely on the principle that defamation is the basis of the terrorist act.

A long way back, David Salzer Broder, a US well– known journalist for the Washington Post, wrote that "the essential ingredient of any effective anti–terrorist policy must be the denial to the terrorist of access to mass media outlets" (Lawrence, 2007).

David Broder called for demanding that the terrorist be denied access to the media outlets because covering media operations and interviewing terrorists is a reward for their criminal acts, allowing them to address and talk to him about the reasons and motives for doing this. Understanding these reasons at the expense of criminal action. Terrorist organizations have benefited from the modern technological revolution and have been able to adapt the media to disseminate and promote their destructive ideas and recruit young people into their ranks. Promoting terrorist rhetoric in the media is also intended to motivate social groups to adopt terrorist rhetoric.

However, media does not have to become an instrument of terrorism. Through a thoughtful approach media can, in western liberal countries, turn into a kind of weapon which can then be used as an important device in defeating terrorists, and the positive benefits certainly exceed unfavourable consequences caused by possible irresponsible actions by a part of journalists or media companies.

Since television occupies an important position in society, it has power that can change the nature of society. Therefore, the television's camera is described as the eye of truth. Television records and transmits truly the events as they happened; for it is re–

quired to provide the truth. It is the actual eye of the viewer, and as a result of all these qualities of which television is characterized, media professionals admit that television is capable of intimidating and magnificating violence.

For this reason, television is an important weapon that serves terrorists nowadays. As terrorists discovered the importance of television, their goal is to seek to use it as a platform to pass on their ideas and goals. So, the most powerful weapon in the terrorists' hands is TV cameras.

4. Terrorism in US Mass media:

Without a doubt, mass media are part of today's world, in both developed and developping countries. Newspapers and printed materials, the television, the radio, and the internet provide information which are necessary for work and daily life. Although the internet is nowadays the fastest- developing medium, yet television is still very popular and influential. With the messages sent, highlighted and given importance to, the media has the power to influence people's desires, opinions, beliefs and attitudes. Therefore, viewing and watching television programs and films creates certain stereotypes people- whether children, or adolescents, or the Young.

In this contexct, George Gerbner proposed his theory; namely, the Cultivation Theory, which is one of the core theories of Mass Media. In his theory, Gerbner and Gross (1976) asserted that people who watch television frequently are more likely to be influenced by the messages from the world of television. The influence goes to such an extent that their world view and perceptions start reflecting what they repeatedly see and hear on television. Television is, therefore, considered to contribute independently to the way people perceive social reality. i. e. repeated exposure to media over time influences perceptions of social reality (p. 183).

Nowadays, mass media have become the main driving force- or the most influential institution, through its vitality and interaction within the public space; according to Mediatization Theory. This theory seeks to dismantle the role of the growing media, given that the fact that both old and new media are constantly present within the social and cultural system which produces symbols, signs, communiques, meanings, and certain values, that are broadcasted, published, and promoted among the public (Thompson, 1995, p. 314).

The Mediatization Theory is not only limited to the extent of the influence of public political discourse; it also analyzes the various processes of societal transformation in

a comprehensive manner; and in this way media control involves the extent of pene–tration, integration, saturation, and colonization of social and cultural life by different mass media. As a result of this media penetration of the individuals' minds, the level of self–voluntary and voluntary indoctrination is strengthened. In this context, the term colonization means obstructing the ability of ordinary individuals to develop their own understanding of what is going on around them in the world, and directing their behav–ior and attitudes (Ushanova, 2015, p. 2704).

The 9/11 tragic attacks were unprecedented event in the US history. The bombings have caused a great shock to the US which led to dramatic increases in hostility and hatred towards Muslims. This anti– Muslim sentiments have been manifested in differ–ent ways, including hate crimes, discrimination, abuse, and exclusion where Muslims have become more likely to be subjected to Islamophobia in the US society: They were collectively held responsible for 9/11 terrorist attacks.

It is worth to mention that 9/ 11 has had significant repercussions in the US foreign policy that has been basically changed into an aggressive character in order to enable US to engage in fighting global terrorism. In fact, the US media has played a significant role in reshaping the US foreign policy after 9/11 where it has exploited the incident in order to promote neo– conservative ideas and principles. In addition, it has advocated the global war on terrorism that required the militarization of the US foreign policy. Also, it has reinforced the idea of Islam as a serious threat to the US. i. e. Fear of the Green Menace (green being the color of Islam).

In the post 9/11 era, terrorism has been associated with Islam and Muslims as ter–rorists, in a crucial point in the account of negative US media portrayal. Various televi–sion movies, drama serials, talk– shows, cartoons and news coverage illustrate Muslims as ill– mannered, anti– modern, anti–democratic, and gunmen, extremists, aggressive, barbarous, and anti– western. Muslims were recognized as the 'other' enemy to be seri–ously addressed to. The US media links most repeatedly terrorism to Arabs, or Muslims, and; thus, have been stereotyped as terrorists (Nurullah, 2010. p. 1023).

A recent research has been conducted by Kearns, Betus, and Lemieux (2019), taking into account terrorism data base. The researchers surveyed and studied 136 terrorist incidents which took place in the US in the period (2006– 2015). The analyzed news coverage of these incidents in the US media. The researchers found that all the 136 terrorism incidents were covered in 26 news articles. However, the distribution was highly skewed. Over one quarter of the incidents received no coverage from the sourc–es that had been searched while other attacks received disproportionate coverage. In

this dataset, Muslims perpetrated 12.5% of the attacks yet received 50.4% of the news coverage. The perpetrator was arrested in 47.1% of the incidents. Attacks perpetrated by Non– Muslims and Non– Arabs and which targeted law enforcement, or government rated 87.5% (pp. 14– 5).

From the study above, we conclude the followings:

• There is an organized media and political campaign that intentionally distors the image of Arabs and Muslims, and portrays Islam and Muslims as the primary source of terrorism and the greatest terrorist threat to the US,

• The US media in the context of this campaign intentionally misleads the American public and forgers its awareness regarding terrorist incidents perpetrated inside the US,

• As a matter of fact, this means that there is a direct incitement to target Arabs and Muslims both inside and outside the US which leads dierctly to the rise of hatred crimes and islamophobia in the US society,

• The US media deliberately cover up the people and groups responsible for the vast majority of the terrorist incidents in the US. Obviously, the media intentionally ignores the essence of the real reasons behind these terrorist attacks and does not open any substantive debate about them,

• The disproportionate coverage by the US media shows that that there is a greater fear of Islamic terrorism among the general public in the US, than any other type of terrorism that it is perpetrated by non– Muslims. Also, this disproportionate media coverage contributes to create a pattern of thinking that leads to individuals' fear of attacks related to Islam more than others.

5. The role of Hollywood in promoting Islamic terrorism:

As a matter of fact, cinema is the most dangerous means of mass communication; it plays a dangerous role in shaping the mental and emotional image of Western citizens about Islam and Muslims. The media is the world's most important and dangerous tool, which turns the black into white, and evil into a hero. Western powers and the media are playing a double standard strategy: Linking Islam to terrorism.

The US political ideology is often based on the mass media empire for making certain stereotypes for the purpose of controlling and influencing the internal and external

worlds. Since the US political ideology had changed since the WW2, it was obligatory for Hollywood, which is the kingdom of cinematographic production in the US, to change its compass according to the changes that occured in the US ideology. During WWII, the German Nazis were portrayed as a serious threat to the world. During the Cold War, Communism was portrayed as a permanent threat to the capitalist and liberal world. However, after 9/ 11, hundreds of movies were produced in Hollywood which portrayed Islam as the first and eternal enemy of the US. Also, Arabs and Muslims were portrayed as barbarians who engaged in terrorist acts in the name of Islam.

In his published book, entitled Arab and Muslim Stereotyping in American Popular Culture, Jack Shaheen (1997) highlighted that Hollywood exhibited between 15 and 20 films per week in the period (1986– 1995); which were all mocking about Muslims and Arabs. Also, he pointed out that movies in the 1920s portayed Arab Muslims as a savage slave traders. In the 1970s, tey were portrayed oil producers, and since the 1990's they has become presented as terrorists who pray before killing innocents. Nowadays, Arabs and Muslims are prortrayed in the US movie making as brazen, wicked, uncivilized, kidnapping western women, aiming to destroy the world's economy, and planning to destroy both the US and Israel (pp. 32– 2).

Within this context, Shaheen (2012) analyzed his book, Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People, how Hollywood movies portrayed Arabs in the period (1886– 2001). In his analysis, he presented the real Arab image and how it contradicted with stereotypes developed by US movie makers that intended to misrepresent and distort that image (p. 251).

It is worth to mention that Hollywood engaged together with the US administration in the War on Terror through several movies produced after 9/ 11 in order to announce that the US has enetred a global war against terror and states' soponsorship of terrorism. However, Hollywood created from Islam the new enemy in the War on Terror. Movies; such as, Black Sundy, Munich, Traitor, Syrianna, Body of Lies, and the Kingdom portrayed Muslims as terrorists, and; thus, subjected to the War on Terror.

6.Terrorism in American drama: Analyzing 24 Series:

5.1– Synopsis:

24 is an American action drama television series created by Joel Surnow and Robert Cochran for Fox. In the series, Kiefer Sutherland acts as a counter–terrorist agent Jack Bauer. Each season, comprising 24 episodes, covers 24 hours in Bauer's life using

the real time method of narration.

The series begins with Bauer working for the Los Angeles– based Counter Terrorist Unit, in which he is a highly proficient agent with the aim justfies the means approach, regardless of the perceived morality of some of his actions (Smith, 2010).

Throughout the series most of the main plot elements unfold like a political thriller. A typical plot has Bauer racing against the clock as he attempts to thwart multiple terrorist plots, WMD, detonations, bioterrorism, cyber attacks, as well as conspiracies that deal with government and corporate corruption (Lundegaard, 2006). Each episode typical–ly follows Bauer, officials in the US government, and the conspirators behind the events of the day, often simultaneously. 24 is known for employing plot twists which may arise as antagonists adapt, objectives evolve or larger– scale operations unfold. Stories also involve interpersonal drama, delving into the private lives of the characters. As part of a recurring theme, characters are frequently confronted with ethical dilemmas (Paskin,2014).

Genre	• Serial Drama, Crime Thriller, Espionage, Action
Executive Producers	• Joel Surnow, Robert Cochran, Brian Grazer, Howard Gordon, Evan Katz, Kiefer Sutherland, Jon Cassar, Manny Coto, David Fury, Brad Turner, Brannon Braga, Alex Gansa, Chip Johannessen, Tony Krantz, Brian Grazer
Composer	Sean Callery
Starring	Kiefer Sutherland, Leslie Hope, Sarah Clarke, Elisha Cuthbert, Dennis Hays–bert, Sarah Wynter, Xander Berkeley, Penny Johnson Jerald, Carlos Bernard, Reiko Aylesworth, James Badge Dale, Kim Raver, Alberta Watson, William Devane, Lana Parrilla, Roger Cross, Mary Lynn Rajskub, Gregory Itzin, James Morrison, Louis Lom–bardi, Jean Smart, D. B. Woodside, Peter MacNicol, Jayne Atkinson, Carlo Rota, Eric Balfour, Marisol Nichols, Regina King, Cherry Jones, Annie Wersching, Colm Feore, Bob Gunton, Jeffrey Nordling, Rhys Coiro, Janeane Garofalo, Anil Kapoor, My–kelti Williamson, Katee Sackhoff, Chris Diamantopoulos, John Boyd, Freddie Prinze, Jr., Yvonne Strahovski, Tate Donovan, Gbenga Akinnagbe, Giles Matthey, Michael Wincott, Benjamin Bratt.
Production companies	Imagine Television, Real Time Productions, Teakwood Lane Productions, 20th Century Fox Television
Distributor	20th Century Fox Television
Original release	November 6, 2001– May 24, 2010
Number of series	9
Number of episodes	204
Running time	.(minutes (per episode) (8976 minutes, all episodes 44
Language	English
Country of release	USA

Table N°1. Overview of 24 (Source: Tobey (2013). Data in the table arranged by the researchers).

5.2– Critical Analysis of 24 Series:

24 series revolve around Jack Bauer, an FBI agent, who possesses the skills and ex–pertise that rank him as an elite in the field of operations in Counter Terrorism Unit (CTU), and accordingly is assigned by his leaders a number of very dangerous and complex tasks, which require thwarting a number of terrorist attacks, provided that the task is fully accomplished in only one day (24 hours).

The series follows a destinguished, unique style of narration: each season is divided into twenty– four episodes, and each episodes displays events of one–time clock, which puts the viewer at the heart of events and makes him follow the events of every minute.

Objectively, viewing the series drove us to discover one major fact: Since the US acts as a global power nowadays, it is subjeceted to several threats in the age globalization. Therefore, all sectors of the US government have to be mobilized and work together in order to eliminate the threasts.

Although 24 series achieved a great success and recorded high viewership rate in mosat parts of the world, including Arab countries and the Middle East, and its creators and actors had won many awards, there were; however, some critics related to the is–sues of linking Islam to terrorism, and portraying Muslims as terrorists in seasons two, four, six, and eight. In fact, the aforementioned elements are the subject of the analysis of the present paper.

- **Depicting Muslims as terrorists:**

Unfortunately, 24 depicts Muslims as terrorists. In the first episode of Season 2, the US administration had been dealing with a serious nuclear attack: a nuclear bomb which was to explode in Los Angeles, California. The suspect behind was Mhmud Rash–eed Fahim, A Middle Eastern suicide bomber, who entered yhe US as an immigrant was suspected to lead the attack on the US soil. The scene depicted that Arab, or Muslim immigrants to the US are terrorists who are driven by grudge and hatred to organize terrorist attacks in the US. In reaction, there is an indirect call to US officials to aban–don the DV Lottery Program because it is used mosly Muslim terrorists to get into the US and use their agendas to plan terrorist attacks against the US citizens.

Another scene in Season 2 depicted a conversation between the US President and

a Middle Eastern Prime Minister. At the end of the coversation, the Prime Minister admitted that 'You have created an enemy of over one third of the world's population'. This; in fact, is clear since the US considered terrorism as evil which comes from the Muslim world, especially Arab Middle Eastern countries. So, the US has the right to destroy this part of the world which threatens the US security. The US ; thus, represents the light and most civilzed world, and the Musilm Arab world is dark, savage, and brutal, the US has the right to invade them and convert them to Christianity. The War on Terror that the US had initiated was two fold objectives: fighting terrorism and ending Musils and Islam's hegemony.

In season 2, another scene depicted how Muslim terrorists are brutal and savage. Sayeed Ali, a Middle Eastern terrorist, was reposnsible for preparing to launch the attack on the US through detonating a nuclear bomb in Los Angeles. After capturing a US young woman, he ordered her tortue and execution, telling his associate 'I'll go to pray and you kill her.' This is a justification of the Musilm terrorists interpreting Islam according to their personal purposes. The CTU officers headed by Jack Bauer entered the mosque after prayer was over depicted how US troops do not respect Musilm's religious worship places. This; in fact, has been usually repeated and done in many parts of the world where extremists entered mosuqes in New Zealand, UK, and Canada and shot fire on Muslims while praying.

In addition, Jack Bauer already used harsh measures to torture Sayeed Ali in order to extract vital information about the nuclear bomb which would explode in Los Angeles. He arrested his family and killed his two sons. This scene shows the principal that the US takes into account when dealing with terrorism and counter insurgency: Only counter force with force. The US had conducted the same means of torture in Abu Ghrib prison in Iraq.

- **The Muslim Community in the US: A threat to US National Security:**

In season 4, the events dipicted a new nuclear threat that threatened the US soil by a Middle Eastern terrorist group led by Habib Marwan. The terrorists were supplied by an override device to detonate nuclear bombs in the US. However, throughtout the first episodes, the Muslim community in the US had been depicted as aiding the terrorists who attepmted to destroy the US with terrorist attacks. Azay family composed of father, mother, and son helped the Habib Marwan, the leading terrorist, to possess the override in order to proceed with the attack. This clearly portryas the Muslim community in the US as a threat to the US security. Accordingly, It calls for expelling Muslim

Americans because they are supporting terrorists and acting as spies. Within this context, it is worth to mention that US President Donald Trump has issued an act in which suspended immigrants from seven Arab and Islamic countries to visit the US.

- **The Clash of Civilizations: The US Vs. Russia, China, and the Arab Muslims:**

Season 6 depicted the US has been targeted in a series of suicide bombings. A Middle Eastern terrorist; namely, Abu Fayed agreed to give the U.S. the location of Hamri Al-Assad, the supposed terrorist mastermind of these attacks, in exchange for former CTU Agent Jack Bauer with whom he has a personal grudge.

The opening scene involved an innocent Muslim- American walking through Los Angeles while receiving suspicious and worried looks from White- American passerby. The Muslim-American is denied a seat on a city bus, which is subsequently bombed by an actual Muslim terrorist on board. Inside President Wayne Palmer's Cabinet, a fierce debate is featured between the Republican Chief of Staff Tom Lennox and the Democratic National Security Advisor Karen Hayes over the creation of Muslim detention facilities, which Hayes believed were «nothing more than concentration camps».

This racial witch hunt also includes the wrongful arrest of the Director of the Islamic-American Alliance, who is eventually brought to the Muslim Detention Facilities. Another storyline revolves around main character and Muslim-American CTU Agent Nadia Yassir being racially profiled by Homeland Security. Nadia is later wrongfully tortured by the Counter-Terrorist-Unit.

Musilms, Russians, and Chinese are portrayed, in Season 6, as potential threats to US National Security. The Nulear bombs, which were to explode in the US soil, were in the hands of Arab Muslim terrorists, the events depicted that they engaged in an overall consiracy held Russians and Chinese who attempted to destroy the US. This; in fact, indicated a major alliance that would take place in the future between Chinse civilization, Islamic civilization, and the Russians against the Western civilization led by the US. This belief stated in story events of the sixth season relied on Samuel Hutington's Clash of Civilization Theory.

- **Muslims are Naive and used as Puppets:**

In the last season, Season 8, of the 24 series, Muslims were dipicted as puppets used by the Russian antagonists. As the season is set in New York City, the story arc involves Jack Bauer contending with assassination threats made during a peace

conference between President of the US Allison Taylor and President Omar Hassan of the fictional Islamic Republic of Kamistan (IRK). i. e. Fictional to the Islamic Republic of Iran that could reach co– habition with the US in the future.

In the storyline events, CTU pursues Hassan›s brother who is working with the Russian mafia to have nuclear rods transported to his home country. In addition, Multiple government agencies pursue Kamistani terrorists who kill Farhad Hassan and attempt to strike at America directly. Jack Bauer wages a one–man war against the members of the Russian government who are responsible for the conspiracy after Allison Taylor refuses to do anything that could jeopardize the treaty.

The season's events depict Muslims, whether Iranians or Arabs, are totally naive and used as puppets to serve either Russian or Chinese agandas in their attempts to destroy the US. In fact, it depicted that the US had entered the Cold War against both China and the reviving power of Russia and the Arab Muslims are used as puppets.

7. Conclusion:

The present paper highlighted the depiction of terrorism in American drama through a critical analysis of the famous series 24. Althgouh series had been famous both inside and outside the US, it did not contribute positively in portraying terrorism objectively. i. e. It followed the same path of pervious Hollywood movies in linking terrorism to Islam.

Like other Hollywood movies, the series depicted that the American culture had been globalized, and everyone aspires to become like Americans. Therefore, the US had been trying to model the overall world according to its liberal values. The War on Terror had been engaged to eliminate the threat of Islam in order to reach total Amer–icanization and liberalization of theworld.

The fact that believing Islam is essentially a religion which supports violence will not help in understanding this religion. Rather, it unleashes the mind of racist thinking. Moreover, foreigners, especially Muslims, will be subejcted to arbitrary arrest, suspi–cion and discrimination.

References:

☐ Apple, Jr. R. W. (July 16, 1985,). 'Thatcher urges the press to

help starve terrorists'. The New York Times. p. 3. Available at: https://www.nytimes.com/198516/07//world/thatcher- urges-the-press-to-help- starve-terrorists.html

'Arab Convention for the Suppression of Terrorism.' (1998). Arab Convention on Terrorism. Cairo: Council of Arab Ministers of the Interior and the Council of Arab Ministers of Justice.

Available at: http://www.madcour.com/LawsDocuments/

LDOC-44635278203054882024-.pdf

Central Intelligence Agency (CIA). (2003). National Strategy for Combating Terrorism. Available at: https://www.cia.gov/ news- information/cia-the-war-on-terrorism/Counter_

terrorism_Strategy.pdf

'Convetion for the prevention and punishment of terrorism, 19'. (1937). League of Nations. O. J. 23. League of Nations Docs. C.546(I). M.383(I). 1937. V (1938).

Federal Bureau of Investigation (F. B. I.). (1998). Terrorism in the United States in Counterterrorism Threat Assessment and Warning Unit. National Security Division. Washington DC: US Department of Justice.

Gerbner, G., & Gross, L. (1976). Living with television: The violence profile. Journal of Communication, 26(2), pp. 182- 190. DOI: 10.1111/j.1460-2466.1976.tb01397.

Harun, Y. (2002). Islam Denounces Terrorism. (1st Ed.). Istanbul: ARASTIRMA PUBLISHING Hoffman, B. (2006). Inside Terrorism (2nd Ed.), NY: Columbia University Press.

Kearns, E., M., Allison E. Betus & Anthony F. Lemieux. (2019): 'Why Do Some Terrorist Attacks Receive More Media Attention Than Others? Justice Quarterly, DOI: 10.1080/07418825.2018.1524507.

Laqueur, W. (1999). The New Terrorism: Fanaticism and the Arms of Mass Destruction. NY: OUP.

Lawrence, M. (2007). 'Media complicity in the age of terror'. The Globe and Mail. Available at: https://www.theglobeandmail.com/news/world/ media-complicity-in-the-age-of-terror/article20399216/

Lord, A. (2007). (Ed.). Report of the Committee on the Future of Broadcasting. London: HMSO.

Lundegaard, E. (January 8, 2006). "The Manchurian movie— Who took the politics out of the political thriller?"

MSNBC.com. Available at: https://today.msnbc.msn.

com/id/7547900/ns/todayentertainment/t/manchurian- movie/

Nurllah, Abu- Sadat. (2010). «Portrayal of Muslims in media, '24› and otherning.» International Journal of Human Sciences. 7. pp. 1023- 5.

Office of the Chairman of the Joint Chiefs of Staff. (2019). DOD Dictionary of Military and Associated Terms. Washington DC: The Joint Staff.

Paskin, W. (May 5, 2014). «Another 24 Hours». Slate. Available at: https://slate.com/culture/2014/05/new-24-miniseries- live-another-day-starring-kiefer-sutherland-reviewed.html

Rockmore, T. Joseph Margolis, & Armen Marsoobian. (2005).

The philosophical challenge of September 11: Metaphilosophy. NJ: Wiley-Blackwell.

Schmid, A. & J. de Graaf (1982). Violence as Communication. Beverly Hills: Sage.

Schmid, A. (2004). Terrorism: The Definitional Problem. 36 Case W. Res. J. Int›l L. 375. Available at: https://scholarlycommons.law.case.edu/jil/vol36/iss2/8

Shaheen, J. G. (1997). Arab and Muslim Stereotyping in American Popular Culture. Georgetown University,

Washignton DC: Center for Muslim- Christian Understanding.

Shaheen, J. G. (2012). Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People. 3rd Ed. MA: Olive Branch Press.

Smith, P. (January 21, 2010). «24: five ways Jack Bauer has changed television.» The Telegraph. Available at: https://www.telegraph.co.uk/culture/tvandradio/ 704642424-/five-ways-Jack-Bauer-has-television.html

Thompson, J. B. (1995). The Media and Modernity: A Social Theory of the Media. Cambridge: Polity Press.

Tobey, M. (Nov. 2013). '24 (TV Series)'. AllMovie. Com.

Available at: https://www.allmovie.com/movie/24-tv-series- v257810

US Department of State. (1996). Patterns of global terrorism: 1995. Washington D. C.: US Department of State.

Ushanova. I. A. (2015). 'Mediatization of Communication: From Concept to Theory'. Journal of Siberian Federal University.

Humanities & Social Sciences. 11 (8). pp. 2703-2712. DOI: 10.17516/1997-1370-2015-8-11-2703-2712

جودة الحياة المدرسية وعلاقتها بأنماط التسيير الإداري بالمدارس الثانوية في الجزائر.

Quality of school life and its relationship to the management patterns of secondary schools in Algeria

بلغول عائشة عبد الله صحراوي
طالبة دكتوراه أستاذ محاضر
جامعة محمد لمين دباغين –سطيف٢- جامعة محمد لمين دباغين –سطيف٢-

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى تبيَان مستوى جودة الحياة المدرسية ومدى ارتباطها بأنماط التسيير الإداري واعتمدت في هذا على آراء الفاعلين الأساسيين في البيئة المدرسية (أساتذة _ تلاميذ). ولتحقيق هدف الدراسة تم صياغة فرضيتين وهذا لمعرفة الإرتباط بين جودة الحياة المدرسية ونمط التسيير الإداري (الديمقراطي – الأوتوقراطي). واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واشتملت العينة على ٢٥٥ فردا قسمت بين (١١٢) أساتذة و (١٤٣) تلاميذ من ثانويات بلدية العلمة ـ سطيف. واعتمد الدراسة على استبيانين لقياس جودة الحياة المدرسية من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ واستبيانا ثالثا لقياس أنماط التسيير الإداري وقد استخدمت الدراسة الحزمة الإحصائية الجاهزة SPSS لمعالجة البيانات باستخدام معامل الإرتباط سبيرمان للرتب. وتبين من خلال النتائج المتوصل إليها أن أنسب الأنماط لتحقيق جودة الحياة المدرسية هو النمط الديمقراطي، وهذا من خلال نتائج الفرضيات الإرتباطية.

الكلمات المفتاحية: جودة الحياة المدرسي، التسيير الإداري، التعليم الثانوي، الجودة.

Abstract :

The current study aimed to clarify the level of quality of school life and the extent of its relation to administrative management patterns. It relied on the opinions of the main actors in the school environment (teachers - students). To achieve its aim, two correlational hypotheses were formulated between the quality of school life and the administrative style of management (democratic - autocratic). It adopted a descriptive analytical approach, and the sample included 255 individuals, divided between (112) teachers and (143) students from the secondary schools of the municipality of El-Eulma, Setif. Two questionnaires were used to measure the quality of school life from the point of view of teachers and students, and a third questionnaire to measure administrative management patterns. The results showed that the most appropriate pattern to achieve the quality of school life is the democratic pattern.

Keywords: quality of school life, administrative management, secondary education, quality.

إشكالية الدراسة:

يعيش العالم تطورا هائلا في جمع المجالات العلمية التي امتدت إلى مختلف مناحي الحياة ولاسيما مجال التربية والتعليم، حيث أخذ دور المدرسة يتطور تبعا للتطورات العالمية المختلفة فلم يعد دورها مقتصرا على تلقين المعلومات والمعارف، بل تجاوز ذلك إلى الاهتمام بتنمية الجوانب المختلفة في شخصية الفرد ليصبح قادرا على التعلم والبحث والإبتكار والإبداع، كما تسعى المدرسة الحديثة إلى تحقيق النمو المتكامل لشخصية المتعلم: معرفيا، ووجدانيا، ومهاريا...

ليصل التعليم إلى المستوى المطلوب من الجودة والتميز وجب أن تتوفر له مجموعة من العناصر اللازمة بدءا من المباني المدرسية ومرافقها، المناهج الدراسية وتطويرها، المعلم وإعداده والإدارة المدرسية وتحديثها وكل هذا ليتناسب مع متطلبات العصر ويتماشى مع التطورات الحاصلة على الصعيد العالمي.

إن الحياة المدرسية الغنية بالمصادر التعليمية و فرص اكتشاف ما لدى الطلبة من استعدادات واهتمامات بمثابة البنية التحتية للبرامج المدرسية التي تهدف إلى تنمية التفكير و الإبداع، إذ أن دور المدرسة لم يعد ينحصر على نقل المعلومات للتلميذ ، بل تجاوزه لأبعد من ذلك إلى جملة من المهارات و الخبرات الحياتية ، ولن يتحقق هذا الدور إلا من خلال مدرسة تتسم بمناخ نشاطي متنوع ، معرفيا و ثقافيا و اجتماعيا... و كلما كانت هذه البيئة المتحركة تنبض بالحياة كلما جعلت للمدرسة حياة أخرى يحياها التلميذ، تفتح أمامه آفاقا مختلفة و متنوعة تمكنه من إشباع حاجاته النفسية والوجدانية ، بحيث تشكل هذه البيئة حافزا ينظر إليه من حيث إثارة و تشويق المتعلم وبالتالي يحفزه على حب التعلم.

فالحياة المدرسية تمثل أحد المكونات الأساسية لمفهوم الإبداع والموهبة إذ من الأهمية بمكان أن نميز بين البيئة المدرسية الغنية بالمثيرات والمنفتحة على الخبرات والتحديات الخارجية المعاصرة، وبين بيئة مدرسية فقيرة ومغلقة لا ترحب بالتجديد والتغيير الذي قد يكون طوعيا أو مفروضا من الخارج. إذ تعد هذه البيئة أحد أسباب التسرب المدرسي حيث أشارت دراسة «**سعد الهميم**» إلى عدد من الأسباب، حيث اعتبر المدرسة وبيئتها من بين الأسباب الرئيسية في نفور التلاميذ منها، حيث أورد فيها الأسباب التالية: الأهداف التعليمية وعدم وضوحها والعمل على تحقيقها، المناهج الدراسية وعدم ارتباطها ببيئة الطالب وعدم تلبيتها لحاجاته أو مراعاتها لميوله، المعلمين وعدم قدرة البعض منهم على فهم مشاكل الطلاب التعليمية والتعامل معها بطريقة صحيحة. (الهميم،٢٠١٠، ص٣٠)

وتبرز إدارة المدرسة الثانوية كعنصر هام من عناصر الحياة المدرسية فهي المسؤولة عن تنفيذ السياسات والبرامج التعليمية وترجمة الأهداف إلى واقع ملموس، ومن أجل تحقيق هذه الأخيرة يجب أن تكون إدارة المدرسة على مستوى عال من الكفاءة في معالجة كافة المشكلات الإدارية والفنية، بأسلوب يعتمد على التفكير والتحليل والعمل على توطيد العلاقات الإنسانية بين جميع العاملين.

فالتسيير الإداري في المؤسسات التعليمية يتميز بالفعالية المستمرة كما أن له تأثير كبير على السير الحسن للعملية التعليمية، إذ يرتبط نجاحها أو فشلها بنوع النمط الذي يتبعه مدير المدرسة مع المعلمين والعاملين كافة، حيث تعد هذه العلاقة أحد أسباب تقدم المؤسسات وتحقيقها لأهدافها المنشودة.

فدور مدير المدرسة لم يعد يقتصر على إدارة المدرسة و مراقبتها، و ترتيب السجلات و حفظها و توزيع الدروس بين المعلمين و حفظ النظام، بل إن فعالية دوره الجديد مرتبطة برفع الروح المعنوية لدى المعلمين و العاملين معه، وذلك من خلال تحسين ظروف العمل ، وإشعارهم بالأمن والاحترام والتقدير ومساعدتهم في حل مشكلاتهم، بالإضافة إلى تحديد وتشخيص المشكلات والعراقيل التي تواجه المدرسة، و إعطاء الحلول لها من خلال مشاركتهم و اتخاذ القرارات المناسبة ، و تشجيعهم أيضا على الإبداع و الإبتكار، مما يؤدي إلى توفير المناخ المدرسي الإيجابي الذي يعمل على تحقيق الأهداف التربوية بنجاح.

وفي ضوء الفكر الإداري الحديث، يتعين على المدير أن يؤدي دوره قائدا ومشرفا، وأن يوظف مفهوم القيادة بجدارة لتعكس آثارها على المعلمين والطلبة والمجتمع المحلي. وأن تكون لديه خلفية علمية واسعة بوسائل القياس والتقويم، واستخدام الاختبارات وخصائصها، وبدرجة الإنجاز المدرسي، وبراعة المعلمين في طرائق التدريس، وبتطوير القوى البشرية والبرامج والأنشطة التعليمية، والأسس التي تبنى عليها العلاقات الإنسانية، وبالفلسفة الاجتماعية والاعتزاز بمهنة التربية والتعليم. (القضاة، ٢٠٠٥، ص ٦).

كما أظهرت بعض الدراسات أن عدد المعلمين الذين يعملون مع مدير متسلط أو ترسلي، أقل منه لدى المعلمين الذين يعملون مع مدير ديمقراطي. (المشعل، ٢٠٠٦، ص٤)

إن أنماط التسيير الإداري لدى مدراء المدارس الثانوية رغم اختلافها وتعدد تصنيفها غير أنها تلعب دورا كبيرا ومؤثرا في أداء سير المؤسسات التربوية سلبا أو إيجابا، وهذا ينعكس بالدرجة الأولى على المعلمين والعاملين على تحقيق الأهداف التربوية التي من شأنها العمل على الوصول إلى ما يصبوا إليه المجتمع.

انطلاقا من الأهمية البالغة للعملية التعليمية، والدور الكبير الذي تلعبه المدرسة في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة وتنمية الأجيال، ومن الاعتبارات السابق ذكرها، فقد ارتأت الدراسة أن تسلط الضوء على أهمية جودة الحياة المدرسية ودور أنماط التسيير الإداري في تحقيق هذه الجودة انطلاقا من التساؤل التالي:

هل توجد علاقة بين أنماط التسيير الإداري وجودة الحياة المدرسية بمدارس التعليم الثانوي؟

فرضيات الدراسة:

اشتملت الفرضيات الدراسة على:

- ترتبط جودة الحياة المدرسية بالمدارس الثانوية ارتباطا موجبا دالا إحصائيا عند (α = ٠,٠٥) بنمط التسيير الديموقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ.

- ترتبط جودة الحياة المدرسية بالمدارس الثانوية ارتباطا سالبا دالا إحصائيا عند (α = ٠,٠٥) بنمط التسيير الأوتوقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ.

أهمية الدراسة:

يؤمل من نتائج الدراسة أن:

1. تقدم فرصة لوعي المدراء بأنماط التسيير الإداري التي يمارسونها وذلك لتوظيفها بفاعلية وتمكنهم من تطوير ممارساتهم القيادية ودورها في تحقيق جودة الحياة المدرسية.

2. توفير المعلومات المهمة لمدراء المدارس عن كيفية تحقيق الجودة في الحياة المدرسية.

3. مساعدة مدراء المدارس والمعلمين على فهم أفضل لهذه الأنماط لتسهيل التواصل داخل المدارس.

أهداف الدراسة:

تهدف الدارسة إلى:

1. تِبيان جودة الحياة المدرسية تبعا لنمط التسيير الإداري السائد.

2. التعرف على نمط التسيير الإداري الأكثر ملاءمة لتحقيق الجودة في الحياة المدرسية.

الدراسات السابقة:

أ- الدراسات التي تناولت الحياة المدرسية:

دراسة « **ريمون معلولي** « (٢٠١٠): حول جودة البيئة المادية للمدرسة وعلاقتها بالأنشطة البيئية، إذ هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع الأنشطة البيئية التي يمارسها الطلاب بتوجيه ومشاركة معلميهم، من خلال استبانة لرصد الأنشطة التربوية الممارسة ذات الطابع البيئي والتعرف على واقع البيئة المادية لمدارس مرحلة التعليم الأساسي، وقد اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، وبطاقة ملاحظة للبيئة و السلوك البيئي المدرسي و استبانة رصد الأنشطة البيئية ، وتمثلت العينة المستخدمة في (٢١) مدرسة سحبت بالطريقة العشوائية المنتظمة و(١٣٦) مدرسا سحبت بطريقة عشوائية نسبية، أما فيما يخص تحليل البيانات فقد اعتمدت الدراسة على النسب المئوية، و خلصت في النهاية إلى انخفاض مستويات

الأنشطة البيئية المدرسية الموجهة من قبل المدرسين، كما أوصى الباحث بإعادة النظر في البيئة التعليمية لتكون منسجمة مع تطور السياسة التربوية في سورية وكذا تفعيل دور الطلبة في تحقيق المنهاج من خلال المشاركة بالنشاط التربوي البيئي.

دراسة «رجاء زهري خالد العسلي» (٢٠٠٧): و التي تناولت تقدير درجة فعالية أداء المدرسة باستخدام معايير الجودة الشاملة في مدينة خليل، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة تقدير فعالية أداء المدرسة باستخدام معايير الجودة الشاملة في مدينة الخليل ، متبعة في ذلك المنهج الوصفي ، إذ اعتمدت الدراسة على استبانة تم توزيعها على عينة مكونة من (٢٥٦) مديرا ومعلما تم اختيارهم بطريقة عشوائية ، واستخدم في تحليل البيانات الأساليب الإحصائية التالية : اختبارات»، اختبار تحليل التباين الأحادي ، معامل الارتباط بيرسون ، معامل الثبات ألفاكرومباخ التجزئة النصفية و معادلة سبيرمان - براون باستخدام الرزمة الإحصائية SPSS ،وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أن متوسط تقديرات درجة فعالية أداء المدرسة باستخدام معايير الجودة الشاملة في مدينة الخليل من وجهة نظر مديري ومعلمي المدارس كانت متوسطة بشكل عام ومرتفعة في مجال التخطيط الاستراتيجي، بينما كانت منخفضة في مجال العلاقات بين المدرسة والمجتمع المحلي.

ب- الدراسات التي تناولت أنماط التسيير الإداري:

دراسة « **موافق أحمد شحادة العجارمة** « (٢٠١٢) : التي تناولت الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس الخاصة، وعلاقتها بمستوى جودة التعليم من وجهة نظر المعلمين في محافظة العاصمة عمان، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على أنماط القيادة السائدة لدى مديري المدارس الخاصة من وجهة نظر المعلمين في محافظة العاصمة عمان ، ومستوى جودة التعليم في المدارس الخاصة التابعة لمحافظة العاصمة من وجهة نظر المعلمين، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي الإرتباطي و استبيانين ،الأول لقياس أنماط القيادة و الثاني لقياس مستوى جودة التعليم. وتكونت عينة الدراسة من (٥٠٠) معلم و معلمة تم اختيارها بطريقة عشوائية طبقية ، وللقيام بالمعالجة الإحصائية استخدم الباحث الأساليب التالية: المتوسطات الحسابية و الانحراف المعياري، و الرتب و الدرجة ، معامل الإرتباط بيرسون، تحليل التباين الأحادي واختبار»ت» ... وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية : أن درجة ممارسة مديري المدارس الخاصة في محافظة عمان للأنماط القيادية من وجهة نظر المعلمين كانت متوسطة، وجاء في الرتبة الأولى النمط القيادي الأوتوقراطي ، يليه النمط القيادي الديمقراطي فالنمط القيادي المتسيب (الحر) ، أما مستوى جودة التعليم في المدارس الخاصة التابعة لمحافظة العاصمة من وجهة نظر المعلمين كان متوسطا... وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات منها: تقديم برنامج تدريبي في الأنماط القيادية للمديرين لتحسين ممارساتهم و أنماطهم القيادية، لتوظيف هذه الأنماط بفاعلية وتمكينهم من تطوير ممارستهم القيادية لرفع مستوى جودة التعليم في المدارس الخاصة.

دراسة « **فؤاد علي العاجز وفايز كمال شلدان**» (٢٠٠٩): حول دور القيادة المدرسية في تنمية الإبداع لدى معلمي مدارس المرحلة الثانوية في قطاع غزة ،وقد هدفت الدراسة إلى

الكشف عن مدى مساهمة القيادة المدرسية في تنمية الإبداع لدى معلمي المدارس الثانوية بمحافظات غزة من وجهة نظر المعلمين ، و اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ،أما عينة الدراسة فاشتملت على (٣٠٤) معلما ومعلمة تم اختيارهم بطريقة عشوائية ،واستخدمت الدراسة استبانة، واعتمدت على الأساليب الإحصائية في تحليل بياناتها وكانت كالتالي : المتوسطات الحسابية ،الإنحرافات المعيارية واختبار «ت» ، و توصلت الدارسة إلى ما يلي: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية حول دور القيادة المدرسية في تنمية الإبداع لدى معلمي مدارس المرحلة الثانوية بمحافظات غزة من وجهة نظر المعلمين تبعا لمتغير المؤهل العلمي ، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية حول دور القيادة المدرسية في تنمية الإبداع لدى معلمي مدارس المرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمين لمتغير سنوات الخدمة و متغير التخصص وقد أوصى الباحث بـــ : أن تقوم القيادات المدرسية بتنظيم رحلات ترفيهية علمية للمعلمين، تهدف إلى تنمية الجانب الإبداعي لديهم.....

الجانب التطبيقي:

منهج الدراسة:

يتوجب على أي باحث يقوم بإنجاز بحث علمي مهما كانت طبيعة ذلك البحث، أن يقوم بإتباع طريقة محددة ليصل من خلالها إلى النتائج المراد تحقيقها. بحيث يجب أن يكون المنهج المتبع في الدراسة خاصا، ويتوافق مع خصوصية الظاهرة المراد دراستها وقياسها. (عناية، ٢٠٠٧، ص٧٧)

ولهذا فقد اتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره المنهج الأنسب لمثل هذا النوع من الدراسات، التي تعتبر من الدراسات التحليلية الوصفية، وكذلك كونه أسلوبا من أساليب التحليل، المتمركزة على المعلومات الكافية والدقيقة عن الظاهرة، أو موضوع محدد، من خلال فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية يتم تفسيرها بطريقة موضوعية.

حدود الدراسة:

تمثلت حدود الدراسة في:

الحدود المكانية: أجريت هذه الدراسة بثانويات بلدية العلمة، البالغ عددها ٧ ثانوية.

عينة الدراسة:

اشتملت عينة الدراسة على (٥٠) أستاذا و (٦٥) تلميذا، واختيرت العينة بطريقة عشوائية طبقية وهذا حسب أنماط التسيير الإداري التي تتناولها الدراسة الحالية وهي (النمط الديمقراطي، النمط الأوتوقراطي)

أداة الدراسة:

أعـدت أداة الدراسـة بعـد الاطـلاع عـلى الجانـب النظـري والدراسـات السـابقة بالإضافـة إلى بعـض تقاريـر اليونسـكو حـول الجـودة في التعليـم وكذلـك دليـل رقابـة المدرسـة ٢٠١٢- ٢٠١٣.

فمـن خلالهـا تـم تصميـم أداة الدراسـة الرئيسـية والمتمثلـة في اسـتبيانين لقيـاس جـودة الحيـاة المدرسـية الأول يخـص الأسـاتذة والثـاني التلاميـذ.

أما استبيان قياس الأنماط الإدارية فقد اعتمدت الدراسة على مقياس (الراشدي،٢٠١٢).

صدق وثبات أدوات الدراسة:

للتحقـق مـن صـدق أداتي «جـودة الحيـاة المدرسـة» اسـتخدمت الدراسـة صـدق الاتسـاق الداخلي حيـث بلغـت قيمـة صـدق الأداة الموجهـة للأسـاتذة (0.74)، أمـا الأداة الموجهـة للطلبـة فبلغـت قيمـة صدقهـا (٠,٧٧)

واعتمـد «الراشـيدي (٢٠١٢)في قيـاس صـدق أداة أنمـاط التسـيير الإداري صـدق محكمـين و الـذي بلغـت قيمـة اتفـاق المحكمـين فيهـا نسـبة (٨٠ %).

ثبات الاستبيان:

أمـا ثبـات الأداة فقـد تـم حسـابه باسـتخدام التجزئـة النصفيـة لأداتي «جـودة الحيـاة المدرسـية»، حيـث بلغـت قيمتـه (٠,٩٦) بالنسـبة لـلأداة التـي تقيـس جـودة الحيـاة المدرسـية مـن وجهـة نظـر الأسـاتذة و(٠,٩٣) بالنسـبة لـلأداة التـي تقيـس جـودة الحيـاة المدرسـية مـن وجهـة نظـر التلاميـذ وهـما معامـلي ثبـات مناسـبين لأغـراض الدراسـة.

في حـين تـم التحقـق مـن قيمـة الثبـات أداة الدراسـة الخاصة بأنمـاط التسـيير الإداري باسـتخدام طريقـة التطبيـق وإعـادة التطبيـق (Test- Re – Test) وبلغت قيمتـه (٠,٩٢).

أساليب الإحصائية المستخدمة في معالجة البيانات:

تـم اسـتخدام برنامـج (SPSS) في معالجـة البيانـات إحصائيـا، حيـث تضمنـت المعالجة الأسـاليب الإحصائيـة التالية:

- معادلة بيرسون وألفا كرونباخ لحساب الإتساق الداخلي.
- معادلة سبيرمان للرتب لحساب الارتباط بين المتغيرات.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

عرض ومناقشة صحة الفرضية الأولى في ضوء النتائج:

تنص الفرضية على: (ترتبط جودة الحياة المدرسية بالمدارس الثانوية ارتباطا موجبا دالا إحصائيا عند (α = ٠,٠٥) بنمط التسيير الديموقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ)

ونوقشت صحتها من خلال الفرضية الصفرية التالية:

H_0 : (لا ترتبط جودة الحياة المدرسية بالمداس الثانوية ارتباطا موجبا دالا إحصائيا عند (α = ٠,٠٥) بنمط التسيير الديموقراطي من وجهة نظر التلاميذ والأساتذة).

لاختبار صحة هذه الفرضية تم اختيار معامل إرتباط سبيرمان للرتب Spearman اللابارمتري وذلك لحساب الارتباط بين جودة الحياة المدرسية ونمط التسيير الديموقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ والجدول التالي يوضح ذلك:

العينة	العدد	القيمة المجدولة	القيمة المحسوبة	مستوى الدلالة	الدلالة
الأساتذة	٥٠	0.27	٠,٩٩	٠,٠٥	دالة
التلاميذ	٦٥	0.24			

جدول رقم (١): يوضح معامل الارتباط سبيرمان للرتب بين جودة الحياة المدرسية ونمط التسيير الديموقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ.

يتضح من الجدول رقم (١) أعلاه أن قيمة معامل الارتباط سبيرمان للرتب بين جودة الحياة المدرسية ونمط التسيير الديمقراطي بلغ (٠,٩٩) وبمقارنة قيمة معامل سبيرمان المحسوبة بالقيمة المجدول (٠,٢٧) و(٠,٢٤) عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) نجد أن القيمة المحسوبة أكبر من المجدولة وبالتالي هي دالة. وعليه يوجد إرتباط موجب قوي بين استجابات الأساتذة والتلاميذ ومنه نقبل الفرض البديل القائل: (ترتبط جودة الحياة المدرسية بالمدارس الثانوية ارتباطا موجبا دالا إحصائيا عند (α = ٠,٠٥) بنمط التسيير الديموقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ). ونرفض الفرض الصفري.

المناقشة:

بالنظر إلى نتائج معامل الارتباط سبيرمان للرتب تبين وجود ارتباط موجب قوي بين جودة الحياة المدرسية ونمط التسيير الديموقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ من خلال قيمه معامل الارتباط سبيرمان = (٠,٩٩) دالة عند (α = ٠,٠٥).

وهـذا مـا يتفـق مـع نتائـج دراسـة « بوقـرة عواطـف « (٢٠٠٨) والتـي أكـدت عـلى تطبيـق النمـط الديمقراطـي في المـدارس الثانويـة بدرجـة متوسـطة كـما أكـدت دراسـة «شرقـي رابـح» (٢٠١٠) أن النمـط الديمقراطـي يسـاهم في زيـادة دافعيـة الإنجـاز لـدى المعلمـين.

ويرجـع هـذا إلا أن النمـط التسـيير الديموقراطـي الـذي يتبعـه المـدراء المـدارس الثانويـات يتصـف الموضوعيـة ويسـعى إلى تحقيـق العدالـة بـين جميـع المعلمـين كـما أنـه يعمـل عـلى خلـق المنـاخ التعليمـي صحـي مـن خـلال علاقـة إيجابيـة بـين الجميـع داخـل المؤسسـة مـما يسـاعد عـلى تحسـين جـودة التعليـم ووفقـا لـلأدب النظـري والدراسـات السـابقة يعـد النمـط الديموقراطـي هـو أفضـل الأنمـاط للعمليـة التربويـة، فنجاحهـا مرهـون بوجـود قيـادات ديمقراطيـة تعمـل عـلى تحقيـق الانفتـاح والتغيـير في نـوع العلاقـة بـين القائـد ولأتبـاع.

عرض ومناقشة صحة الفرضية الثانية في ضوء النتائج:

تنـص الفرضيـة عـلى: (ترتبـط جـودة الحيـاة المدرسـية بالمـدارس الثانويـة ارتباطـا سـالبا دالا إحصائيـا عنـد ($\alpha = ٠,٠٥$) بنمـط التسـيير الأوتوقراطـي مـن وجهـة نظـر الأسـاتذة والتلاميـذ.)

ونوقشت صحتها من خلال الفرضية الصفرية التالية:

H_0 : (لا ترتبـط جـودة الحيـاة المدرسـية بالمـدارس الثانويـة ارتباطـا سـالبا دالا إحصائيـا عنـد ($\alpha = ٠,٠٥$) بنمـط التسـيير الأوتوقراطـي مـن وجهـة نظـر الأسـاتذة والتلاميـذ.)

لاختبـار صحـة هـذه الفرضيـة تـم اختيـار معامـل إرتبـاط سـبيرمان للرتـب Spearman اللابارمـتري وذلـك لحسـاب الارتبـاط بـين جـودة الحيـاة المدرسـية ونمـط التسـيير الأوتوقراطـي مـن وجهـة نظـر التلاميـذ والأسـاتذة والجـدول التـالي يوضـح ذلـك:

العينة	العدد	القيمة المجدولة	القيمة المحسوبة	مستوى الدلالة	الدلالة
الأساتذة	٦٢	0.25	٠,٩٣	٠,٠٥	دالة
التلاميذ	٧٨	0.22			

جـدول (٢): يوضـح معامـل الارتبـاط سـبيرمان للرتـب بـين جـودة الحيـاة المدرسـية ونمـط التسـيير الأوتوقراطـي مـن وجهـة نظـر الأسـاتذة والتلاميـذ.

يتضـح مـن الجـدول رقـم (٢) أعـلاه أن قيمـة معامـل الارتبـاط سـبيرمان للرتـب بـين جـودة الحيـاة المدرسـية ونمـط التسـيير الأوتوقراطـي بلـغ (٠,٩٣) وبمقارنـة قيمـة معامـل سـبيرمان المحسـوبة بالقيمـة المجـدول (٠,٢٥) و (٠,٢٢) عنـد مسـتوى الدلالـة ($\alpha = ٠,٠٥$) نجـد أن القيمـة المحسـوبة أكـبر مـن المجدولـة وبالتـالي هـي دالـة. وعليـه يوجـد إرتبـاط موجـب قـوي بـين اسـتجابات الأسـاتذة و التلاميـذ ومنـه نقبـل الفـرض البديـل القائـل: (ترتبـط جـودة الحيـاة

المدرسية بالمدارس الثانوية ارتباطا سالبا دالا إحصائيا عند (α = ٠,٠٥) بنمط التسيير الأوتوقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ.) ونرفض الفرض الصفري.

المناقشة:

بالنظر إلى نتائج معامل الارتباط سبيرمان للرتب تبين وجود ارتباط موجب قوي بين جودة الحياة المدرسية ونمط التسيير الأوتوقراطي من وجهة نظر الأساتذة والتلاميذ من خلال قيمه معامل الارتباط سبيرمان = (٠,٩٣) دالة عند (α = ٠,٠٥).

وهذا ما يتفق مع نتائج دراسة « **محمود عبود الحراحشة** » (٢٠٠٨) ودراسة «**شرقي رابح**» (٢٠١٠)، ودراسة « **موافق أحمد العجارمة** » (٢٠١٢) حيث يعتبر النمط الأوتوقراطي هو نمط توجيهي تسلطي لا يتيح الفرصة للمعلمين في اتخاذ القرارات كما أنهم لا يشعرون بالراحة في أدائهم لأعمالهم نظرا للرقابة الصارمة التي يتبعها المدراء وبالتالي شعورهم بالملل وانخفاض دافعيتهم للإنجاز.

ويرجع هذا إلى أن نمط التسيير الأوتوقراطي الذي يتبعه مدراء المدارس الثانوية هو نمط غير مرن والمدير فيه غير متعاون كما أنه يتميز بالتسلط، ولا يقبل الحوار ويطالب بتنفيذ التعليمات بشدة كما أنه لا يهتم بآراء الآخرين، مما يؤدي إلى انخفاض الجودة في الحياة المدرسية وبخاصة المناخ التعليمي داخل المؤسسة.

خـــاتـــمـــة

من خلال معالجة موضوع جودة الحياة المدرسية و علاقته بأنماط التسيير الإداري و الذي حاولت الدراسة من خلاله توضيح العلاقة الموجودة بينهما، عبر استطلاع وجهة نظر أساتذة و تلاميذ التعليم بثانويات بلدية العلمة بولاية سطيف ، تبين من خلال نتائج الدراسة أن أنسب أنماط التسيير الإداري لتحقيق الجودة في الحياة المدرسية هو النمط الديمقراطي لما يتيحه للمرؤوسين من حرية في أداء مهامهم و إحساسهم بأنهم ذو أهمية تُقبل آرائهم و اقتراحاتهم، مع قبوله للتجديد و التغيير وفقا للظروف و الإمكانيات المتاحة و هو ما توصلت إليه الفرضيات الجزئية و المتعلقة بدراسة الارتباط بين الحياة المدرسية والنمطين الديمقراطي و الأوتوقراطي.

وعليه يجب الإهتمام بتفعيل أنشطة الحياة المدرسية وجعلها أكثر نشاطا بل وبالبيئة المدرسية عامة لجذب المتعلمين إليها لا تنفيرهم منها وهذا من خلال الإهتمام بجودة البيئة المادية للمدارس الثانوية، وجودة الأستاذ وجودة القيادات، والسعي نحو بناء برامج لتكوين القيادات المستقبلية وفقا للنمط الديمقراطي وإبراز دوره الكبير والفعال في تحقيق الجودة في الحياة المدرسية.

قائمة المراجع:

١. أحمد عواد مفلح القضاة. (٢٠٠٥): أنماط القيادة التربوية لدى مديري ومديرات المدارس الحكومية في محافظة جرش وعلاقتها بالمساءلة. رسالة ماجستير، جامعة الهاشمية، الأردن.

٢. بوقرة عواطف. (٢٠٠٨): درجة تطبيق مديري الثانويات لمبادئ الإدارة الديمقراطية من خلال وجهة نظر الأساتذة في ولاية المسيلة. رسالة ماجستير جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

٣. رجاء زهير خالد العسيلي. (٢٠٠٧): تقدير درجة فعالية أداء المدرسة باستخدام معايير الجودة الشاملة في مدينة الخليل مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين ،١٠.

٤. ريمون معلولي. (٢٠١٠): جودة البيئة المادية للمدرسة وعلاقتها بالأنشطة البيئية. مجلة جامعة دمشق، ٢٦(١ +٢)،١٠٧ -١١١.

٥. سعد بن محمد علي الهميم. (٢٠١٠): الخصائص الاجتماعية للمتسربين دراسيا وعلاقتها بالتسرب الدراسي. رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية.

٦. شرفي رابح. (٢٠١٠): النمط القيادي للمديرين وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى معلميالمرحلة الابتدائية. رسالة ماجستير، جامعة منتوري، الجزائر.

٧. على محمد أحمد عبد الرحمان عياصرة، محمد محمود العودة الفاضل. (٢٠٠٦): الاتصال القيادي في المؤسسات التربوية (ط.١). عمان: دار مكتبة الحامد.

٨. عيد هنى الراشدي. (٢٠١٢): الأنماط الإدارية التي يمارسها مديرو المدارس الثانوية في دولة الكويت وعلاقتها بمستوى العنف الطلابي من وجهة نظر المعلمين. رسالة ماجستير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان.

٩. غازي عناية. (٢٠٠٧): منهجية إعداد البحث العلميبكالوريوس. ماجستير. دكتوراه. الأردن: دار المناهج.

١٠. فؤاد على العاجز، فايز كمال شلدان. (٢٠٠٩،٢٦ -٢٨ تموز): دور القيادة المدرسية فيتنمية الإبداع لدى معلمي مدارس المرحلة الثانوية في قطاع غزة قدم إلى مؤتمر العالمي العربيالسادس لرعاية الموهوبين والمتفوقين.

١١. موافق أحمد شحادة العجارمة. (٢٠١٢): الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارسالخاصة وعلاقتها بمستوى جودة التعليم من وجهة نظر المعلمين في محافظة العاصمة عمان. رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، عمان.

١٢. نورة حمد إبراهيم المشعل. (٢٠٠٦): الأنماط القيادية لدى المديرات في المرحلة الابتدائية البنات في مدينة الرياض وعلاقتها بالرضا الوظيفي للمعلمات. رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

الجَمْعُ بِاخْتِلافِ الضَّرُورَةِ فِي مُخْتَلِفِ الحَدِيثِ

Reconciling differences in established hadiths by considering the provisions of necessity.

الدكتور طلال أحمد العيط[١]

الملخص:

يتناول هذا البحث مسألة التعارض الظاهري بين أحاديث ثابتة في السنّة النبوية الشريفة، ومسالك العلماء في كيفية إزالة هذا التعارض عن طريق الجمع بينها، بناء على قاعدة إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما؛ حيث إن المتأمل في هذه الأحاديث يجد أولاً اختلافاً ظاهراً بينها، وقد يؤدي هذا النظر الأوّلي في هذا الاختلاف إلى التشكيك من غير المتخصصين في صحة وثبوت الحديث وصولاً إلى إنكاره؛ خوفاً من وجود تعارض بين نصوص ثابتة، وقد يؤدي أيضاً إلى التشكيك من قِبل بعض الطاعنين في الإسلام وفي السنّة.

كما يشير البحث إلى كيفية التوفيق بين النصوص من حيث النظر إليها، فيُحمل أحدها على حال الضرورة، فينتفي المانع من الجمع بينها.

Abstract:

This research deals with the issue of the apparent disagreement between established hadiths in the honourable Prophetic Sunnah, and the approaches of the scholars in dealing with this disagreement. It is proposed that reconciling the two hadiths is more favorable than neglecting one of them. The apparent difference between them may lead non-specialists to doubt the authenticity and reliability of the hadiths, leading to denying their authenticity because of concerns that there is a conflict between established texts. It may also lead to skepticism from some critics of Islam in the Sunnah of the Prophet.

The research also proposes to reconcile the texts by considering the provisions of necessity.

(١) أستاذ في كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية
Dr. Talal Ahmed Al-Ait
Lecturer at the Faculty of Sharia at the Islamic University of Beirut

المقدّمة

إنّ علم السنّة النبوية الشريفة ليتمتع بمكانة كبيرة بين العلوم الشرعية؛ حيث يُعرف شرف كلّ علم بشرف مدلوله، وتعتبر السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ولقد حفظها الله تعالى بجهود أهلها؛ لأنها الموضّحة لما أُشكل من أحكامه، المبينة لما أُجمل من معانيه.

ومن أهم الموضوعات التي استعملها الطاعنون في الدين الإسلامي لإثارة الشبهات حول السنّة، ادّعاء وجود تعارض بين أحاديث النبي ﷺ، من أجل ذلك تصدّى العلماء الجهابذة لهذه الشبهات، وأثبتوا ألّا تعارض بين النصوص وأنها متفقة.

ولمعرفة كيفية التوفيق بين نصّين ظاهرهما التعارض، كان هذا البحث، الذي عرّف بفن مختلف الحديث كعلمٍ مستقل، وأوْلى الاهتمام بالناحية التطبيقية من خلال عرض لبعض الأحاديث المختلفة، ثمّ بيان أقوال بعض العلماء في كيفية التوفيق والجمع بينها عن طريق اختلاف الضرورة في مناسبة كلّ منها، وقد أسميت هذا البحث: **الجمع باختلاف الضرورة في مختلف الحديث**.

إشكالية البحث:

يعالج هذا البحث إشكالية مهمة، يمكن إيرادها على صورة سؤال: هل هناك تعارض حقيقي بين الأحاديث الواردة في السنّة النبوية؟

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب اختيار موضوع هذا البحث ما يأتي:

- بيان نوع من أنواع مختلف الحديث وكيفية التوفيق بين المتعارضَيْن.

- ندرة الأبحاث التي تكلمت عن هذا الفن من حيث الدراسة التطبيقية.

- المشاركة في إزالة بعض الشبهات التي أُثيرت حول بعض النصوص، عن طريق النظر إلى حال الضرورة.

أهمية البحث:

تظهر الأهمية لأي بحث من خلال النظر إلى أهمية موضوعه، فموضوع مختلف الحديث

جمع بين علم الحديث من جهة، وبين علوم كثيرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً به؛ كعلم التفسير، والفقه وأصوله، بالإضافة إلى الاستفادة من علم اللغة.

كما إن هذا العلم يمكّن العالِم من رؤية النصوص رؤية شاملة، تصل به إلى إظهار حقيقة ألاّ تعارض بين هذه النصوص؛ لأنها وردت من مشكاة واحدة.

الدراسات السابقة:

تكلم العلماء المتقدمون عن علم مختلف الحديث، ودرسوا التعارض بين كثير من النصوص وأزالوا الشبهات حولها، ولكنني لم أقف على من أفرد الكلام عن الجمع باختلاف الضرورة في بحث مستقل.

منهج البحث:

اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض بعض الأحاديث المختلفة وإيراد الاختلاف بينها، ثم ذكر أقوال العلماء فيها.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع على الشكل الآتي:

التمهيد: تعريف مختلف الحديث وأهميته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مختلف الحديث لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية علم مختلف الحديث وقواعده.

المبحث الأول: قاعدة الجمع وشروطه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف قاعدة الجمع.

المطلب الثاني: بيان شروط الجمع.

المبحث الثاني: تطبيقات عن الجمع باختلاف حكم الضرورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مسألة الكي وتعارضها مع التوكل.

المطلب الثاني: مسألة في حكم الشرب من فيّ السقاء.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: مختلف الحديث وأهميته

المطلب الأول: تعريف مختلف الحديث لغةً واصطلاحاً:

مختلف لغةً: اسم فاعل من الفعل اختلفَ، يختلف، اختلافاً؛ أي خلاف الاتفاق، وكلّ ما ليس متساوٍ، فقد اختلف[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾ [سورة النساء، الآية٨٢]. وهو ضدّ القديم، وهو كون الشيء لم يكن، وهو الخبر يأتي على القليل والكثير[٣].

الحديث اصطلاحاً: «يطلق على قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، ومعنى التقرير أنه فعل أحدٌ أو قال شيئاً في حضرته ﷺ ولم ينكره، ولم ينهه عن ذلك، بل سكت عنه»[٤]

مختلف الحديث اصطلاحًا: عرّفه الإمام النووي[٥] بقوله: «أن يأتي حديثان متضادان في الظاهر، فيوفق بينهما، أو يرجح أحدهما».[٦]

المطلب الثاني: أهمية علم مختلِف الحديث وقواعده:

تتمثل أهمية هذا العلم في دفع الاختلاف في فهم الحديث؛ حيث إنه يبعد الشبهات التي يوردها من يغلّبون الرأي على النص، فيردّون كلّ حديث يتناقض – حسب زعمهم- مع العقل.

وقد تكلم كثير من العلماء عن أهمية علم مختلف الحديث وتنوعت عباراتهم، حيث نقل الخطيب البغدادي[٧] عن ابن خزيمة[٨] قوله»: لا أعرف حديثين متضادين، فمن كان عنده

---

(٢)() انظر: **لسان العرب** لابن منظور، محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ)، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ٩/ ٩٠.

(٣)() انظر: **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس، أحمد، (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، سوريا، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٢/ ٣٦.

(٤)() **مقدمة في أصول الحديث** للدهلوي، عبد الحق، (ت١٠٥٢هـ)، تح: سليمان الندوي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص٣٣.

(٥)() هو: يحيى بن شرف النووي، محي الدين، أبو زكريا الدمشقي، ولد سنة ٦٣١هـ، أحد أبرز فقهاء السنة، اعتمد عليه الشافعية في ضبط مذهبهم، من شيوخه: ابن سعد، ومن تلامذته: ابن جماعة، من مؤلفاته: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ت٦٩٦هـ، انظر: **طبقات الشافعية الكبرى** للسبكي، عبد الوهاب، (ت٧٧١هـ)، تح: محمود الطناحي، مصر، هجر للطباعة، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٨/ ٣٩٥.

(٦)() **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق** للنووي، يحيى بن شرف، (ت٦٧٦هـ)، تح: عبد الباري فتح الله، السعودية، مكتبة الإيمان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ٢/ ٥٧١.

(٧)() أحمد بن علي بن ثابت، ولد سنة ٣٩٢هـ، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة وغيرها، تفقه على أبي الطيب الطبري، وحدّث عنه البرقاني، من مؤلفاته: الكفاية في علم الرواية، توفي سنة ٤٦٣هـ، انظر: **سير أعلام النبلاء** للذهبي، محمد بن أحمد، (ت٧٤٨هـ)، مصر، دار الحديث، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ١٣/ ٤٢٠.

(٨)() محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر، ولد سنة ٢٢٣هـ، رحل إلى الشام، والحجاز والعراق، روى عن ابن راهويه وغيره، من مؤلفاته: صحيح ابن خزيمة، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: **شذرات الذهب** لابن العماد، عبد الحي، (ت١٠٨٩هـ)، تح: محمود أرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١/ ٣٨.

فليأتي به لأؤلف بينهما»[٩]، ومنه قول ابن حزم[١٠]: «وهذا من أدقّ ما يمكن أن يعترض أهل العلم من تأليف النصوص وأغمضه»[١١]

قواعد علم مختلف الحديث:

قرّر أهل العلم أنه يستحيل وجود تعارض حقيقي بين أحاديث ثابتة، إنما هو تعارض في الظاهر، قد يعجز المجتهد أولاً عن فهم القصد الحقيقي منه، فإن وُجد تعارض، فلا يمكن أن يكون إلا بين ناسخ ومنسوخ.[١٢]

قال الإمام ابن الصلاح[١٣] رحمه الله تعالى: «اعلم أن ما يذكر في هذا الباب ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يمكن الجمع بين الحديثين، ولا يتعذر إبداء وجه ينفي تنافيهما؛ فيتعين حينئذٍ المصير إلى ذلك، والقول بهما معاً.

القسم الثاني: أن يتضادا بحيث لا يمكن الجمع بينهما، وذلك على ضربين:

أحدهما: أن يكون أحدهما ناسخاً، والآخر منسوخاً، فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ.

والثاني: أن لا تقوم دلالة على أن الناسخ أيهما والمنسوخ أيهما، فيفزع حينئذ إلى الترجيح، ويعمل بالأرجح منهما والأثبت، كالترجيح بكثرة الرواة، أو بصفاتهم، في خمسين وجهاً من وجوه الترجيحات وأكثر».[١٤]

فقد قرر ابن الصلاح قواعد ثابتة في هذا الفن؛ فيُنظر إلى الحديثين أولاً من حيث إمكانية الجمع، فيتعّين ذلك تطبيقاً لقاعدة إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما[١٥]، فإن لم يكن الجمع لتضادهما، فيُصار –إن عُلم وقت ورود كلّ منهما– إلى النسخ[١٦]، فينسخ المتأخر

(٩)() **الكفاية في علم الرواية** للخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت٤٦٣هـ)، تح: إبراهيم حمدي، السعودية، المكتبة العلمية، د.ط.ت. ص٤٣٢.

(١٠)() علي بن أحمد الظاهري، عالم الأندلس، ولد سنة ٣٨٤هـ، قرأ على أحمد بن الحسين، وروى عنه أبو عبد الله الحميدي، من مؤلفاته: المحلى. توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر: **سير أعلام النبلاء** للذهبي، ١٣/ ٣٧٣.

(١١)() **الإحكام في أصول الأحكام** لابن حزم، علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ)، تح: أحمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ط.ت، ٢/ ٢٦.

(١٢)() انظر: **الكفاية في علم الرواية** للخطيب البغدادي، ص٤٣٣.

(١٣)() عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو بن الصلاح، الشافعي، ولد سنة ٥٧٧هـ، سمع من عبيد الله بن السّمين، روى عنه عمر بن يحيى، من تصانيفه: أدب المفتي والمستفتي. ت سنة ٦٤٣هـ، انظر: **طبقات الشافعية** الكبرى للسبكي، ٨/ ٣٢٦.

(١٤)() **مقدمة ابن الصلاح** لابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، (ت٦٤٣هـ)، تح: نور الدين عتر، سوريا، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص٢٨٤.

(١٥)() قال الإمام ابن حجر العسقلاني: «الجمع أولى مهما أمكن من توهين الأخبار الصحيحة». **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ)، رقّم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، ١٢/ ٣٢.

(١٦)() يقول الإمام الشافعي عند عدم إمكانية الجمع: «فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف كما اختلفت القبلة نحو بيت المقدس والبيت الحرام، كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً». **اختلاف الحديث** للشافعي، محمد بن إدريس، (ت٢٠٤هـ)، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ٨/ ٥٩٨.

المتقــدم، وإن لم يُعلــم فالترجيــح.

بعد تقرر هذا، لا بدّ من معرفة معنى الجمع في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: قاعدة الجمع وشروطه

المطلب الأول: تعريف قاعدة الجمع

مــن المســالك الأولى التــي يجــب عــلى المجتهــد أن يســلكها عنــد تعــارض حديثــين في الظاهــر هــو مســـلك الجمع.

والجمــع لغــة: الضــم، ويــأتي بمعنــى تأليــف المتفــرّق، ومنــه قولــه تعــالى:﴿ **أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ**﴾ ســورة القيامــة، الآية٣. [١٧]

الجمــع اصطلاحــاً: «بيــان التوافــق بــين الأدلــة الشرعيــة ســواء كانــت عقليــة أو نقليــة، وإظهــار أن الاختــلاف غــير موجــود بينهــما حقيقــة، ســواء كان ذلــك البيــان بتأويــل الطرفــين أو أحدهــما، وإعــمال المتعارضــين الصالحــين للاحتجــاج بهــما، والمتحديــن زمنــاً، وذلــك بحمــل كلّ منهــما عــلى محمــل صحيــح يحقــق معناهــما ويزيــل تعارضهــما واختلافهــما». [١٨]

المطلب الثاني: بيان شروط الجمع

اشــترط العلــماء للجمــع بــين النصــوص شروطــاً متعــددة؛ صونــاً لــكلام الشــارع مــن التأويــلات البعيــدة، منهــا:

الــشرط الأول: أن يكــون الحديثــان مقبولــين ســندًا ومتنًــا، وإلا لا يُشــتغل بالجمــع بينهــما؛ لأنــه لا جمــع بــين قــوي وضعيــف. [١٩]

الــشرط الثــاني: ألا يــؤدي هــذا الجمــع إلى تعطيــل دليــل آخــر صحيــح، وإلا لا يمكــن الاعتــماد عليــه في الأحــكام. [٢٠]

الــشرط الثالــث: أن يكــون الحديثــان المتعارضــان واردين في زمــن واحــد، أمــا إذا اختلــف زمــن

---

(١٧)() انظر: **لسان العرب** لابن منظور، ٥٣/٨.

(١٨)() **التقرير والتحبير** لابن الموقت الحنفي، محمد بن محمد (ت٨٧٩هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٢/٣.

(١٩)() انظــر: **توجيــه النظــر إلى أصــول الأثــر** للجزائــري، طاهــر بــن صالــح، (ت١٣٣٨هـــ)، تــح: عبــد الفتــاح أبــو غــدة، حلــب، مكتبــة المطبوعــات الإســلامية، ط١، ١٤١٦هـــ-١٩٩٥م، ٥٤٠/١.

(٢٠)() انظــر: **البرهــان في أصــول الفقــه** للجوينــي، عبــد الملــك بــن عبــد اللــه، (ت٤٧٨هـــ)، تــح: صــلاح عويضــة، بــيروت، دار الكتــب العلميــة، ط١، ١٤١٨هـــ-١٩٩٧م، ٢٠٩/١.

أحدهما عن الآخر عُلم أن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ. (٢١)

الشرط الرابع: أن الذي يتصدّى للجمع بين الأدلة المتعارضة ينبغي أن يكون أهلاً لذلك؛ ممن يجمع بين علم الفقه وعلم الحديث.

قال ابن الصلاح: «وإنما يكمل للقيام به الأئمة الجامعون بين صناعتَي الحديث والفقه»(٢٢).

المبحث الثاني: تطبيقات عن الجمع باختلاف حكم الضرورة

قد يرد حديثان مختلفان متعارضان ويكون ورودهما على أمر واحد ولكن بحكمين مختلفين، فيُجمع بينهما بإزالة هذا التعارض ببيان اختلاف حكم الضرورة في أحدهما.

ولتوضيح ذلك، أعرض مسألتين تتضمن كلّ منهما حديثين متعارضين، فأبيّن أولاً وجه الاختلاف، ثم أذكر أقوال بعض العلماء فيهما في كيفية دفع هذا الاختلاف.

المطلب الأول: مسألة الكي وتعارضها مع التوكل.

الكيّ بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض، وهو أن يُحمى حديد ويوضع على عضو معلول ليُحرق ويحبس دمه، وقد ورد النهي عنه في أحاديث كثيرة؛ لأنه نوع من التعذيب، فلا يُصار إليه إلا عند الضرورة. (٢٣)

الحديث الأول:

قال ﷺ: «**مَنِ اكتَوَى أوِ اسَترْقَى**(٢٤) **فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَوَكُّلِ**»(٢٥)

الحديث الثاني:

عن أنس رضي الله عنه أنّ «**النبي ﷺ كوى أسعد بن زُرَارَة**».(٢٦)

(٢١)() انظر: **الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة للكنوي**، محمد عبد الحي، (ت١٣٠٤هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٣٤٨هـ-١٩٢٨م، ص١٨٣.

(٢٢)() **مقدمة ابن الصلاح** لابن الصلاح، ص٢٨٤.

(٢٣)() انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير، المبارك بن محمد، (ت٦٠٦هـ)، تح: محمود الطناحي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩، ٤/٢١٢.

(٢٤)() الرقية: العُوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمّى والصرع وغير ذلك من الآفات. المصدر نفسه، ٢/٢٥٤.

(٢٥)() **سنن الترمذي** للترمذي، محمد بن عيسى، (ت٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرين، مصر، مطبعة مصطفى الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، كتاب الطب، باب: ما جاء في كراهية الرقية، ح: ٢٠٥٥، ٤/٣٩٣، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٦)() **مسند أحمد** لأحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مصر، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، مسند: المدنيين، حديث: بعض أصحاب النبي ﷺ، ح: ١٦٦١٨، ٢٧/١٦٦. قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله ثقات». **مجمع الزوائد** للهيثمي، علي بن أبي بكر، (ت٨٠٧هـ)، تح: حسام الدين المقدسي، مصر، مكتبة المقدسي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٦م، ٥/٩٨.

وجه الاختلاف:

يُفهم من الحديث الأول أن من اكتوى فقد ارتكب منهياً عنه؛ لقوله ﷺ «فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَوَكُّلِ»، أما الحديث الثاني فيحكي واقعةً تعارض -في الظاهر- ما ورد في الحديث الأول؛ حيث بيّن أنه ﷺ كوى سعد بن زرارة.

من هنا، انقسم الناظرون إلى هذين الحديثين بين مشكّك في أحدهما من حيث الصحة، وبين متوقف لا يدري كيف يوفّق بينهما.

وقد تصدّى لذلكم التوفيق علماء متخصصون عدول، ينفون تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

أقوال بعض أهل العلم:

- ذهب الإمام ابن قتيبة إلى نفي الاختلاف بين الحديثين، وأن لكل واحد منهما موضعه، فإذا وُضع به زال هذا الاختلاف. فقد بيّن أن الكي جنسان: أحدهما: كيّ الصحيح لكي لا يعتل؛ حيث كانوا يفعلونه لولدانهم من غير علّة بهم، يرون أن ذلك الكي يدفع عنهم الأمراض، وهذا هو النوع الذي أبطله رسول الله ﷺ بقوله: «**مَنِ اكتَوَى أوِ اسَترْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَوَكُّلِ**» ؛ لأنهم يظنون أن الكي يدفع قدر الله تعالى.

وأما الجنس الثاني: فكيّ الجرح إذا فسد، وإذا سال دمه فلم ينقطع، وهذا هو الكي الذي أجازه النبي ﷺ بفعله مع سعد بن زرارة لعله كان يجدها في عنقه.[٢٧]

قال الإمام ابن حجر العسقلاني[٢٨]، في تعليقه على الحديث: «ويؤخذ من الجمع بين كراهته ﷺ للكي، وبين استعماله له، أنه لا يُترك مطلقًا، ولا يُستعمل مطلقًا، بل يُستعمل عند تعيّنه طريقًا إلى الشفاء، مع مصاحبته اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى»[٢٩]

ففي قوله: «يستعمل عند تعينه طريقاً إلى الشفاء» تصريح بالجمع بين الحديثين باختلاف الضرورة كما تقدّم.

وقد ذكر ذلك الإمام النووي حين تناول هذه المسألة قائلاً: «وقوله ﷺ ما أحب أن أكتوي إشارة إلى تأخير العلاج بالكي، حتى يضطر إليه لما فيه من استعمال الألم الشديد

---

(٢٧)() انظر: **تأويل مختلف الحديث** لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت٢٧٦هـ)، تح: محمد محيي الدين الأصفر، قطر، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٢٨)() أحمد بن علي بن محمد بن حجر، شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني، الحافظ المؤرخ، الشافعي المذهب، ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ، أخذ العلم عن: سراج الدين البلقيني وابن الملقن، ومن تلامذته: السخاوي، من مؤلفاته: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. توفي سنة ٨٥٢هـ انظر: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** للمزي، يوسف بن عبد الرحمن، (ت٧٤٢هـ)، تح: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ١/٦٦.

(٢٩)() **فتح الباري** لابن حجر العسقلاني، ١٠/١٣٨.

في دفع ألم، قد يكون أضعف من ألم الكي». [٣٠]

فبدا واضحاً أن الحديث الذي أجاز الكي إنما أجازه عند الضرورة، فهو دواء لا يُستعمل إلا عند الحاجة إليه، أما حديث النهي عنه فإنما كان لمن يعتقدون أنه يمنع وقوع المرض، فيكتوون قبل وقوعه.

المطلب الثاني: مسألة في حكم الشرب من فيّ السقاء.

من مقاصد الشريعة حفظ النفس، وقد شرع الإسلام شرائع تصبّ جميعها في مصلحة الناس، منها ما ورد في النهي عن الشرب من فم القِربة أو السقاء؛ حفظاً للشارب من دخول حشرة في فِيه، أو خوفاً من جعل الماء منتنًا بالشرب والتنفس فيه، مما يؤدي إلى وجود ضرر متيقّن.

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ: **نهى عن الشرب من فمِ القِربة أو السقاء.** [٣١]

الحديث الثاني:

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن جدته كبشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فشرب من فيِ قربة معلّقة. [٣٢]

وجه الاختلاف:

يدعّي بعض المتوهمين أن في الحديثين تعارضًا واضحًا؛ حيث ورد النهي عن الشرب من فيّ السقاء في الحديث الأول، بينهما ظهر في الحديث الثاني جواز ذلك بفعله ﷺ، فكان لا بدّ من دفع الاختلاف بينهما بالجمع.

أقوال بعض أهل العلم:

ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذين الحديثين بالنظر إلى حال الضرورة؛ فالحمل عليها أوْلى من الذهاب إلى النسخ أو القول بالتعارض.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني نقلاً عن شيخه: «لو فرق بين ما يكون لعذر، كأن

(٣٠)() **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** للنووي، يحيى بن شرف، (ت٦٧٦هـ)، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ١٤/١٩٣.

(٣١)() **صحيح البخاري** للبخاري، محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ)، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السقاء، ح٥٦٢٧، ص١٤٢٧.

(٣٢)() **سنن الترمذي** للترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الرخصة في ذلك، ح١٩٥٤، ٦/١٣.

تكـون القربـة معلقـة ولم يجـد المحتـاج إلى الـشرب مـاء متيـسرًا، ولم يتمكـن مـن التنـاول بكفّـه، فـلا كراهـة حينئـذ، وعـلى ذلـك تُحمـل الأحاديـث المذكـورة، وبـين مـا يكـون لغـير عـذر فتحمـل عليـه أحاديـث النهـي».[٣٣]

ثـم بـيّن أن أحاديـث الجـواز لا تـدلّ عـلى الرخصـة مطلقـاً، بـل تُحمـل عـلى حالـة الاضطـرار؛ حيـث لا دلالـة في أخبـار الجـواز عـلى الرخصـة مطلقـاً، بـل عـلى تلـك الصـورة[٣٤] وحدهـا، وحملهـا عـلى حـال الـضرورة جمعـاً بـين الخبريـن أوْلى مـن حملهـا عـلى النسـخ.

وممـن قـال بالجمـع بـين الحديثـين كـما نقـل عنـه ابـن حجـر الإمـام ابـن العـربي؛ حيـث ذهـب إلى أن شربـه ﷺ مـن فيّ القربـة يحتمـل أن يكـون في حـال ضرورة إمـا عنـد الحـرب، وإمـا عنـد عـدم الإنـاء، أو مـع وجـوده لكـن لم يتمكـن كونـه مشـغولاً مـن إفـراغ المـاء مـن السـقاء في الإنـاء.[٣٥]

فمـمّا تقـدم، يبـين لنـا عـدم وجـود تعـارض بـين الأحاديـث الثابتـة الصحيحـة؛ فأحاديـث الإباحـة تحمـل عـلى الـضرورة عنـد عـدم وجـود إنـاء، أو أن لا يمكـن مـن التفريـغ، ويبقـى النهـي قائمـاً عنـد عـدم وجودهـا منعًـا لوقـوع ضرر.

الخاتمة:

بعـد هـذه الجولـة المختـصرة عـلى أمثلـة مـن أحاديـث ظاهرهـا التعـارض، وإثبـات عـدم وجوده، نختـم في خاتمـة فيهـا أهمهـا النتائـج والتوصيات.

أولاً: أهم النتائج:

- ليـس هنـاك اختـلاف حقيقـي بـين الأحاديـث النبويـة، وإنمـا الاختـلاف عائـد أولاً إلى نظـر المجتهـد، الـذي مـا يلبـث أن يزيلـه بعـد تأمـل وبحـث.

- علـم مختلـف الحديـث علـم مهـم للمحـدّث والفقيـه حتـى يتمكنـا مـن إزالـة الشـبهات التـي يثيرهـا أعـداء الإسـلام ويلقونهـا في أذهـان العامـة للتشـكيك في السـنة النبويـة.

- مـن أوجـه الجمـع بـين الأحاديـث، وجـه الجمـع حالـة الـضرورة؛ وذلـك عنـد الحكـم بالإباحة، ويبقـى النهـي عـلى ظاهـره عنـد انتفائهـا، وهـذا الوجـه -أعنـي وجـه الجمـع حالـة الـضرورة- مـن الممكـن تعديتـه إلى كثـير مـن الأحاديـث المختلفـة.

(٣٣)() انظـر: **فتـح البـاري بـشرح صحيـح البخـاري** لابـن حجـر العسـقلاني، أحمـد بـن عـلي، (ت٨٥٢هــ)، تـح: محيـي الديـن الخطيـب وآخريـن، القاهـرة، دار الريـان للـتراث، ط١، ١٤٠٧هــ-١٩٨٧م، ١٠/ ٩٤.

(٣٤)() أي حين تكون القربة معلقة ولم يجد المحتاج إلى الشرب ماء متيسّرا.

(٣٥)() انظر: **فتح الباري** لابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٩٤.

ثانياً: التوصيات:

بعد استعراض أهم النتائج المستخلصة من موضوع مخلف الحديث، أوصي في البحث عن مخطوطات تناولت هذا العلم، وتحقيقها تحقيقًا علميًا.

كما أوصي بإعداد دراسات حديثية في هذا الفن، تجمع الأحاديث المتعلقة بمواضيع معاصرة، ثم تعمل على دفع الاختلاف فيها بأسلوب يناسب هذا العصر.

قائمة المصادر والمراجع:

- **الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة للكنوي**، محمد عبد الحي، (ت١٣٠٤هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٣٤٨هـ-١٩٢٨م.

- **الإحكام في أصول الأحكام** لابن حزم، علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ)، تح: أحمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ط.ت.

- **اختلاف الحديث** للشافعي، محمد بن إدريس، (ت٢٠٤هـ)، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق** للنووي، يحيى بن شرف، (ت٦٧٦هـ)، تح: عبد الباري فتح الله، السعودية، مكتبة الإيمان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

- **البرهان في أصول الفقه** للجويني، عبد الملك بن عبد الله، (ت٤٧٨هـ)، تح: صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- **تأويل مختلف الحديث** لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت٢٧٦هـ)، تح: محمد محيي الدين الأصفر، قطر، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

- **التقرير والتحبير** لابن الموقت الحنفي، محمد بن محمد (ت٨٧٩هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** للمزي، يوسف بن عبد الرحمن، (ت٧٤٢هـ)، تح: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

- **توجيه النظر إلى أصول الأثر** للجزائري، طاهر بن صالح، (ت١٣٣٨هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- **سنن الترمذي** للترمذي، محمد بن عيسى، (ت٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرين، مصر، مطبعة مصطفى الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

- **سير أعلام النبلاء** للذهبي، محمد بن أحمد، (ت٧٤٨هـ)، مصر، دار الحديث، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- **شذرات الذهب** لابن العماد، عبد الحي، (ت١٠٨٩هـ)، تح: محمود أرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- **صحيح البخاري** للبخاري، محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ)، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- **طبقات الشافعية الكبرى** للسبكي، عبد الوهاب، (ت٧٧١هـ)، تح: محمود الطناحي، مصر، هجر للطباعة، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ)، رقّم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

- **الكفاية في علم الرواية** للخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت٤٦٣هـ)، تح: إبراهيم حمدي، السعودية، المكتبة العلمية، د.ط.ت.

- **لسان العرب** لابن منظور، محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ)، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- **مسند أحمد** لأحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مصر، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس، أحمد، (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، سوريا، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- **مقدمة ابن الصلاح** لابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، (ت٦٤٣هـ)، تح: نور الدين عتر، سوريا، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- **مقدمة في أصول الحديث** للدهلوي، عبد الحق، (ت١٠٥٢هـ)، تح: سليمان الندوي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** للنووي، يحيى بن شرف، (ت٦٧٦هـ)، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير، المبارك بن محمد، (ت٦٠٦هـ)، تح: محمود الطناحي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩.

Professional Master in Algerian Universities

الماستر المهني في الجامعات الجزائرية

أ.د. عبد الله صحراوي[1]
الأستاذ المساعد بوتخيل قميد

الملخص

شهد قطاع التعليم العالي في الجزائر تحولات جذرية بفعل الإصلاحات الأخيرة التي تم إدخالها والتي نتجت عن تطبيق نظام (L.M.D) بديلاً عن النظام الكلاسيكي منذ عام ٢٠٠٤. وكان هذا التحول نتيجة لبعض العوامل الخارجية والداخلية التي دفعت الجزائر نحو تبني نظام (L.M.D)، مثل عولمة قطاع التعليم العالي وضرورة تكييف قطاع التعليم العالي مع سوق العمل. ويتكون نظام (L.M.D) من ثلاث مراحل أساسية: درجة الإجازة (ثلاث سنوات)، ودرجة الماجستير (سنتان)، والدكتوراه (ثلاث سنوات). بعد الانتهاء من درجة الإجازة، تقدم الجامعات الجزائرية عدة برامج دراسية لطلاب البكالوريوس من أجل تحقيق ما بعد التخرج في الدراسات الجامعية، بدءًا من درجة الماجستير. ومع ذلك، فإن معظم برامج الماجستير أكاديمية بطبيعتها، وبرامج الماجستير المهنية غائبة في الغالب.

تناقش هذه الورقة واقع برامج الماجستير المهني في الجامعات الجزائرية من خلال دراسة تحليلية وإحصائية من أجل التعرف على معوقات برامج الماجستير المهني وآفاقها في الجامعات الجزائرية.

Abstract:

The higher education sector in Algeria has been radically transformed by the recent reforms that have been introduced and which resulted by implementing the L. M. D. system as a substitute for the classical system since 2004. This transformation was due to some external and internal factors that forced Algeria to move towards adopting the L. M. D. system; such as globalizing the higher education sector and the need to adapt the higher education sector to the labor market. The L. M. D. system comprises three basic stages: License Degree (three years), Master Degree (two years), and Ph. D (three years). After the completion of the License degree, Algerian universities offer several study programmes for the bachelor students in order to achieve the post- graduation in university studies, starting with Master Degree. However, most of the Master programmes are purely academic in nature, and the Professional Master programmes are mostly absent.

The present paper discusses the status of Professional Master programmes in the Algerian universities through an analytical and statistical study in order to identify the obstacles of the Professional Master programmes and its prospects in the Algerian universities.

Keywords: L .M .D system, Higher education, Professional Master programmes.

(١) أستاذ التربية والأنظمة التعليمية
Professor of Education and Educational Systems
جامعة محمد لامين دباغين بسطيف ٢
University Muhammed Lamine D'beghine, Setif 2

1. INTRODUCTION:

The Algerian university has undergone three reforms since 1998: the management reform of the university; the reform of higher education adopted by the government on 30 April 2002, and the reform of the public service which would affect the special status of university professors of the administrative and technical staff.

The first two reforms took place in a university that has been experiencing a multidimensional crisis for two decades, and by the context in which it is embedded, these are neo–liberal reforms which will be based on several axes: deregulation and the dismantling of the university public service, the reduction of public expenditure in the higher education sector and the opening up of the market. They aim to adapt Algerian higher education to the road map of neo–liberal globalization within the framework of the association agreement with the EU, and; thus, transforming the public university into a productive university which acts to play a major role in economic growth and social development and welfare.

The L. M. D. (License/ Master/ Doctorate) reform came into effect since the beginning of the academic year 2004–2005 in Algeria, and it initially affected 10 universities before it was totally adopted by the rest of university institutions. The L. M. D. system provides several options for students to pursue their studies from undergraduate to graduate and postgraduate levels. At the graduate level, students enroll in master's studies which enable them to access job and life career. We can differentiate between academic and professional master's degrees. On one hand, academic master's degrees permit students to enroll in Ph. D. stage. On the other hand, professional master's degrees offer job opportunities and employment for university graduates because they already had professional expertise while conducting trainings in professional master's studies.

With the advent of globalization in the third millennium, most of the universities in the world have turned towards professional master's education in response to labor market demands and needs. This evolution in university's role can only be explained to the fact that universities nowadays cannot remain only a knowledge depository and much concerned with fundamental research. In modern times, universities' role is to lead economic growth, innovation in industry, and promote social progress.

In regard to Algerian higher education sector, the ministry of higher education has been investing efforts to promote the quality of teaching and learning at universities

through new syllabi and curricula so as to keep pace with the latest developments and innovations in higher education at global context.

As for master's education, it is noticeable that Algerian universities have been offering master's to graduates since the academic year 2007/ 2008. However, the emphasis is only on academic master's offers at the expense of professional ones.

The present paper analyses the status of professional master's offers in Algerian universities taking into account the following research questions:

- What is the status of professional master's offers in Algeria universities?
- Why professional master's offers are mostly absent in Algerian universities?
- What recommendations can be made in order to promote professional master's education in Algerian universities?

2. Overview of evolution of higher education sector in Algeria:

The system of higher education in Algeria emerged during the French colonization. In 1859, a High School of Medicine and Pharmacy was established first, and then a School of Law followed in 1879, and lastly a School of Arts and Sciences. In 1909, the aforementioned schools were merged into the University of Algiers, and it was ruled and administered as its predecessor in France (Ramoune, 1998).

The University of Algiers is considered the first modern Arab University, and during the French occupation, it only served the European settlers in Algeria. In fact, studying Arab language, culture, and its literature was not authorized because of the threat to it posed to those settlers. At first, the lectures were initially provided to European students; however, on June, 10, 1888, the French Minister of War issued a memorandum which required to accept non–French students; such as the Turks, Algerians, Muslims, and Jews to enroll and study at the University of Algiers. Currently, the University is named after Youssef Ben Khada who was the second president of the Algerian interim government during the Revolutionary era. He joined the University in 1943 after being a member of the Algerian People's Party in 1942. He was an outstanding student at the University; He graduated in 1951 with a B. A. in pharmacy ("Overture on university: The University of Algiers ... A rich history in education and struggle", 2014).

Generally, the Higher Education sector has evolved into the following four stages:

The first phase (1962– 1971):

This stage was characterized by a set of policies which were taken by the Algerian government following independence. Amongst these important policies:

- Making education universal for all sort of people,
- Educating women,
- Making education purely national (Algerian in sense),
- Liberating education from both cultural and technological dependency,
- Relying on national competencies and staff,
- Implementing Arabization policy of education in primary and secondary schools (Al Daoudi and Benzergua, 2015, p. 17).

The second phase (1971– 1988):

This is a stage in the process of education is so important because of the policies which were taken and which made a progress in the sector. Basically, this stage is characterized by the following measures:

- Adopting reforms' policy, in 1971, which aimed at developing and modernizing teaching methods, curricula, and syllabi,
- Opening specialized universities in science and technology (University of Bab Ezzouar)
- Democratizing of education which aimed to provide education facilities to all Algerians regardless of their ethnic and social backgrounds,
- Forming large staff and competencies in order to contribute in developmental processes
- The emergence of the Ministry of Higher Education and scientific research and the rehabilitation of the system of faculties, and accordingly the Algerian University was divided into faculties and institutes (Al Daoudi & Benzergua, 2015).

The third phase (1988– 1999):

This stage witnessed some significant developments in the evolution of higher education. These were as follows:

- Nationalization process of the higher education sector (in both teaching and working staff),
- Expansion of universities' building and the development of teaching methods, syllabi, and curricula,

☐ Implementing the Arabization process in the field of humanities and the establishment of research centers and laboratories (Al Daoudi & Benzergua, 2015).

The fourth phase (1999–):

In this stage, the Higher Education sector has witnessed great improvements because of the following achievements:

☐ Adopting the L. M. D. system since the academic year (2004/2005) under Decree N° 371/04 of Nov. 21, 2004 ('Official journal of the People's Democratic Republic of Algeria universities', 2004, p. 10),

☐ The expansion of the universities' network to comprise 90 university institutions covering 47 states (universities, university centers, and high schools),

☐ The rise in the reception of pedagogic capabilities to more than 1.100.000 seat so as to receive more than 1,320,000 students,

☐ Creating poles of excellence to encourage scientific research in April 2010 following the signing of resolution of scientific research in Africa by Thomson Reuters, in Engineering, Chemistry, Energy, Mathematics, and Physics; awaiting for other poles in Sociology, Agriculture, Economics, Science, and Medicine.

☐ Expanding the network of research laboratories and centers which now exceeds 880 centers and labs,

☐ Covering Internet debit into faculties and institutes of the national university network by connecting these university institutions and research centers with the national university network (Academic Research Network) (Al Daoudi & Benzergua, 2015, p. 18).

As a consequence, this evolution of Algerian Higher Education sector has resulted in some significant changes and noticeable transformations which can be cited as follows:

• Extension of the Algerian university network: Nowadays, consists of eighty– four higher education institutions; spread over forty– six wilayas across the national territory. There are thirty– six universities, fifteen university centers, sixteen High National School of graduate, five High National Schools for professors, and ten preparatory schools.

• **Constitution of the Algerian teaching staff**: In 2016, the number of teachers reached

to 54.000, compared to only 82 in 1962. This in fact, can be referred to the algerianisation process of Higher Education which was 100%.

• Female representation: Women's number keeps rising in society, both as students and as teachers. The proportion of the females' representation rose from 22.87% to 50.31%, compared to the males' representation. Nowadays, the female component has become the majority (Guerid, as cited in Benmati, pp– 98– 9).

3. The L. M. D. System: Definition, history, and objectives:

To deal with, "L. M. D." is the acronym for the group of words "License– Master– Doctorate". The system LMD is basically called for a 3– 5– 8 system time, by reference to the number of years after the Baccalaureate: 3 for a bachelor's degree, 5 for a master's degree and 8 for a doctorate.

It is the appropriation by the Europeans of the architecture of the university curriculum in force in the Anglo–Saxon countries: USA and United Kingdom. The L corresponds to a Bachelor's degree (BA), the BA (Bachelor of Arts, equivalent to the license, issued in the US and the UK four years after the baccalaureate). The M corresponds to a Master's degree, ie MA (Master of Arts) equivalent to the Bac + 5, which in Anglo–Saxon countries is the level for long, in–depth studies and specialization such as professional responsibilities; it is also the level of diploma required to start training in research by preparing a thesis. The D corresponds to doctorate (bac + 8) is the Ph. D., sanctioned by the title of "Doctor".

Fig. 1: Scheme of study steps before and after LMD reform.

Historically, the LMD is the francophone version of the Bachelor– Master– Philosophia Doctorate system, which is Anglo– Saxon in origin. After the creation of the UE, a solid political and economic organism for Europe, more attempts and steps were made to found a common academic model for betterment of higher education system, improving the quality of teaching, and recognition of academic diplomas in European countries.

The European continent was the initiative of the process of harmonization of higher education systems in the late 1990s. It was an intergovernmental initiative built by four countries; France, Italy, Germany and the United Kingdom, which in May 1998 participated in the Sorbonne Conference. The Ministers of Education of the above–mentioned countries signed the Sorbonne Declaration on 25 May 1998 calling for the recognition of diplomas and their harmonization in a two–cycle model: undergraduate and gradu–

ate.

Adoption has the following consequences:

• Human mobility in education and the labor market;

• Fluidity: moving from one path to another;

• Flexibility: facilitates the resumption of studies and the recognition of periods with lifelong education;

• Readability: to increase the readability of European higher education courses at international level. (‘Histoire et Objectif du LMD’, 2010)

The LMD system, which is nowadays largely adopted in Europe, is carried out within the framework of the “Bologna process” by which it refers to the European process of harmonization of higher education. Born in Paris, in the Sorbonne, in May 1998, by an initiative of Claude Allègre, Minister of Higher Education of France, the LMD was first associated with Germany, Italy, and UK. This first step was followed by the Bologna Conference in June 1999 to develop an implementation plan in order to achieve the objectives set at the Sorbonne conference (‘Histoire et Objectif du LMD’, 2010).

On June, 19, 1999, the Ministers of Education of 29 European countries, meeting in Bologna, Italy, signed the Bologna Declaration on the future of higher education in Europe. Nowadays, 40 European countries are involved in this process which aims is to (1) establish a European higher education area in which teachers, students and graduates will be able to move easily, and to (2) benefit from a fair recognition of their qualifications.

Accordingly, the reform LMD sought to harmonize the architecture of the higher education sector in the period (2002– 2010) within the following basic principles:

• Higher education to be in service of the European community;

• University’s autonomy is a necessary condition;

• **Assuring quality in education is a key success. (Crosier and Parveva, 2014, pp. 21– 2)**

By affirming their adherence to the general principles of the Declaration of Sorbonne, the European ministers of education (of the four countries) affirmed that “We should provide both our students and our society as a whole a higher education system that offers them the best chance of find their own area of excellence” (“Harmoniser

l'architecture du système européen d'enseignement supérieur", 2004). Therefore, they undertook to coordinate their to reach six main objectives which are of primary interest for the creation of a common area for European Higher Education and a promotion program for the said system (LMD) on a global scale. The six general principles of the Bologna Declaration are as follows:

- Creating a comparable and readable system of diplomas, in particular through the "Diploma Supplement", detailed appendix describing studies the results achieved;
- Founding a structure of studies based on three cycles;
- Generalizing the credit system or European Credit Transfer System (ECTS), which can be used within the entire European Higher Education;
- Creating mobility for students, teachers, researchers, others personnel;
- Evaluating the quality of the education system, which is the basis mutual recognition and mobility;
- Establishing a European dimension of education and awareness rising among students to European citizenship.

Following the meeting of the universities of Salamanca in March 2001 and the Prague Conference in May 2001, 34 countries engaged in the process. The Ministers adopted the Prague Communiqué which set out the following principles and priorities:

- adoption of a system of easily readable and comparable diplomas
- adoption of a system based on two curricula
- establishment of a credit system
- promotion of mobility
- promotion of European cooperation in quality assessment
- Promoting the European dimension of higher education
- Lifelong learning
- Higher education institutions and students
- Make the European Higher Education area attractive.

This process was followed by the Berlin Conference in September 2003 in which the European ministers of higher education decided to accelerate the process and to ex-

tend it to the doctoral cycle in order to deepen the links between the European education and research areas ('The Berlin Communiqué', 2003).

Three imperative objectives are set for the year 2005 in the Berlin Communiqué:

- Implementing of a two– cycle system,
- Providing a free and automatic issue of a diploma supplement,
- Establishing a quality assurance system. (Crosier & Parveva, 2014, p. 43)

In Bergen, a new communiqué was signed in May 2005 following this initiative in Berlin. The Bergen Conference (May 2005) set the following objectives and priorities:

- implementation of references and guidelines for quality assurance;
- implementation of national qualifications frameworks;
- issuance and recognition of joint degrees, including at the doctoral level;
- creation of opportunities for flexible courses of training in higher education, including the existence of provisions for the validation of prior learning ('The Bergen Communiqué', 2005).

The reform LMD contains the following characteristics:

- Transversality of basic formation in both 1st and 2nd year of Bachelor degree;
- Flexibility in formation (flexible curricula);
- Reorientation if necessary for every semester: Students who have difficulties in Semester one will have the proposal to follow a particular Semester 2 in which they will able to develop their scientific skills.
- The teaching units (UE) are capitalized and transferable:

– The teaching units (UE) are compulsory, ''Fundamental'': Theses are either to diversify or to deepen a specific knowledge;

– The teaching units (UE) ''Discovery Units'' are to very diverse fields; such as, History and Philosophy of Science, the stakes of society; Sport, culture, Community involvement; Languages; and Cultural Studies.

Within the framework of the LMD reform, a particular emphasis is given to (1) the teaching of languages through the compulsory learning of at least one foreign language, and (2) the development of Information and Communication Technologies.

On the academic level, the main objective of the LMD system is the harmonization of the circulation of knowledge and pedagogical models which, under the effects of globalization, are bound to be prevalent everywhere. Once restructured, the training offer allows for the adoption of a system of diplomas easily readable and comparable (thanks in particular to the appendix of the diploma), the creation of mobility, the promotion of regional cooperation and the scientific, cultural, and social partners. The system organizes semester courses on the basis of teaching units; such system is also a solution to the white or invalid years. The system implements credits and transferable credits in the event of national or international mobility.

As far as the organization of the LMD system is concerned, studies are structured in three cycles according the figure below.

Fig. 2: Organization of study phases within LMD.

In regard to the organization of teachings in LMD, it is structured into domains, options, and in specialties.

• **Domain**: It covers several disciplines that reflect the major fields of competence of the institution. For example:

☐ **Law**: this area includes the disciplines of Labor Law, Constitutional Law, etc ....

☐ **Letters** and foreign languages: This area brings together the disciplines of history and civilization, literature, linguistics, etc ....

• **Field**: this is a subdivision of the formation of the domain. It can be:

☐ **Mono– disciplinary**: as, for example: literature, civilization, grammar, culture of the language.

☐ **Bi– disciplinary**: as, for example: mathematics–computer science.

☐ **Multi– disciplinary**: as, for example: Electronics.

• Specialty: It is a subdivision of field. It appears in L2 or M2 to specify the course of a student. It corresponds to a profession or a professional purpose. For example :

☐ **Field**: History & Civilization;

☐ **Specialty**: History of the United States, History of England.

The LMD reform, based on the three levels of formation: License– Master– Doctorate,

came to meet these objectives. The University delivers three degrees and diplomas common to all European countries. These are as follows:

– The License (Bac + 3)

– The Master (Bac + 5)

– Doctorate (Bac + 8)

The License is equivalent to 6 semesters, the Master to 4 semesters (which makes 10 semesters in total counting the years of License). Each semester corresponds to a specific number of Teaching Units.

At the license level, the student, after having his baccalaureate certificate, can enroll in a training course which leads him to the license (L1, L2, L3) which takes place over six semesters validated by 180 credits. There are two types of licenses:

• **Academic License**: it leads to the preparation of a Master degree;

• **Professional License**: It is reserved for specialties with a goal of entry into the working life.

The Master level is conducted within 4 semesters, which is the equivalent of 120 European credits. It has 10 semesters and 300 credits in total, taking into account the License level. A Master's degree is awarded at the end of the first two semesters of Master (M1).

The Master which combines the two semesters M1 and the two semesters M2 leads to the standard courses comprising:

☐ A career path with a professional degree that gives a qualification for entry into working life;

☐ A research– oriented pathway, awarding a Master's degree in research leading to the pursuit of studies leading to a doctoral degree.

At the doctorate level, a doctoral degree will be awarded at a level corresponding to the award of 180 European credits. This is the highest diploma of the LMD system; it is issued after the defense of a thesis that is prepared during six semesters. The LMD system is basically founded on two axes according to the table below:

Semesterisation	Capitalization
• Teaching is organized in semesters. The semester; thus, becomes the periodic duration of teaching. • Each semester includes: a fixed number of weeks for teaching and assessment (on average 14 to 16 weeks for each semester). • The three grades correspond to courses in semesters: • License: 6 semesters • Master: 4 semesters • Doctorate: 6 semesters	• The contents are divided into teaching units (UE) which the student has to acquire and has to capitalizes (final validation). • An EU constitutes an autonomous subdivision within a course: it is a coherent whole involving one or more disciplinary fields. • Each EU has a value measured in credits. • An appropriation corresponds to the work (courses, internships, dissertation, etc. + personal work) required to the student achieves the objectives of the EU. • One credit – 20 to 25 hours (in average) • Each semester includes 30 credits: • License – 180 credits • Master – 120 credits • Doctorate – 180 credits

Table 1: The axes of the LMD system.

- **A pedagogical axis: capitalization:**

The LMD system aims to enable the learner to construct a course adapted to his/ or her capabilities and needs. In order to do this, the teaching must be flexible. i. e. They should be constituted by elements that learners could combine in differentiated paths: Capitalizable units. A capitalizable unit (teaching unit, EU) is an autonomous and coherent subdivision within a curriculum. The lessons of a unit can take different forms: lectures, tutorials, practical work, field work, research, face–to–face teaching, distance learning, or combining these different forms.

Within the teaching courses, the units are definitively acquired and capitalizable once the student has obtained the required average. The student can; therefore, study by choosing the content most suited to his/ or her profile and objectives, and in the time that suits him best. This greatly increases his chances of success.

University courses are now organized in semesters. The academic year breaks down into two semesters that are organized as follows:

- First semester: from early October to the end of January;
- Second semester: from early February to the end of May;

Through this organization in semesters, the reform aims at a better distribution of the workload and a greater flexibility: the students should be able to alternate periods of study and work. The notion of redoubling would thus disappear.

The pedagogical organization at the LMD is based on the teaching unit. It combines different subjects taught in a semester. The latter comprises several teaching units which are divided into:

- **Fundamental unit**: it is a major discipline essential to the specialty to strengthen the basic knowledge;
- **Complementary unit**: it is a minor discipline to reinforce the major discipline.
- **An institutional axis**: the LMD cycles and the semesterisation process:

The LMD system is an institutional response insofar as its application requires that the whole university opts for a homogeneous system of presentation of teaching: Curriculum of studies, durations of semesters, minimum volume of one unit, and titles of diplomas. This institutional response in fact allows the learner not to be blocked in a single type of training: all the training offer of the university is at his disposal to constitute his own course.

For the flexibility of the formation pathways to be effective, all the curricula must fit within a relatively homogeneous framework. This is made possible by the structuring of all courses in three cycles and semestriasation (by semester).

The course is a progression, within a coherent set of subjects, adapted to the personal and professional project of the student. Thanks to an educational organization offering compulsory courses and optional courses, the student prepares his/ her course, in agreement with the pedagogical team, with a view to a mention of a given diploma.

A well-constructed course is a path that combines fundamental units and complementary units as follows:

The credit system offers a validation unit that can be readable in the European Higher Education context. Each validated (UE) gives rise to a certain number of credits, based on a maximum of 30 credits per semester (60 per year).

The credit value attributed to the (UE) takes into account the amount of work that the student must provide in order to obtain this (UE): volume of teaching/ or instruction followed but also personal work, examination time... etc.

The credits acquired are definitively capitalizable. They are transferable (subject to acceptance by the teaching staff) in France and in Europe, that is to say, they allow the student to recognize the course already achieved and to pursue his/ or her course in an establishment without restarting the entire course.

Institutions can choose different types of (UE) depending on their formation needs; however, in general, there are four main types of training offered by the (UE):

☐ Fundamental Units: They correspond to the lessons that all students must follow;

☐ Transversal Units: They contain lessons intended to give tools to students of different origins: language, computer science, mathematics, human rights, cultural and sports animation ... etc.

☐ Discovery Units: These are reserved for certain students to deepen his knowledge or for professionalization;

4. The L. M. D. System and its implementation in Algerian higher education sector:

Algeria's higher educational sector has noticed two major reforms since the independence era to adapt to the needs of Algerian society. This was marked by a number of reforms, including the reform of 1971, which radically restructured higher education by addressing the following challenges:

- The provision of technological and scientific elite capable of responding to the development concerns of the country;
- Algerianization and arabization of higher education sector.

However, the Algerian university experienced an important dynamic of growth which led it to count for the academic year 2008/2009:

- 60 Higher Education Institutions, including 34 Universities;
- 1,100. 000 students;
- Approximately 45,000 students in Doctoral and Magister programs;
- More than 27,500 teachers, 15% of whom are lecturers.

This rapid growth has created multiple constraints, both in structural terms and in ensuring the quality of training and its adaptation to changes in the socio-economic world. In order to respond to these dysfunctions, several commissions have been established since the 1980s. Thus, conclusions have been regularly drawn up to highlight deficiencies affecting different aspects of the system. These include:

- over-staffing for insufficient supervision;
- significant failure and wastage rates and low training yields;
- weak dynamics of program renewal;

• virtually non–existent relationships with the socio–economic environment;

• over–centralized management of university life.

These findings have demonstrated the urgency and the need to equip the Algerian university with the educational, scientific, human, material and structural means that will allow it to meet societal expectations while aligning itself with the new trends and trends in the world Higher Education. It is in this perspective that the new reform of higher education, known as the 'reform LMD' was implemented.

The LMD system was adopted, while confirming its public nature, to reaffirm the essential principles underlying the vision of the missions devolved to the Algerian university, namely:

• To provide quality training, taking care of the satisfaction of the legitimate social demand for access to higher education;

• To realize true osmosis with the socio–economic environment by developing all the possible interactions between the university and the world around it;

• develop mechanisms for continuous adaptation to changes in the business lines;

• To consolidate its cultural mission by promoting the universal values expressed by the university spirit, in particular those of tolerance and respect for others;

• To be more open to global developments, particularly those of science and technology;

• To encourage and diversify international cooperation in the most appropriate ways;

• To lay the foundations for good governance based on participation and consultation.

Algeria has adopted the LMD system for the following reasons:

* place the Algerian university in a global configuration;

* for a strategy of appropriation of knowledge and mastery of technology;

* to make the university perform well in a global context dominated by innovation, creativity and competitiveness.

The LMD system responds to:

– Knowledge of diplomas at the international level in the development of the profes–

sionalization of higher education;

– The organization of the training offer;

– Improvement of pedagogical quality, information and guidance;

– Promote the learning of cross–curricular competencies.

Being initially designed in the Anglo– Saxon countries, the Algerian policymakers decided to implement L. M. D. reform in partial replacement of the previous classical system. In the academic year 2004– 2005, Algeria has joined the rules and principles of the Bologna Process by adopting the L. M. D. principles (License, Master, and Doctorate). The philosophy of teaching under the new architecture stipulated that more space is given to the learners' output and mobility.

Continuous education and training became a tremendous imperative for all successful learning using Information and Communication Technology. As far as the English section is concerned, the L. M. D. system began to be first implemented in the academic year 2007– 2008; the year when the English department was officially opened.

It is worth to mention that this new higher educational system changes the overall length of university studies: It reduces the degree from four to three years. Also, the deployment of L. M. D. aims at students' mobility and recognition of the degree in every part of the country and even abroad.

As stated in the abbreviation, "L" refers to License, "M" to Master and "D" refers to Doctorate degree. Within L. M. D., studies are structured as follows: the License degree consists of three years, the Master degree is organized in two years, and the Doctorate (Ph. D) degree comprises three years.

The main goals for adopting the aforementioned L. M. D. system in Algerian universities are: (1) the adoption of a system of easily readable and comparable degrees, and (2) the establishment of a system of credits for promotion of mobility for students and academic and administrative staff. Also, it aims at harmonizing the Algerian higher education system, with the rest of the world.

The three phases of the L. M. D. system are cited in the table below:

Phase	Semester	Degree obtained
Lisence	6	B. A
Master	4	M. A.
Doctorate	6	Ph. D

Table 2: The phases of L. M. D. system. Source: Adapted from: Mellouk, (2013).

It is worth to mention that within the L. M. D., there new elements that appear in managing the teaching process. These are Semestrialization (S), and Educational Units (EU). Since studies are organized into semesters to relax the organization of training programmes, students are expected to attend around 400 hours in a 16 week period (i. e. 25 hours per week). Lessons, on the other hand, are grouped into educational units; namely, Fundamental, Methodological, Discovery and Transversal (Mellouk, 2013, p. 85).

Table 3: English curriculum Educational Units and Modules within the L.M.D. system (Third year License degree). Source: Adapted from: Mellouk, (2013).

5. Overview of master's degree:

L. M. D. is a higher education system which is operated by developed countries; such as, France, the US and other countries. The L. M. D. is mainly based on a special program: semesterisation which is the organization of studies and curricula into semesters. Many Arab and European countries have adopted the L. M. D. reform in higher education in response to the reasons for improving the quality of higher education and giving higher education certificates a global value.

The L. M. D. system is based on three stages of formation, and each phase is awarded with a degree as follows:

- ☐ Licence: Baccalaureate +3 Bachelor's degree;
- ☐ Master: Baccalaureate + 5 Master's degree;
- ☐ Doctorate: Baccalaureate +8 Ph. D

Originated from the Latin word 'Magister Artium' or 'Artium Magister', a master's degree is the most commonly taken postgraduate qualification. It is above the Bach–

elor's and below the Doctoral level; it is awarded to students who show a high level of expertise in their field. Study at the master's level is always intense and typically involves writing a dissertation, or thesis. It typically lasts for between one and four years, depending on the field and mode of study.

A master's degree is a second– cycle academic degree awarded by universities or colleges upon completion of a course of study which demonstrates mastery or a high– order overview of a specific field of study or area of professional practice.

A master's degree requires previous study at the bachelor's level, either as a separate degree or as part of an integrated course. Within the field of study, master's graduates are expected to possess advanced knowledge of a specific topic, high order skills in analysis, critical evaluation, professional application, and the ability to solve complex problems ('Master's Degree', n. d.).

Being the second phase in educational level, a master's degree provides learners and students with a viable to further their knowledge of a particular subject, explore other areas of interest after having completed an undergraduate degree, or improve their career prospects. The nature of master's degree programs indicate that students must be prepared for an intensive learning experience that incorporates their undergraduate studies.

In terms of study credits, the standardized European system of higher education specifies students must have 90–120 European Credit Transfer and Accumulation System (ECTS) credits, while in the UK it takes 180 credits to complete a master's program, and 36 to 54 semester credits in the US.

Since master's degree provides mastery or high– order overview of a relevant field of study, graduates of a master's degree possess a range of academic criteria such as:

- advanced knowledge of a specialist body of theoretical and applied topics;
- high order skills in analysis, critical evaluation and/or professional application through the planning and execution of project work or a piece of scholarship or research;
- creativity and flexibility in the application of knowledge and skills to new situations; and
- the ability to solve complex problems and think rigorously and independently. ('Master's Degree', n. d.).

Compared to undergraduate degrees, masters' degrees are usually:

- ☐ focused on one particular area of a wider subject, giving students a greater amount of specialist knowledge;
- ☐ more flexible in terms of modules and study options;
- ☐ more intense, advanced and faster–paced;
- ☐ smaller in terms of class size;
- ☐ cheaper, but more expensive than postgraduate certificates, diplomas, and PhDs.

As for master studies in Algerian universities, it is linked to laws issued by the Ministry of Higher Education of which the most important is Law N° 06 of 3 Dhul–Qa'da 1431 Hijri corresponding to October, 11, 2010, which relates to enrollment in master studies for the academic year 2010– 2011. The aim of this law is to determine the general rules applied in the field of registration in the second phase studies of the master's degree during the academic year 2010– 2011. In general, the process of registering and conducting studies in the master goes through the following steps:

The masters' programmes are opened, either academic or professional, after having been prepared in a special code and proposed by a committee at the level of the department of the University's faculty. This committee which is composed of specialized teachers in the field in the department prepares the master programmes by indicating the field and specialization to be taught in the composition together with teaching staff and the subjects/ or modules to be taught in the master programmes.

After the master's programme is approved by the scientific committee of the department, the scientific council of the faculty, and the scientific council of the University, the offer than passes to the Conférence Régionale for approval. After that, the masters' programmes are approved and then indicated at the National Symposium of Universities. Following the Ministry's approval, a special leaflet is issued by the Ministry of Higher Education which indicates all the Masters' offers approved by the Ministry, with reference to the specialization, the type of master, as well as the University authorized to open the master programmes.

The university will, then, publish the master's announcement for the next academic year in order to receive the students' files and study them by the scientific committee of the department. As for registration in master, the above– mentioned ministerial circular states that the university that proposes the master study should register 97% of its

students who are recently graduated with their Bachelor's degree (third year students), and 3% of students who were previous graduates and from outside the University by order of merit.

The registration period for the master's degree runs from June to July each year, and studies start at the beginning of the new academic year at Universities in September. The first semester ends in the January and is followed by examinations of the first semester. The second semester begins in February and ends in June during which exams of the second semester are organized.

The third semester in master's studies begins with the new academic year in September and ends in January. Students are; then, given the opportunity to complete their master dissertations for submission in order to graduate and obtain their master degree.

6. Professional master's degree: Definition, characteristics, and objectives:

Just after a Bachelor's degree, which is undergraduate level of education, the master's degree imposes a final choice of orientation for graduate students. In two years, the master offers students a complementary specialized formation which broadens their knowledge and their future career prospects. Also, a master's degree facilitates access to a working position or a career abroad.

Generally speaking, there are two types of master degrees: Academic master and the professional master. The academic master; namely, master of research, is best recognized of course-based master degree which corresponds to studies leading to the Doctorate degree.

Course- based master's degrees are based on structured course modules taught through lectures, seminars, laboratory work or distance learning. Its main components are research, dissertation writing, teaching, etc... . It is very focused on theory and fundamental research.

On the other hand, a professional master degree, as its name indicates, is research-based master programme which focuses on the professional field to direct graduates to operational positions in company. It requires graduate students to carry out their own research project(s) in a specialized field of study. Professional master's degrees normally take a little longer than academic master's degrees to complete. In fact, for the same specialty, the difference between the two types of master in terms of teaching is not very great; however, the tendency exists in the future career of both

types of master.

The term professional is used to describe master's degrees which are certainly not new. Master's degrees for professional careers have been a feature of both European and North American graduate education for decades. It is worth to mention that most universities and colleges in Europe and North America have long–established business programs, many of them offering the Master of Business Administration degree, which are considered de rigueur for those who want to make their future in the corporate world.

As the name indicates, professional master's degrees are more specialized types of master programme which often focus on a specific professional area. These are sometimes known as tagged master's degrees, because they are tagged to a certain field, or professional master's degrees, because they focus on career development in a particular profession. Some professional master's degrees start with the word Professional in the title, such as the Professional Science Master's Degree (PSM), a hands–on degree with a heavy practical component giving students the skills and knowledge needed to work professionally in their chosen field (Haidar, 2014).

Professional masters' degrees are types of interdisciplinary master's degree that are concentrated in applied fields of studies. While academic masters' degrees tend to focus on theory and research, professional masters' degrees tend to emphasize practical skills designed for current and aspiring professionals including post–bachelor and post–graduate students. i. e. Professional master degrees give students the skills they need to thrive in constantly evolving workplaces.

Access to professional master's formation is on file, interview, written exams in order to select the master's students. Teaching in the professional master's programmes comprises on average 300 hours of course (theory + practice in the form of directed studies) as well as a long internship at the end of curriculum of about six months.

The professional masters are nowadays almost all accessible in continuing education: these programs then benefit from organized schedules. Some offer the possibility of following some of the modules in the form of e– learning (distance learning).

Generally, professional masters are described as:

... innovative graduate degree that typically consists of two years of academic training in an emerging or interdisciplinary area of science, mathematics or technology. The PSM also contains a professional component that may include internships and

"cross–training" in business, management and communications. All have been developed in concert with industry and are designed to dovetail into present and future professional career opportunities. (NPSMA, as cited in Leckie, 2011, p. 5)

Therefore, professional master's degrees combine intensive study in science or math with courses in management, policy, business, or law and emphasizes writing, project management, and other industry–sought skills. Internships and capstone projects guided by mentors in industry are a key part of the curriculum.

Nowadays, postgraduate programs are getting a lot more practical with hands–on learning and job–focused training. Since 1997, professional masters' degrees start to feature in several careers as a way to better and more rapidly equip students with much– needed skills in the fields of science, technology, engineering, and math. As a result, today, for instance, nearly 300 professional master's programs are offered by California's Keck Graduate Institute and 128 other institutions in the US (Gearon, 2013).

The purpose of professional masters' programmes is described as follows:

The professional master's degree is meant to supply intermediate–level professionals for the scientific workforce, largely in business and industry. It is a professional rather than a research degree and is intended to be equivalent to a law or business degree for young people who major in the sciences and mathematics as undergraduates. Unlike the typical science and engineering master's degree program, PSMs are not consolation prizes for those who drop out of Ph.D. programs. Instead they are terminal degrees designed in close cooperation with regional industries to prepare applied scientists and mathematicians for work in new and emerging industries. (NPSMA, as cited in Leckie, 2011, p. 5)

The beginning of 2000 has seen and increasing interest in master's programmes in response to a conference held in 2002 by the US National Science Foundation in which experts and speakers mentioned the need for more professional master's education in the field of science, technology, and engineering. Accordingly, graduates of Master's programs, especially, in the Sciences and Engineering, "lack essential knowledge ... and workplace skills (e.g. the ability to work in teams, communication/ presentations skills)... to be of maximum benefit to the company" (Council of Graduate Schools 2006, p. 14).

So, the movement to master's programmes:

Represents an effective answer to both these problems. It produces quickly and efficiently many of the applied scientists that today's high–tech industries need. ... the enthusiasm of employers and the rapidity with which the graduates found well–paid jobs suggest that the demand for master's programs will grow. (NGA, 2006, p. 2)

The need for a range of science and extra– science components was identified: to produce students who not only had advanced disciplinary knowledge in science/ engineering, but also had:

- a working knowledge of business and ethics;
- flexible training – able to apply their skills to various areas of the company as needed;
- teamwork experience and ability to participate effectively on interdisciplinary teams;
- writing and presentation skills;
- understanding of basic principles of business, profit motive and related ethical issues;
- ability to design and execute experiments with minimal supervision;
- ability to prepare technical reports, project plans and regulatory documents;
- ability to prepare and present information to a wide variety of constituents. (Council of Graduate Schools, 2006, pp. 4– 5)

In response to these needs, the National Professional Science Master's Association and the Council of Graduate Schools published a report in 2006 in which the following necessary components of a master's program were identified as follows:

- a majority of program course work in graduate–level science and/or mathematics;
- interdisciplinary in nature, preparing students for fields such as forensic science, computational chemistry, financial mathematics, and bioinformatics;
- additional coursework in workforce skills such as project management, communication, policy, intellectual property, legal aspects etc.;
- emphasis on the written and verbal communication skills, leadership, and

team–building required in professional settings;

☐ nimble in adjusting to shifting workforce demands and to rapidly changing research strategies and technologies;

☐ an established advisory committee of local employers to ensure that the curriculum is responsive to regional workforce needs;

☐ internships or problem–based projects sponsored by employers;

☐ a capstone team–based project. (Leckie, 2011, p. 11)

Generally, master's programmes contain the following characteristics which are cited below:

☐ offer skills–based courses;

☐ offer interdisciplinary courses or courses at the boundaries of disciplines;

☐ emphasize writing and communication skills;

☐ have final project or team experience;

☐ have a required internship;

☐ have an advisory board of industry/government/non–profit employers;

☐ have at least some faculty members with nonacademic experience;

☐ have assessment and quality controls such as accreditation/licensing. (Leckie, 2011, p. 13)

7. Professional master programmes in Algerian universities: Current status (Data, statistics, and analysis):

Throughout the world, graduate education at the master's level is changing. In Europe, through the Bologna Process which aims to harmonize European degrees and make them more compatible with practices elsewhere, master's level education is now clearly distinct from undergraduate education and is recognized with the awarding of separate master's degrees in all disciplines.

Since its implementation in 2004/2005, the Ministry of Higher Education and Scientific Research in Algeria has been working to improve the quality of both teaching

and learning in L. M. D. by diversifying offers of formation in various disciplines and levels.

In regard to master's studies, the Ministry is trying to open different fields in the master level, whether academic or professional, in order to adapt to the requirements of the labor market and to attract a large number of students in master's studies. However, through the data collected regarding the status of the professional master's offers in Algerian universities, there seems to be a total absence of professional master's offers, compared to academic masters. Accordingly, this is what we seek to analyze and describe with the existing data.

Table 4: Academic and professional masters offered in Algerian universities in all domains (2007– 2016). Source: Adapted from MESRS (2010– 2016).

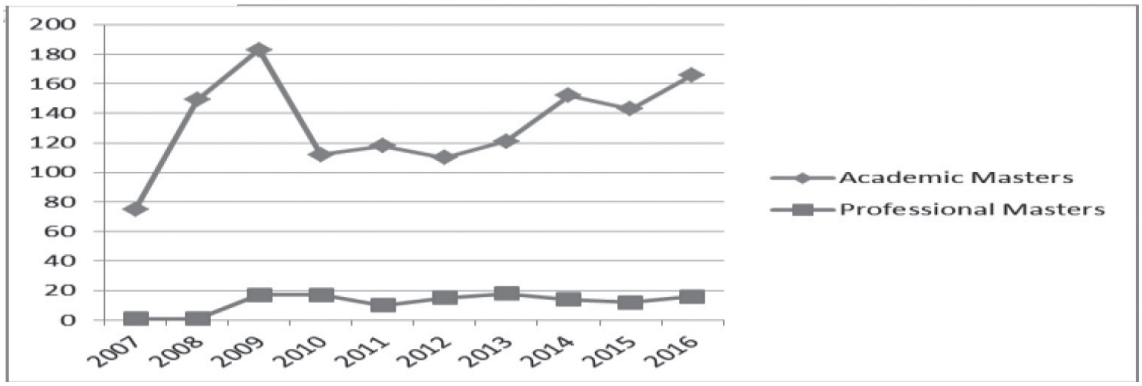

Fig. 3: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Sciences & Technologies.

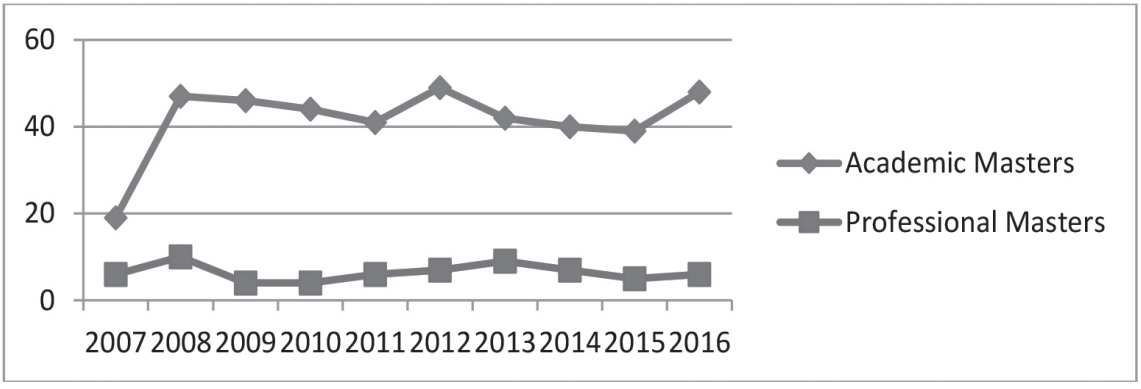

Fig. 4: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Sciences of Nature & Life.

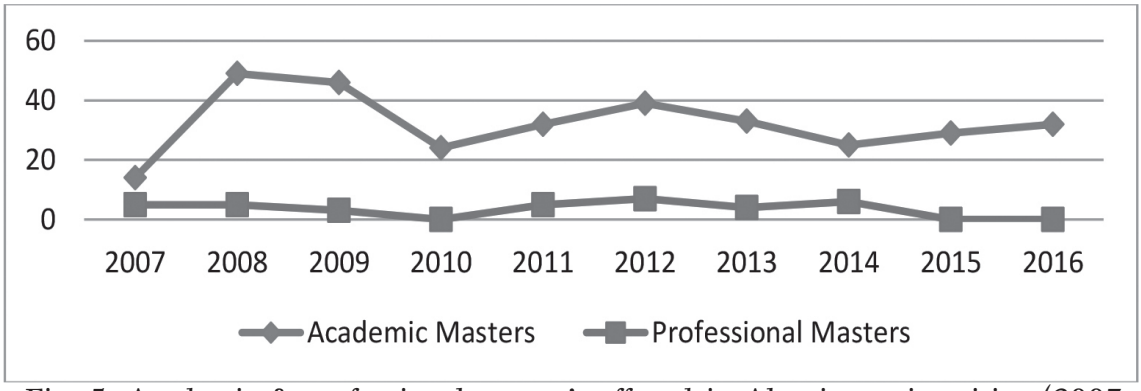

Fig. 5: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Material Sciences.

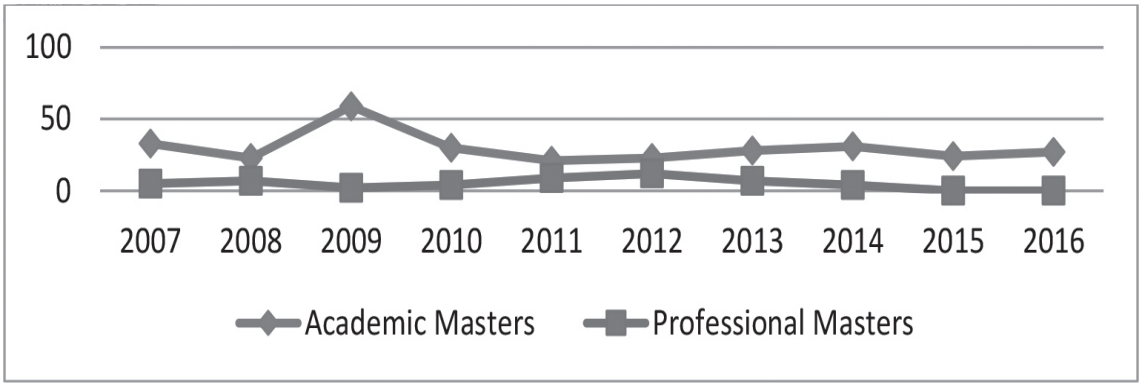

Fig. 6: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Mathematics & Informatics.

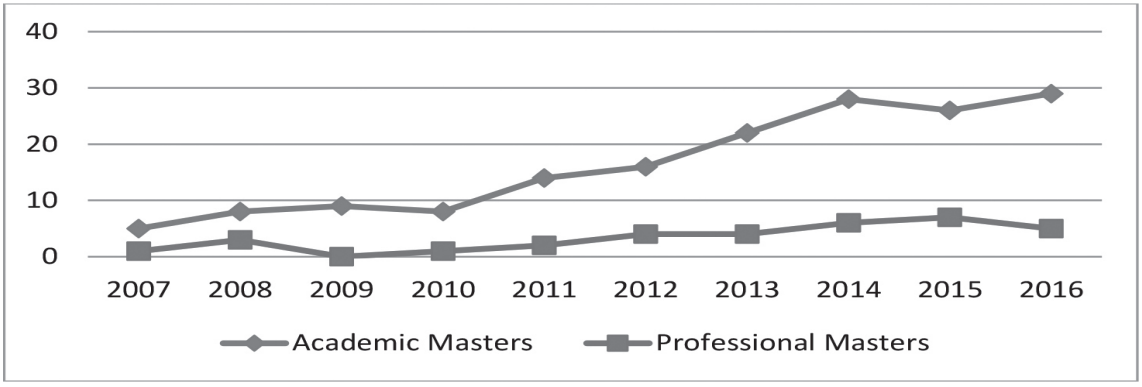

Fig. 7: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Science of the Earth & the Universe.

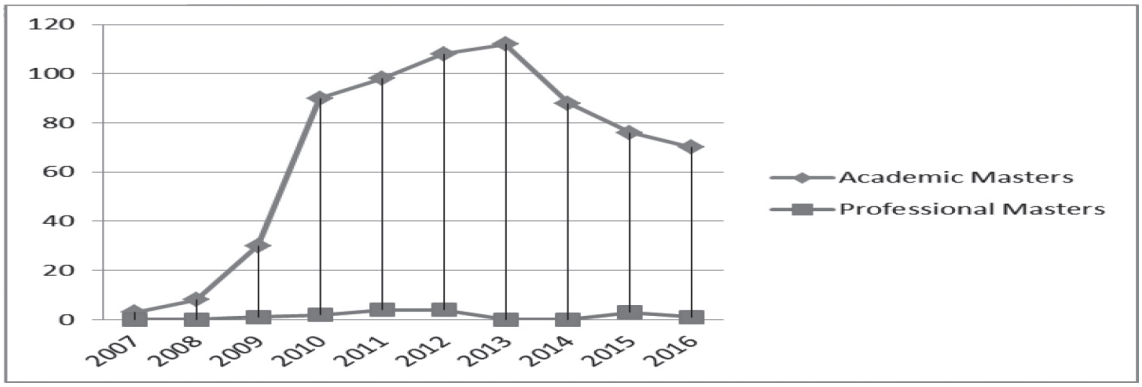

Fig. 8: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Social Sciences & Humanities.

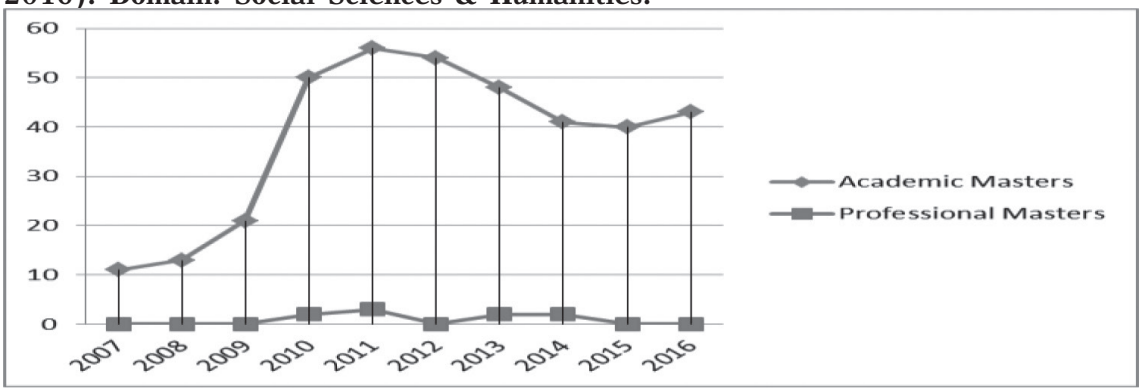

Fig. 9: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Letters & Foreign languages.

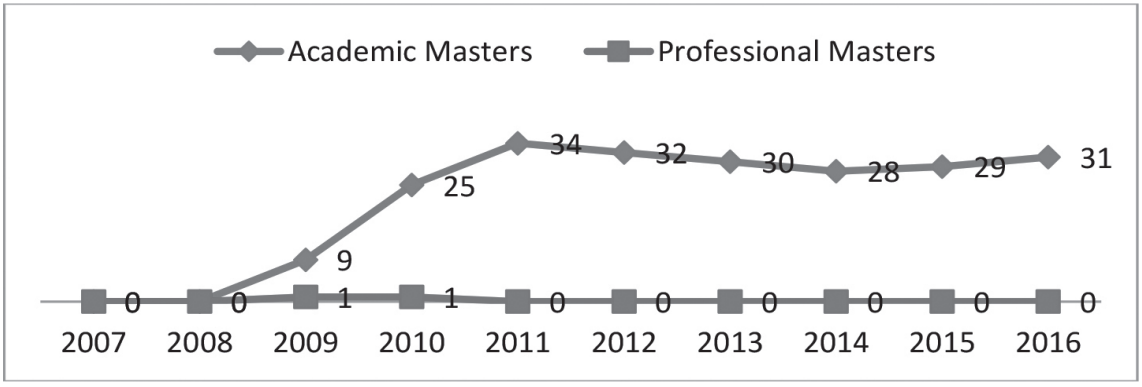

Fig. 10: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Law & Political Sciences.

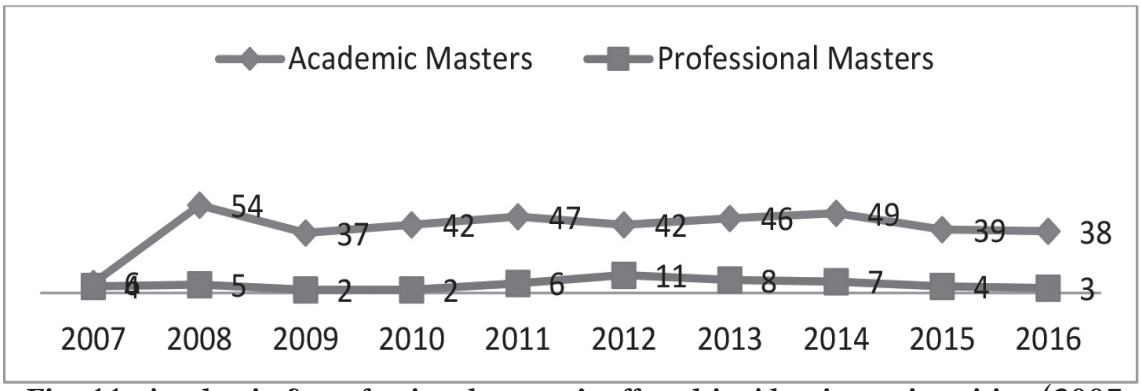

Fig. 11: Academic & professional master's offered in Algerian universities (2007–2016). Domain: Economics, Commercial and Management Sciences.

7.1. Data Analysis:

From the above table, graphs, and data, we notice that offers of professional master's degrees in Algerian universities are very few in comparison to academic master's offers. For example, we note that at the beginning of implementing the L. M. D. system, there have been 166 academic master's offers compared to 22 master professional master's offers. This is due to the dominant pattern of teaching and training which prevailed before the advent of the system of the L. M. D. i. e. the classical system which is only based on academic formation. Accordingly, professional master's offers were very few at the beginning of this phase. So, the presence of academic master's offers at the national level in some scientific domains; such as, Sciences and Technologies (53%), Sciences of Nature and Life (14%), Material Sciences (10%) and Mathematics and Informatics (23%), is due to the fact that these scientific domains were the first concerned with the implementation of the L. M. D. system in reforming Higher Education sector in Algeria in 2004/ 2005.

On the other hand, other domains; such as, Letters and Foreign Languages, Social Sciences and Humanities, Law and Political Sciences, Economics, Commercial and Management Sciences were still concerned with the classical system, which explains the absence of academic master's offers and, rather, their existence in few numbers. Unlike the academic master's, professional master's did not much attract Algerian Universities and faculties in the aforementioned disciplines because of the general

orientation of Algerian universities and colleges which were more interested in academic training and formation rather than being concerned with professional trainings at the first phase of implementing the L. M. D. system in Higher Education reform, as evidences in the above data and graphs showed the numbers of master's offers proposed in both academic and professional master's (87% for academic master's compared to 13% for professional master's in 2007).

This general trend towards academic training and formation continued in the Algerian colleges and universities successively in 2008, 2009 and 2010, where professional master's reached 92 offers (7%), compared to the academic master's offers which amounted to 1213 (93%) in that period.

Since the year 2012, professional master's increased and knew some development, and the number of offers reached 60 in Algerian universities which represents 11 % of the master's projects offered in that period. This increase and development is due to the fact that the Algerian Ministry of Higher Education and Scientific Research worked to develop this kind of formation and training as well as to accelerate the reform in Higher Education by eliminating the dominant classical system of teaching and formation and moving towards the new L. M. D. system which seeks to adapt to market demands.

However, this tangible development in professional master's offers quickly fell to less than 31 offers in 2016 (6 %)– compared to 484 academic master's offers (94 %). This, in fact, was influenced by the reluctance of students in this type of formation and training, and the absence of economic partnership, especially with the economic crisis experienced by Algeria and the decline in the labor market. Accordingly, all these factors had negative impacts on professional master's formation which is directly linked to the labor market and the volume of investments to be achieved in both short and medium terms.

So, what confirms the lack of professional master's offers in Algerian Universities is the type of disciplines and domains which provide such master's offers and projects

dominated by both technical and practical aspects rather than theoretical ones. For example, we find the domain of Letters and Foreign Languages offered only 9 master's professional projects (9 %); compared to 121 (36 %) for Sciences and Technologies, 64 (19 %) for Science of Nature and Life, 35 (11 %) for Material Sciences, 50 (15 %) for Mathematics and Informatics, 33 (10 %) for Sciences of the Earth and the Universe in the period 2007– 2016. Also, we notice from data in the table and graphs above is that the domain of Law and Political Sciences has only offered 2 professional master's projects (1 %) in the same period. This is related to the following factors:

• Economic factor: It is mainly related to the needs of the labor market and the type of formation and training required therein;

• Pedagogic factor: We notice that the scientific domains and technical disciplines are mostly appropriate for the pattern of professional master's formation and training, while the domains of Letters and Humanities, which are literary disciplines, are more appropriate for academic master's;

• Students' reluctance: University students admit their reluctance to professional master's formation and training for purely pedagogic reasons which are as follows:

☐ Students desire to continue their studies after graduation because academic master's degrees offer them an opportunity to participate in doctoral competitions, unlike professional master's degrees. Also, academic master's degrees offer several opportunities for employment in the public sector rather than professional master's degrees;

☐ Suffering experienced by professional master's students: The professional master's formation is the result of a partnership agreement signed by the university and the economic, commercial, or industrial partner that ensures vocational training for university students in a particular field in order to gain professional experience that helps to employ these students immediately after graduation. However, this condition is not available in Algerian Universities; it makes University students who graduated with professional master's degrees suffer from employment.

8. Conclusion and recommendations:

Since the advent of the third millennium and the world has engaged in globalization, most Universities in the world have abandoned the classical system of teaching and formation which was based on academic and theoretical formation and replaced it by the L. M. D. system which relies on vocational training in order to cope with the developments and needs of the labor market. Therefore, these international universities give a great importance to this type of education and formation and propose many professional masters' projects for their students.

Algerian Universities, like those in the world, are obliged to open up to the labor market to keep abreast of developments and meet its needs. Therefore, they should focus on developing this type of education by offering many professional masters' projects and encouraging students to engage in this form of education so that they can gain more skills. Despite the fact that the Algerian Ministry of Higher Education and Scientific Research is working hard to develop professional masters' education within the framework of L. M. D. system, this type of education still needs modern mechanisms in order to promote professional masters' offers in Algerian Universities. In our point of view, the following solutions and recommendations may help to develop professional master's education in the Algerian Universities:

- **Strengthening partnership between universities and economic sector:**

In the modern time, the university has not become knowledge depositary, focused on fundamental research. However, there is a high pressure for universities to become more active in their activity and role in the progress of the society. As for Algerian universities, they should evolve from a simple knowledge factory interested in innovative outputs to an entrepreneurial– relational university active, with industry linkages and research contracts funded by both public and private sectors.

Also, universities should strengthen their business relations with economic and industrial partners in inter– organizational relations. In the case of professional master's offers, cooperation between universities and enterprises will result in providing major

graduates, skilled, and better trained in the field of labor. In addition, universities will keep pace with labor market and its developments. In this sense, the relation university– business will result in investing science and research in service of economy and industry.

- **Valuation of professional master's degrees at the level of public service:**

As far as employment is concerned, graduates of Algerian universities having professional master's degrees suffer from employment in the public service, in public enterprises, because of the fact that the public service (a high administrative organism related to the general secretary of the government which is responsible for organizing employment and its regulations in the public service) does not recognize these degrees. So, to give more importance to these professional degrees, the public service in Algeria should give a regard and valuation to these degrees so as to incite students to engage in this type of professional formation.

- **Sensitizing students of the importance of professional master's degrees:**

Algerian decision and policy– makers should, in their turn, encourage and incite students to the importance of professional master's degrees and the opportunities they offer to them in the labor market. Not only academic master's degrees that permit permanent recruitment to graduates, but also professional master's degrees offer lot of potentials to university graduates; such as, professional expertise, acquisition of skills, better trainings, and possibility to start up a business company.

- Increasing scholarship amount for professional masters' students:

In an attempt to attract more students to engage in professional master's formation, responsible of higher education sector in Algeria should increase the amount of scholarship to students who engage in professional master's education. Acting so, professional master's education would seem more important than the academic one.

- Ensuring permanent positions for excellent masters' students and effective prac–

tical training with salaries:

Professional master's formation should be highly revised by the Algerian higher education sector because of the employment problems which result from this type of education. i. e. Graduates with professional master's degrees lack job opportunities. Out of fundamental research and knowledge– based education, professional master's students should be provided with effective practical trainings while conducting training period in the companies in which they are engaged. In order to incite and encourage them in professional master's education, students should be provided with a salary in their training period at companies. Also, graduates who are ranked excellent and major should be ensured with permanent employment positions in the companies where they conducted their trainings as a means to encourage and incite other students to engage professional master's education.

• Granting loans to professional master's students for the establishment of small enterprises:

In an attempt to promote professional master's education among Algeria graduates, decision– makers should encourage professional master's graduates by providing them with loans so as to start up their small business enterprises. This, in fact, will assure students in the future that employment exists in several forms; whether in public, or private sector, or starting their own business.

• Creating professional master's fields required in labor market for professional master's students:

One of the major obstacles in professional master's education in Algerian higher education sector is the lack of appropriate fields in professional master's education. This is related to the committees at universities that are responsible for developing professional master's offers so as to start this type of education and formation. Since there is a vacuum between universities and the economic sector, professional master's graduates feel that professional master's education they are undertaking is not related to the labor market. So, these committees should reconsider and regard profession–

al master's offers thoroughly and relate it to the labor market and its developments.

• Encouraging cooperation with "Start Up" companies in promoting professional master's offers:

The term "start–up" means the instance of setting in operation or motion, or fledgling a business enterprise. It is a business or undertaking that has recently begun operating ("What Is A Startup?", 2013). In this context, a startup is a young company that has just begun to develop. Startups are usually small and initially financed and operated by a handful of founders or one individual. These companies offer a product or service that is not currently being offered elsewhere in the market, or that the founders believe is being offered in an inferior manner (Fontielle, n. d.).

The term startup is also associated with a business that is typically technology oriented and has high growth potential. For example, if a startup company invents and sells important software for Algerian schools and universities, they have already got a very select market. So, to grow rapidly, start– up companies need to make something they can sell to a very big market.

In the case of Algeria, start– up companies are not yet present in the labor market scene. However, they can be of a great importance to Algeria universities. Cooperation between start– up companies and Algerian universities can result in (1) defining precisely what types of fields needed in professional master's formation, (2) selecting the best students to engage in professional masters' education, (3) recruiting professional master's graduates in the needed positions, and (4) developing products needed in the market.

References:

1) Al Daoudi, S. & Benezrgua Leila. (2015). 'The evolution of Higher Education sector in

Algeria (2004– 2012).' The Enterprise, 3 (4), pp. 17– 8.

2) Benmati, K. L. A (2008). Is the Algerian Education–al System Weakening? An Investigation of the High School Curricula and their Adequacy with the University Curricula. Unpublished Ph. D. Thesis. Available at: http://bu.umc.edu.dz/theses/anglais/LAK1017.pdf

3) Council of Graduate Schools (CGS). (2006). Professional Master's Education: A CGS Guide to Establishing Programs. Washington: CGS.

4) Crosier, D. and Teodora Parveva. (2014). The Bologna Process: Its impact in Europe and beyond. Paris: UNESCO: Institute of international planification of education

5) Fontinelle, A. (n. d.). What exactly is a startup? Available at: http://www.investopedia.com/ask/answers/12/what–is–a–startup.asp

6) Gearon, C. J. (2013). 'Focus on job skills with a professional master's degree'. US News & World Report. Available at: https: //www.usnews.com/education/best–graduate–schools/articles/2013/03/13/focus–on–job–skills–with–a–professional–masters–degree

7) General Secretary of the Government. (2014, Nov.). Official journal of the People's Democratic Republic of Algeria. N° 75, 43 Year. Les Vergers, Official Printing House: Bir–Mourad Raïs, ALGER– GARE, Algeria.

8) H. Haidar. (Jan. 2014). 'Types of Master's Degrees'. Qs Quacquarelli Symonds Limitied. Available at: https://www.topuniversities.com/blog/types–masters–degrees

9) Harmoniser l'architecture du système européen d'enseignement supérieur. (2004). Déclaration de la Sorbonne, 25 mai 1998. Available at: http://www.cpu.fr/Dossier/LMD/Docs/d_sorbonne.pdf

10) Histoire et Objectif du LMD. (2010). Available at: http://www.fshs-univ-alger2.dz/sitefshsfr/index.php/histoire-et-objectif-du-lmd

11) Leckie, G. J. (2011). Western Guide to Professional Master's Programs. University of Western Ontario. Teaching Support Centre: Ontario.

12) 'Master's Degree'. (n. d.). Australian Qualifications Framework. Available at: http://www.aqf.edu.au/masters.htm

13) Mellouk, M. (Mars, 2103). 'The LMD System: A major issue in higher education reform'. Dialogue Méditerranéen, 5 (5), pp. 86- 91.

14) Ministère de L'enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique. (2010). Listing global des masters habilités de 2007 à ce jour. Circulaire n°6 du 3 Dhou El Kaada 1431 H correspondant au 11 octobre 2010 relative a réinscription aux études de Master au titre de l'année universitaire 2010-2011. Available at: http://www.univ-constantine2.dz/files/textes/circulaire-6-inscription-master-du-11-10-2010-fr.pdf.

15) Ministère de L'enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique. (2012). Masters habilités 2012 https://www.mesrs.dz/documents/12221/25126/masters+2011-2012.pdf/23c1d77f-7a0c-4dd1-9ebf-e2a9cbe72a8b?version-1.0. Date of Access: Jul. 2017.

16) Ministère de L'enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique. (2013). Masters habilités 2013 https://www.mesrs.dz/documents/132445/268471/masters+2012-2013.pdf/23c1d77f-7a0c-4dd1-9ebf-e2a9cbe72a8b?version-1.0. Date of Access: Aug. 2017.

17) Ministère de L'enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique. (2014). Masters habilités 2014 https://www.mesrs.dz/documents/2015890/306950/masters+2013-2014.pdf/23c1d77f-7a0c-4dd1-9ebf-e2a9cbe72a8b?version-1.0. Date of Ac-

cess: Sep. 2017.

18) Ministère de L'enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique. (2015). Masters habilités 2015 https://www.mesrs.dz/documents/132445/268471/masters+2014–2015.pdf/23c1d77f–7a0c–4dd1–9ebf–e2a9cbe72a8b?version–1.0. Date of Access: Sep. 2017.

19) Ministère de L'enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique. (2016). Masters habilités 2016 https://www.mesrs.dz/documents/132445/268471/masters+2015–2016.pdf/52c1d89f–3a0c–1dd1–0ebf–e2a9cbe72a8b?version–3.1. Date of Access: Sep. 2017.

20) National Governors' Association (NGA). (2006). Issue Brief: The Professional Science Master's Degree: Meeting the Skills Needs of Innovative Industries. Washington: NGA. Available at http://www.nga.org/portal/site/nga/menuitem.9123e83a1f67864 40ddc–beeb501010a0/?vgnextoid–03dcc59ae624a010VgnVCM1000001a0101 0aRCRD

21) "Overture on university: The University of Algiers ... A rich history in education and struggle". (2014, Sep. 29). The Middle East Newspaper. (International Edition). Available at: http://aawsat.com/home/article/190701.

22) Ramoune, H. (1998). 'University a productive means of history and institutional challenge: The case of Algeria and the Arab world.' Insanyiat. 6, Published on May, 31, 2013. Date of access, August, 22, 2016. http://insaniyat.revues.org/12085; DOI: 10.4000/insaniyat.12085

23) 'The Bergen Communiqué'. (2005). L'Espace européen de l'enseignement supérieur–réaliser les objectifs. Communiqué published in the Conference of European ministers of higher education, Bergen, Norway, May, 19– 20, 2005. Available at: www.ond.vlaanderen.be/hogeronderwijs/bologna/links/language/2005_Bergen_Communique_French.pdf

24) 'The Berlin Communiqué'. (2003). Réaliser l'Espace européen de l'enseignement supérieur. Communiqué published in the Conference of European ministers of higher education, Berlin, September, 19, 2003. Available at: www.ond.vlaanderen.be/hogeronderwijs/bologna/links/language/2003_Berlin_Communique_French.pd

25) What Is A Startup? (Dec. 2013). Available at: https://www.forbes.com/sites/natalierobehmed/2013/12/16/what-is-a-startup/#350cb5134044

الجمعيّة اللبنانيّة للعلوم والأبحاث

Lebanese Association for Science and Research